تربية المرأة

والحجاب

تأليف

محمد طلعت حرب

ان لكل دين خلقاً وخلق هذا الدين الحياء

(حديث كريم)

أصلح شيء للمرأة أن لا ترى رجلاً ولا يراها رجل

(فاطمة عليها السلام)

اكشفوا رؤسهن بالحجاب فسيماء الحجاب خير لهن من الارتياب

(علي كرم الله وجهه)

لا تدعوا نساءكم يزاحمن العلوج في الاسواق : قبح الله تعالى من لا يغار

(الحسن رضي الله عنه)

قال بعض الحكماء : النساء هن معراج الشرف بعفتهن وبئر المصائب بابتذالهن .

وقال آخر : لو عهدتم الى تربية النوع الانساني لأصلحت احوال العالم بأسره .

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

« ١٣١٧ هـ » مطبعة الترقي بشارع عبد العزيز بمصر « ١٨٩٩ م »

تربية المرأة

والحجاب

نأليف

محمد طلعت حرب

ان لكل دين خلقاً وخلق هذا الدين الحياء

(حديث كريم)

أصلح شيء للمرأة أن لا ترى رجلاً ولا يراها رجل

(فاطمة عليها السلام)

اكشفوا عوراتهن بالحجاب — الحجاب خير لهن من الارتياب

(علي كرم الله وجهه)

لا تدعوا نساءكم يزاحمن العلوج في الاسواق : قبح الله تعالى من لا يغار

(الحسن رضي الله عنه)

قال بعض الحكماء : النساء هن معراج الشرف بعفتهن وبئر المصائب بابتذالهن .

وقال آخر : لو عهدتم الى تربية النوع الانساني لأصلحت احوال العالم بأسره .

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

« ١٣١٧ هـ » مطبعة الترقي بشارع عبد العزيز بمصر « ١٨٩٩ م »

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين واخوانه المرسلين

اما بعد فانه قد كثر فى هذه الايام البحث والكتابة فى حالة المرأة وما يجب عليها ولها وفى طرق تعليمها .

والفضل فى فتح باب هذا البحث لكتاب تحرير المرأة الذى وضعه حضرة الفاضل قاسم بك امين يقول فيه : ان المرأة مساوية للرجل من جميع الوجوه وان الرجل ظالم لها فى حقوقها ويحث فيه على تربية المرأة وتعليمها كما يتعلم الرجل سواء بسواء . ويقول بلزوم رفع الحجاب ووجوب الاختلاط لأن حجاب المرأة وعدم اختلاطها مما يقيد حريتها التى منحها الله اياها ويمنع من قيامها بالعمل المكلفة به فى الهيئة الاجتماعية الى آخر ما يدعو اليه. ولم يكد يظهر هذا الكتاب فى عالم الوجود حتى اشيع فى بعض الجرائد انه تألفت لجنة فى مصر تحت رعاية عظيم بها لتحرير المرأة الشرقية على

الطريقة التى اشار اليها حضرة المؤلف فى كتابه . واخذ الناس من ذلك الوقت يبحثون فى موضوع الكتاب وما احتوى عليه من افكار وامانى. ولقد انقسموا حزبين : حزبا يرى رأى المؤلف وهم قلائل يعدون على الاصابع. والحزب الآخر وهو الاعظم عددا اجمع على استهجان ما ورد بالكتاب ويقول انه يدعو الى بدعة فى الدين لا فى العوائد فقط. وكلا الحزبين مسلّم والحمد لله بان الدين لا يمنع مطلقا من تعليم المرأة وتربيتها وتهذيبها بل هو يحض على ذلك ويأمر به ولكنهما يختلفان فيما ينبغى ان تعلمه المرأة وفى طريقة التعليم والتهذيب

ولما رأينا هذا الجدال والكفاح بين فريقين يعزز كل منهما قوله بالشرع ويقول ان الحق والدين فى جانبه ورأينا انه لم يكد يخلو مجتمع من الكلام فى هذا الموضوع تاقت نفسنا الى البحث والتنقيب والدخول فيه

ونحن نعرض على القراء نتيجة بحثنا فان اخطأنا فلنا من حسن النية ما نرجو معه غفران سيئات خطئنا وان اصبنا المرمى كما نظن فلسنا نسأل على عملنا اجرا فنقول :

اول شئ طرأ على ذهننا حين قرأنا الكتاب ورأينا الناس اخذت تسلق حضرة المؤلف بألسنة حداد ويحملون عليه وعلى كتابه حملات لم نتعودها على مؤلف غيره من قبل ان لا بد فى الامر من شئ مهم حمل الناس على ذلك اذ لا يمكن ان يجتمع كل الناس على ضلالة . ولا يخفى ان ألسنة الخلق اقلام الحق. فاخذنا نسأل ونتساءل ونبحث ونتناظر حتى علمنا ان معظم هياج الرأى العام على حضرة المؤلف ناتج مما هو راسخ فى اذهانهم

من ان رفع الحجاب والاختلاط كلاهما أمنية تمناها اوروبا من قديم الزمان لغاية فى النفس يدركها كل من وقف على مقاصد اوروبا بالعالم الاسلامى ويقولون ان « للاوروباويين مطامع قديمة ومآرب فى النفس يظهرها « زيادة التقرب من العالمين الشرقى والغربى حتى ان بعض امراء المسلمين » « اتخذ هذه المقاصد ذريعة يتقرب بها الى بعض دول اوروبا فى نيل » « مآربه . ومن ذلك ان اسماعيل باشا خديوى مصر الاسبق لما كانت » « نفسه تميل الى الاستقلال وتكوين مملكة مستقلة بافريقا يحكمها هو » « ومن يأتى بعده من اولاده كان عاملا على جذب دول اوروبا اليه » « لتساعده على تحقيق أمنيته فى مقابلة تحقيقه أمنيتهم بان يدخل العادات » « الافرنكية بين أمته مما كان يظنه سهل المنال حتى انه كان كثيراً ما يتظاهر » « ويقول ان مصر قطعة من اوروبا وان اخلاق المصريين وعوائدهم التى » « ورثوها ستصبح بمساعيه بعد قليل مماثلة لعوائد اوروبا واخلاقها ليكون » « له من ذلك وسيلة يتقرب بها اليهم لما رآه وعلمه من مخالطة امرائهم » « وعلمائهم وارباب الافكار والسياسة منهم الذين يعلمون حق العلم انه لم » « يبق حائل يحول دون هدم المجتمع الاسلامى ـ فى المشرق لا فى مصر » « وحدها ـ الا ان يطرأ على المرأة المسلمة التحويل بل الفساد الذى عم » « الرجال فى المشرق . وكل من ادرك اسماعيل باشا يعلم ما كان قد اشيع » « فى ذلك الوقت من انه كان يريد ان تخرج النساء مكشوفات الوجوه » « فى الطرقات كالفرنجيات وعمت الاشاعة ارجاء القطر باجمعه » « وتحدث الناس بها فى كل ناد . وقالوا ايضا انه لاجل تنفيذ هذا الفكر »

« امر بان تخرج تلميذات مدرسة السيوفية مكشوفات الوجوه . وقد »
« رآهن الناس وهن على ذلك وعلى رؤوسهن البرانيط فى عربات كثيرة »
« يتفسحن فى ارجاء المدينة وبينهن من لها من العمر ستة عشرة سنة »
« وزيادة . وقد علم الناس ثمرة هذا الغراس فقد خرجن اكثرهن على علة »
« البغاء. ولم يقتصر العلم بهذا العزم على مصر فقط بل تعداها الى غيرها من »
« الامصار حتى ان احد امراء المسلمين اذ ذاك كتب اليه كتابا مطولا »
« ينهاه فيه ويلومه على ما يتظاهر به من حب الانفصال عن الدولة وما يريد »
« ادخاله من عادات الافرنج بين قومه . ومما جاء فى الكتاب المذكور »
« مختصا بهذا الموضوع قوله بعد العنوان وحمد الله والصلاة على انبيائه [١] »
« بلغنا ورأينا من مقتضيات الاحوال ما يصدق الخبر انكم كاتبتم »
« ملوك اوروبا وتوجهتم بانفسكم اليهم تطلبون منهم الاعانة على الاستقلال »
« بملك مصر والاستبداد بالسلطنة ليقال لكم ملك مصر او فرعون مصر »
« ولم يقنعكم لقب الخديوى الذى شرفكم به سلطاننا فى هذه المدة الاخيرة »
« وذكرتم للمشار اليهم انكم تضمنون لهم ان وقعت منهم الاعانة التى »
« تطلبونها تبديل احكام القرآن وفصل السياسة عن الدين بالمرة وتبيحون »
« لنساء الامة الجديدة التى تكونونها ما تبيحه العادات الافرنجية وقوانينها »
« من الحضور فى مجامع الرجال ومواكبهم وغير ذلك ولا تظلمونهن بمثل »
« ما ظلمتهن الشريعة الاسلامية على مدعاكم. وقلتم فيما ذكرتم لأولئك »
« الملوك ان السلطان العثمانى لا يتيسر له ما يتيسر لكم من امثال هاته »

[١] اطلعت على هذا الكتاب عند بعض اعاظم مصر ولديه ما يثبت صحته .

« الامور التى هى خلاصة التمدن الانسانى فى نظركم لكونه ملقبا بلقب »
« خليفة الرسول الى آخر ما ذكرتم . . . » اهـ.

« وان ارادة الوصول الى تغيير حالة المرأة المسلمة شئ كامن فى نفوس »
« الفرنج لذلك كانوا يطالعون به كل من حادثهم من ادباء الشرق وعلمائه حتى »
« انك ترى الواحد منهم متى ناظرته مشفقا على المرأة المسلمة اشفاقا »
« غريبا ويرثى لحالها ويصدر منه من الاقوال ما يدل على جهله بحالة »
« المرأة وحقوقها فى الاسلام جهلا تاما. مع ان لكثير من فضلاء الشرق »
« مؤلفات ومقالات فى حالة المرأة المسلمة وما لها من الحقوق بحسب »
« الشريعة الغراء قد ترجمت الى بعض لغات اوروبا واطلع عليها الكثير »
« من علمائها ومع ذلك تراهم مصرين على رأيهم من تعاسة حالة المرأة »
« المسلمة كأن المرأة المسلمة وكلتهم عنها فى المدافعة عن حقوقها او كأنهم »
« لما رأوا تعاسة حالة المرأة عندهم وابتذالها بما وصلت اليه بفضل الحرية »
« الزائدة الواسعة ارادوا ان تكون حالة التعاسة عامة كل نساء الدنيا فهم »
« دائبون عاملون على التنفير من حالة المرأة المسلمة وما هى عليه من »
« الشقاء لتقوى كلمتهم فيتداخلون يوما ما بالقوة باسم المروءة ليحملوا دول »
« الاسلام على تغيير حالة المرأة فيتم لهم الغرض الخفى الكامن فى نفوسهم »
« كما تداخلوا من قبل باسم الانسانية والعهد ليس ببعيد فى مسألة الرقيق »

« وان كل من نظر الى اقوال الفرنج ومن ينسجون على منوالهم رآها »
« مزخرفة الظاهر جميلة الحواشى والاركان لماعة براقة تكاد تأخذ »
« بالالباب: ولكن وا اسفاه حشوها السم الناقع . ولا نلام على قولنا هذا »

« لاننا طالما سالمنا الافرنج وظننا ان كل ما يصدر منهم حق وكل افعالهم »
« منزهة عن العبث فلما استسلمنا اليهم بهذه الطريقة وقعنا فيما نخافه »
« فانطمست معالمنا ودرست آثارنا وغطى الجهل بصائرنا وابصارنا فاصبحنا »
« على حالة يرثى لها العدو قبل الصديق بعد مجد باذخ وعز سابق وعلم قديم. »
« ولو قيل لنا هذا القول فى اول تعارفنا بالفرنج لكنا اخذناه كما هو »
« وعملنا به ولربما اصبحت حالة المرأة عندنا كحالة الرجل على ما يبتغيه الفرنج. »
« ولكن يسر الله واصبحت لنا خبرة بمآرب الافرنج نحو الشرق فلا »
« نسمع منهم قولا الا بعد ان نطيل النظر والتنقيب فيه [١] »

هذا هو مجمل قولهم وداعية سخطهم وانى أجل حضرة الفاضل قاسم

[١] جاء فى جريدة المقطم الغراء فى عددها الصادر يوم ١٣ سبتمبر سنة ٩٩ ضمن مقالة فى محلياتها عنوانها « اتدري ما هى فاعلة » ما يعذر هؤلاء المعارضين فى اعتقادهم حيث قالت :

وبديهى ان الامة التي تنفع العالم بقدوتها الحسنة تضرهم بقدوتها السيئة . ولعلّ اهل الشرق الادنى اعظم الامم اقتداء بالفرنسويين واقتباسا لافعالهم وعاداتهم واصطلاحاتهم حتى انك لترى شبانهم فى اكثر المدن لا يقلون شغفا وتعلقا بالفرنسوية وتحيزا وتحزبا لها من الفرنسويين انفسهم . فيخاف الشرقى الضرر من عاقبة خطأ الفرنسوي وضلاله قدر ما يرجى النفع من عاقبة افعاله الحسنة ومبادئه القويمة . ولو بحثنا لوجدنا ان اضرارا كثيرة سرت الينا من اختلال المبادئ القويمة فى فرنسا مع النفع الذي جنيناه من التشبه بها فى مبادئها السامية وافعالها العظيمة . فانحلال عرى العفاف فى عاصمة فرنسا واستخفاف اهل باريس بهذا المبدأ الادبى واطلاقهم السراح لشهواتهم اثر تأثيره من الضرر فى هذا القطر وغيره من الاقطار الشرقية على وجهين : الواحد اقتداء الذين ربوا فى باريس او زاروها باهل باريس من هذا القبيل فصارت العفة عندهم امرا حقيرا لا يرعون له حرمة ولا يجلون لصاحبه قدرا .

بك امين عن ان يكون له غاية من وضع كتابه خلاف حب الخير والارتقاء لأمته كما هو ظاهر من كلامه على تربية المرأة فانه وصف حالتها اليوم احسن وصف وقال بوجوب تربيتها تربية تهذب اخلاقها وتقوم نفسها فلحضرته مزيد الشكر على ذلك وسيرانا فى هذا الكتاب داعين الى مثل دعوته رافعين صوتنا مع صوته على دعوتنا تخرق تلك الاذن الصماء فيهتم القوم بأمر هذه التربية وننال ضالتنا التى ننشدها وهى تحسين حالنا وما ذلك على الله بعزيز . واننا مع موافقتنا لحضرته على هذا المبدأ نخالفه فى غيره فنستمنحه العفو عما يجده خلال بحثنا من المخالفة والمباينة فى الرأى والفكر فحضرته حر ولا نخاله الا ان يحب كل حر الفكر

ومما اتخذه خصومه حجة على مما لأته الفرنج ومجاراته لهم على افكارهم انه قد سافر بعض الفضلاء من الاتراك الى اوروبا بقصد السياحة من بضع سنين فلما كان فى بلاد الانكليز وتعرف ببعض ادبائهم هناك جرهم الكلام الى موضوع حالة المرأة المسلمة وهو الموضوع الذى قل ان يخلو منه مجلس فيه شرقى ووجهوا اليه اقوالا واعتراضات وانتقادات هى نفس الاعتراضات التى بنى عليها حضرة مؤلف كتاب **تحرير المرأة** كتابه ويقولون: « انه ليس بعجيب فى الامر ان الاعتراضات التى وجهت الى »

والوجه الآخر توهم كثيرين من الشرقيين ان التمدن الحالى ينتج فى كل مكان ماانتج فى عاصمة الفرنسويين من الفجور وترك العفاف ففروا منه وممن يستحسنه وكرهوا تعليم بناتهم وتغيير طرق المعيشة مع نسائهم وعائلتهم وقاموا يعنفون النابغين من ابناء هذا القطر كأنهم ارتكبوا وزرا حيث طلبوا للمرأة التحرير يعنون بذلك ان تغير معيشتها العائلية والاجتماعية بعض التغيير اه

« الفاضل التركى هى التى يوجهها كل الفرنج الى الشرقيين . بل العجيب »
« ان هذه الاعتراضات هى بعينها التى جاءت فى كتاب حضرة قاسم »
« بك امين ولكنها بعبارة اوسع مع ان ذلك الفاضل التركى كان باوروبا »
« قبل ان يظهر كتاب تحرير المرأة بعدة سنوات . وقد طبعت هذه »
« الاعتراضات ضمن رسالة باللغة التركية سنة ١٨٩٣ افرنكية »
« بالمطبعة الجامعة بمصر باسم الرحلة الاصمعية. فهل هذا ايضا من باب »
« وقوع الحافر على الحافر او من توافق الخواطر كما كان الامر فى ظهور »
« كتاب تحرير المرأة فى الوقت الذى ظهرت فيه مقالة انكليزية قيل انها »
« لاحد علماء الهند المسمى القاضى امير على وترجمت الى العربية من »
« جريدة انكليزية فى مجلة المقتطف يدعو فيها صاحبها الى مثل ما يدعو اليه »
« صاحب كتاب تحرير المرأة ؟ » — ذلك امر لا نتعرض له بنفى ولا اثبات بل نكل فيه الحكم للقراء — انما نقول ان اعتراضات الفرنج على حالة المرأة المسلمة وما هى عليه من التحجب لا بد ان تكون قد وجهت لحضرة الفاضل قاسم بك امين حينما كان يتعلم باوروبا ولكن يظهر ان حضرته لم يحفل بها ولم تؤثر عليه ادنى تأثير. يدل على ذلك اقواله ومدافعاته عن حالة آداب المرأة المسلمة واحتجابها فى مؤلفه النفيس الذى رد به على كتاب الدوك داركور. ولكن لا ندرى اى الاسباب أثر عليه بعد ذلك فحوله عن فكره الاول الى فكر يخالفه بالمرة فى كتاب تحرير المرأة .

ولنكتف الآن بما اوردناه ولنبحث فى المرأة ووظيفتها فى العالم وفى حقيقة التربية الصحيحة والتعليم الحق اللازمين للبنين والبنات ليصلحوا ان

يكونوا يوما ما ازواجا فآباء وامهات وفيما يجب ان تتخلق به النساء ليقمن بوظيفتهن فى البيوت احسن قيام. ثم نتبع ذلك بالكلام على الحجاب أهو شرعى يأمر به الدين ويقضى به العقل أم هو بدعة وعادة سيئة ضرت ضرراً بليغا بدون ان تنفع ؟ ويتخلل هذه الفصول بيان ما نحن عليه الآن من الادب والتهذيب والتعليم وبيان درجة النقص فيها وطرق اصلاحها بما لايخل بعوائدنا المستحسنة ومبادى ديننا القويم .

وانا نقول هنا ماقاله حضرة الاستاذ الشيخ حمزة فتح الله فى رسالته باكورة الكلام على حقوق النساء فى الاسلام: «لايحسبن قراء هذا الكتاب انا نريد المنع من تقليد الاجانب فيما يعود علينا بالمنفعة . كلا. فان ذلك لاتمنعه الشريعة المطهرة . كيف وقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق لما اخبره سلمان الفارسى بانه من اعمال الكسرويين فى حروبهم وشواهد ذلك كثيرة لانطيل بذكرها »

ونحن عملا بما تأمرنا به شريعتنا المطهرة وتقليداً للأمم الحية فى الحث على تهذيب البنين والبنات وتربية نفوسهم نحض على هذه التربية الصحيحة وندعو اليها جهدنا لعلنا نوفق الى الوصول الى هذه الغاية الشريفة

ولكى يطابق الاسم مسماه سمينا الكتاب « تربية المرأة والحجاب » وهو اسم كنا نتمنى ان يجعله حضرة قاسم بك امين عنوانا لكتابه فانه اولى وأليق به من اسم «تحرير المرأة» حيث ان المرأة المسلمة بشهادة حضرته قد خولت لها الشريعة السمحاء من نحو ثلاثة عشر قرنا حقوقا وامتيازات لم تحصل زميلاتها الفرنجيات على جزء يسير منها الا من عهد غير بعيد

وهي الآن قد زادت حريتها عن الحد الشرعي . والله تعالى نسأل ان يهدينا سواء السبيل فيما نقول

هذا وإنا نرجو المعذرة اذا هفا اليراع هفوة فالغرض مما نقدمه الجوهر لا العرض وجل غرضنا المشاركة في البحث توصلا للحقيقة التي هي ضالتنا جميعا فما تزاحمت الظنون على شئ الا انكشف. وعلى الله الاتكال في كل الأمور ومنه يرجى خير المآل .

الباب الاول

المرأة أقل من الرجل ادراكاً وحساً — وظيفتها — اقرار بعض علماء الفرنج والسيدات انفسهن بان المرأة لا يلزم ان تتعدى وظيفتها — هل للمرأة ان تشتغل بأشغال الرجال ؟ — ما هي نتائج تحرير المرأة في اوروبا

في المرأة ووظيفتها في المجتمع الانساني

المرأة أقل من الرجل ادراكا وحسا — اجمعت كل الشرائع المنزلة على ما سلم به الطبع والعقل من ان المرأة اضعف من الرجل وأقل منه في سائر الحيثيات جسما وادراكا وعلى ان الرجال قوامون على النساء دون العكس . لهم عليهن السيادة ولهن منهم حسن المعاملة والرفق والمحبة والاحترام حيث ان الرجل لا يمكنه ان يعيش بدون المرأة ولا المرأة بدون الرجل لانه يترتب على تآلفهما عمران الكون وتحسين النوع الانساني وتكثيره وسعادة العالم المؤلف من عائلات وافراد بسعادتهم يسعد وبشقائهم يشقى .

فقد جاء فى التوراة فى سفر التكوين بالاصحاح الثالث عدد ١٦ أن الله تعالى قال للمرأة : « تكثيراً اكثر اتعاب حبلك . بالوجع تلدين اولادا . والى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك » . وجاء فيه ايضاً أنه تعالى قال للرجل معلقاً به الكد والشقاء : « بعرق جبينك تأكل خبزك »

وجاء فى اعمال الرسل : ١ كورنتوس ص ١١ من ع ٢

« ولكن اريد ان تعلموا ان رأس كل رجل هو المسيح . واما »
« رأس المرأة فهو الرجل . ورأس المسيح هو الله »

« . . . . . »

« فان الرجل لا ينبغى ان يغطى رأسه لكونه صورة الله ومجده . »
« واما المرأة فهى مجد الرجل . لان الرجل ليس من المرأة بل المرأة من »
« الرجل . ولأن الرجل لم يخلق من اجل المرأة بل المرأة من اجل الرجل »
« لهذا ينبغى ان يكون لها سلطان على رأسها من اجل الملائكة . غير ان »
« الرجل ليس من دون المرأة ولا المرأة من دون الرجل فى الرب . لانه »
« كما ان المرأة هى من الرجل هكذا الرجل ايضاً هو بالمرأة »

وقد قررت الديانة المسيحية ذلك التعليم الالهى وامرت المرأة ان تخضع لرجلها وامرت الرجل ان يتعطف على امرأته وان يخلص لها الحب

اما الشواهد من القرآن ومن السنة على كل ما تقدم فكثيرة جدا يعلمها حق العلم كل من اطلع عليها وكلها تثبت خضوع المرأة لسلطان الرجل وهو نظام اقتضته حكمته سبحانه وتعالى .

وحسبنا اثباتاً لما نقول قوله تعالى : « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم » وقوله تعالى : « واللآتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا » وقوله تعالى:« ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة » وقوله صلى الله عليه وسلم : « لوكنت آمراً احداً ان يسجد لاحد لأمرت المرأة ان تسجد لزوجها »وقوله عليه الصلاة والسلام : « اتقوا الله فى الضعيفين : المرأة واليتيم » وقوله صلى الله عليه وسلم : « خيركم خيركم لنسآئه وبناته . واكمل المؤمنين إحسنهم خلقاً مع زوجته . وكلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته والرجل راع على اهل بيته واهله وولده وهو مسئول عنهم والمرأة راعية على بيت زوجها وهى مسئولة عنه » وقوله صلوات الله عليه : « استوصوا بالنساء خيرا فانما هن عندكم وديعة لا يملكن لانفسهن ضرا ولا نفعاً وانما هن كأسرى بين ايديكم وانما اخذتموهن بامانة الله واستحللتموهن بكلمات الله فعاشروهن بالمعروف ولا تظلموهن وقوموا بحقهن . . . الخ . . . »

والشواهد الحسية والعقلية على ضعف المرأة كثيرة جدا كلها مؤيدة لما سبق نورد منها ما ذكره حضرة فريد افندى وجدى ضمن مقالة عنوانها « نظرة فى تحرير المرأة » نشرت فى جريدة المؤيد الغراء بعددها الصادرين فى ٣٠ سبتمبر واول اكتوبر سنة ١٨٩٩ . قال : « هل المرأة « مساوية للرجل فى سائر الحيثيات ؟ فالجواب لا . »

« وهل لدينا دليل حسى على هذا الجواب السلبى اصدق من وجود »

« المرأة من ابتداء الخليقة للآن تحت سيطرة الرجل يوجهها كيف يشاء »
« ويحكم عليها بما تقتضى امياله ؟؟ »

« اذا كانت المرأة مساوية للرجل من الجهتين الجسمية والعقلية فلماذا »
« رضخت كل هذه الالوف المؤلفة من الاعوام لسلطان الرجل وجبروته؟ »

« لا شك انا اذا لا حظنا ناموس الغلبة والقهر الذى مؤداه ان »
« القوى يغلب الضعيف ويأسره علمنا جيدا ان المرأة لا تساوى الرجل »
« فى جميع المواهب الطبيعية اذ لو ساوته فيها لحدثنا التاريخ باخبار التدافع »
« بين هذين الجنسين شأن كل عاملين متساويي القوة فى هذا الوجود . »
« ولكن الامر بالعكس فان المرأة ظلت راضخة لنير الرجل ولم تنل »
« ما نالته من حريتها فى اوروبا الا بسعى الرجل نفسه ورضاه بتخفيف »
« الوطأة عنها كما هو شأن القوى اذا اراد ان يخفف عن الضعيف »
« المقهور له شيئا من أثقاله »

« اذا سلمنا بهذا ولا مناص من التسليم به لانه عين الواقع وجب »
« علينا أن نبحث لنتبين كنه التفاضل بين الرجل والمرأة لندرك سر »
« انقلابها له ورضاها بسيطرته كل تلك المدة المستطيلة فنقول : »

« هل الرجل أقوى من المرأة جسماً ؟؟ الجواب نعم »

« وهذه حقيقة لامرية فيها ألبتة . ولو سلمنا جدلا أن ضعفها »
« ناشئ من استكانتها للرجل الذى كثيرا ما حملها ويحملها أحكام عوائده »
« وتقاليده المضرة بصحتها فان أقل نظرة لحالتها الطبيعية من حيث »
« لوازم الانوثة وعوارضها ومن حيث الحمل والوضع والارضاع »

« واستغراق عواطفها فى الهيمنة على اطفالها وهى الأمور التى »
« يخلو منها الرجل بالمرة — قلنا أقل نظرة فى حالتها هذه التى يعدها »
« الفسيولوچيون أمراضا — تكفى لان نحكم بانها اقل من الرجل قوة »
« ونشاطا »

« على أنا لا نسلم مطلقا كما قلنا بان المرأة لو القى حبلها على غاربها »
« وتحررت من كل قيد يمكنها أن تلحق شأو الرجل قوة وشدة . والا »
« فهذه أنانى الحيوانات كلها تدلنا حالتها الحيوية دلالة صريحة على ان »
« الخالق جل شأنه خلق الاناث أضعف من الذكور فى كل الانواع الحية »
« لحكمة بالغة ومقصد عظيم . لكن اثباتنا بان الرجل أقوى من المرأة »
« جسما لا يفسر لنا خضوعها له فى سائر أدوارها فان القوة العضلية »
« بمفردها لا تكفى للسيطرة والغلبة فى العالم الانسانى والا لتغلبت »
« الوحوش على نوعنا الضعيف وأجلته عن الوجود من زمان مديد . »
« فان كثيرا من أنواعها أشد منه قوة وأقوى عضلا . ومع ذلك هو »
« تغلب عليها وقهرها بقوة فكره وسعة ادراكه . اذن وجب علينا ان »
« ننظر فى هذه النقطة الى وجهة أخرى فنقول : »

« هل المرأة أضعف من الرجل ادراكا ؟ »

« نقول نعم . واحوال الشعوب الحاضرة والغابرة تؤيد هذا القول »
« بالشواهد العيانية فان كل الاعمال الاختراعية والاكتشافات العلمية »
« التى بنيت عليها سعادة الانسانية صدرت من الرجل دون غيره اللهم »
« الا بعض امور صغيرة تمت على يد المرأة فى العصور المتأخرة ولكنها »

« غير ذات اهمية ولو جمع الملايين منها لما وازت فوائدها ما احدثته »
« الآلة البخارية من التأثير العظيم فى احوال المدنية »

« يقول قائل نسلم لك ذلك لانه عين الواقع ولكن لاتنس انه »
« نتيجة ظلمها وحرمانها من تغذية قوتها الادراكية بالعلوم والمعارف »
« التى تهيئ الانسان للاشراف على دقائق الامور واستدرار منافعها . »
« فنجيبه بأن حالة المرأة نفسها تعارض هذا القول على خط مستقيم . »
« فانا نعلم ان نمو المدركة الانسانية كما يتوقف على الدراسة لمبادئ العلوم »
« الاساسية كذلك يستلزم العمل بها واجهاد النفس فى تنميتها واستزادة »
« مادتها وهو الامر الذي لا يتأتى الا بالانقطاع لها او على الاقل »
« بالتعرض لمناشئها . وبالتأمل فى حالة الرجل والمرأة من هذه الحيثية »
« نجد ان الاول بحكم الطبيعة متعرض لنفحاتها فى كل ادوار حياته فهو »
« من المدرسة الى مكابدة العمل ثم الى التعامل بين الناس سواء بالزراعة »
« او الصناعة والتجارة وكلها مناشئ لتربية المدارك وتوسيع نطاق »
« الملكات . بخلاف المرأة فان الوظيفة التى نيطت بها من الحمل الى »
« الوضع الى الارضاع الى التربية مع تدبير البيت تجبرها ان تصرف معظم »
« حياتها فى الابتعاد عن مصادر التغذية الفكرية . وبناء على هذا »
« يستحيل عليها ان تبلغ شأو الرجل فى سعة الادراك حتى ولو سلمنا »
« (ولو ان ذلك مناف لابحاث الفسيولوجيين) ان استعدادا الجنسين »
« لقبول المعلومات بدرجة واحدة . ولا يغرنا ما نسمعه عن بعض »
« النابغات بأوروبا وامريكا فى العلوم الطبيعية والفلكية فانهن فضلاعن »

« كونهن لم يبغلن شأو الرجال فيها على الاطلاق جانيات على هيأتهن »
« الاجتماعية بعدم ارادتهن الزواج الا بعد ان يشارفن سن الهرم تقريبا. »
« وبذلك فهن باشتغالهن بما لا ينفع وطنهن بشئ يذكر يحرمنه مما »
« يطالبهن به من الذرية الصالحة فان الواحدة منهن لو تركت أشغالها »
« الفلكية مثلا العديمة الجدوى ورضخت لحكم طبيعتها فتزوجت وهى »
« شابة لاستطاعت ان تهدى الجمعية بخمسة علماء من ذريتها يستطيع »
« الواحد منهم ان يؤدى اضعاف اعمالها مما يكون له أثر يشكر. نعم ان »
« عالمات العالم المتمدن يعددن جانيات فى نظر علماء العمران لا بتعادهن »
« عن الوظيفة الحيوية التى خلقهن لها الخالق عز وجل فقد ثبت بالاحصاء »
« ان المرأة العالمة لا تتزوج قبل ان يبلغ سنها الخامسة والاربعين كما »
« روته مجلة المجلات الفرنساوية. فقل لى بابيك ماذا ينتظر منها من »
« النسل بعد هذا السن وهل يستفيد الوطن من ابحاثها فى علم الطبيعة »
« او السياسة او التشريع مثلا بقدر ما يخسره من حرمانها اياه من »
« ذريتها التى ربما نبغ فيها فيلسوف مثل چول سيمون او طبيعى مثل »
« هكسلى او عمر انى مثل سبنسر ممن يفيدون الانسانية فوائد حقيقية ؟ »
« هذه الحالة يشكو منها الغربيون انفسهم ويعدونها تداخلا من المرأة »
« فى غير شأنها واشتغالا بغير ما هو مطلوب منها مما يبعد بها عن لوازم »
« جنسها وقد لاحظ ذلك الفيلسوف چول سيمون فقال ما معناه :
« انى لا اسر اذا كانت امرأتى دكتورة فانى اود ان تكون المرأة مرأة »
« وماذلك الا لعلمه انها بدكتوريتها فى التشريع مثلا لا تستطيع ان تجمع »

« بين دقائق القوانين ودقائق علم التربية الذى يطلب منها ويعتمد فيه عليها »

« نتيجة ما تقدم — يظهر لنا من كل ما تقدم وليس بعد الحس دليل »

« ان المرأة أضعف من الرجل جسما وادراكا. اما جسما فلكونها معرضة »

« للوازم الانوثة وهى كما أثبتنا أمراض تهد القوى وتضعف البنية بشهادة »

« الأطباء. وأما ادراكا فلكونها بحكم وظيفتها من تدبير المنزل وتربية اطفالها »

« والتحفظ عليهم غير معرضة مثل الرجل لمناشئ تنمية القوة الادراكية فتكون »

« النتيجة اللازمة لكل هذه المقدمات ان المرأة لا تساوى الرجل فى كل حيثية »

« انسانية. وبناء على هذا ومع ملاحظة ناموس التغلب يجب ان يكون الرجل »

« صاحب السيطرة المطلقة عليها اذ لا سبيل لمعارضة احكام الطبيعة بالأقاويل. »

« ولكن ذلك كله لا يمنع من مطالبة الرجل بالاعتدال فى تلك السيطرة »

« واعطاء المرأة حقوقها فى حدودها المعتدلة الحقة لا فى القاء حبلها على غاربها »

« وتركها وشأنها تحت مؤثرات الحياة المدنية التى كثيراً ما فتنت العباد »

« والزهاد فضلا عن ربات القلائد والنضاد اه . »

وظيفة المرأة — ظهر من ذلك ان للمرأة اعمالا غير ما للرجل ليست بالاقل اهمية من اعماله ولا بالادنى منها فائدة وهى تستغرق معظم زمن المرأة ان لم نقل كله : الرجل يسعى ويشقى ويكد ويتعب ويشتغل ليحصل على رزقه ورزق عياله. وامرأته ترتب له بيته وتنظف له فرشه وتجهز له اكله وتربى له اولاده وتلاحظ له خدمه وتحفظ عينه عن المحارم. وهو يسكن اليها الخ . الخ . . . قال بعضهم : « وقع خالد بن يزيد بن معاوية يوما فى عبد الله بن الزبير يصفه بالبخل وزوجته رملة بنت الزبير اخت عبد الله

حاضرة فاطرقت ولم تتكلم بكلمة مع زوجها فقال لها خالد مالك لا تتكلمين؟ أرضاً بما قلته ام تنزها عن جوابي ؟ فقالت لا هذا ولا ذاك ولكن المرأة لم تخلق للدخول بين الرجال وانما نحن رياحين للشم والضم فما لنا والدخول بينكم . . . .»

وروى عن اسماء بنت يزيد الانصارى رضى الله عنها انها اتت النبي صلى الله عليه وسلم وهو بين اصحابه فقالت : « يا رسول الله انى وافدة النساء اليك . ان الله بعثك بالحق للرجال والنساء فآمنا بك واتبعناك وانا معاشر النساء محصورات قواعد فى بيوتكم مقضى شهواتكم وحاملات اولادكم وانكم معاشر الرجال فضلتم علينا بالجمعة والجماعة وعيادة المرضى وشهادة الجنائز وافضل من ذلك الجهاد فى سبيل الله تعالى وان الرجل منكم اذا خرج حاجا او معتمرا او مرابطا حفظنا لكم اموالكم وغسلنا لكم ثوابكم وربينا لكم اولادكم أفما نشارككم فى الاجر يا رسول الله ؟» فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم الى اصحابه بوجهه الكريم ثم قال : هل سمعتم مقالة امرأة احسن من هذه عن امر دينها ؟ فقالوا يا رسول الله ما ظننا امرأة تهدى الى مثل هذا فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم اليها ثم قال : انصرفى ايتها المرأة وأعلمى من خلفك ان كل شئ حسن تفعله احداكن لزوجها طلبا لمرضاته وابتغائها موافقته يعدل ذلك كله . فأدبرت المرأة وهى تهلل وتكبر استبشارا

وقيل ان رجلا جاء الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه يشكو اليه سوء خلق زوجته فوقف ببابه ينتظره فسمع الرجل امرأة عمر رضى الله عنه

وهى تغلظ عليه بالقول وهو ساكت لا يرد عليها فانصرف الرجل وهو يقول اذا كان هذا حال امير المؤمنين مع زوجته فكيف حالى: فلما خرج عمر رأى الرجل موليا فناداه ماحاجتك: فقال له سبب مجيئه وما سمع. فقال عمر: « يا أخى انى اتحملها لحقوق لها علىّ : انها طباخة لطعامى خبازة لخبزى غسالة لثيابى مرضعة لولدى ويسكن قلبى بها عن الحرام . » فقال له الرجل: « يا أمير المؤمنين وانا اتحمل زوجتى . »

أليس معنى ذلك أن الله خلق المرأة للرجل للملاذ الدنيوية وحفظ الشؤون المنزلية وأنه لم يخلق النساء لمغالبة الرجال ولا للآراء والسياسات ولو شاء لاعطاهن الشجاعة والبسالة والفتوة والشهامة مع ان الامر بخلاف ذلك . ولو ارادت المرأة ان تسلك مسالك الرجال وتتعود على تحمل ثقيل الاعمال لتساوى الرجل فى جميع احواله وتضاهيه فى اقواله وافعاله أفلا يكون ذلك منها خروجا عن الوظيفة التى خصصها بها الله سبحانه وتعالى ؛ لانه كما ان نظام الكون وسعادته قضيا بان يخلق الناس اطوارا وبان اعمال الرجال يجب ان تكون مقسمة بينهم وبان يكون لكل منهم وظيفة مخصوصة ينقطع لها فيتقنها فطائفة للسيادة وطائفة للسياسة وطائفة للعلم واخرى للبأس والنجدة كذلك اراد الله ان يكون لكل من صنفى بنى الانسان (المرأة والرجل) عمل مخصوص لا يتعداه والا حصل الخلط والتشويش. وبمجموع عمليهما تتم السعادة لكليهما .

ولا يظن ظان أن هذا التقسيم فى الاعمال تحكم من الرجال وان المرأة قابلة للقيام بكل عمل منزلى أو غير منزلى لا فرق بينها وبين الرجل

لانا اذا قطعنا النظر عن الانسان ورجعنا الى انواع الحيوانات الاخرى التى لاتصنع عندها ولا تحكم لوجدنا أن الذكور منها اقوى بطشا واشد بأسا واقدر على العمل واصبر على المشاق . وتأمل الى الطيور التى تطير جماعات وتسبح فى البحار زرافات تجدها تسير تحت قيادة الذكور وتنام تحت حراستها وتنضوى تحت حمايتها وتجد الفرق بين الصنفين ظاهرا فى الرواء والحسن والبنية والقوة . واذا امعنت النظر فى الحيوانات تجدها إما بيوضا وإما ولودا فالبيوض منها تقضى المدد الطوال فى تحمل البيضة ثم وضعها فى وكنة أو عش ثم احتضانها حتى تفرخ ثم تعهد فرخها الصغير وجلب الاقوات له حتى يقوى على الطيران والتحصيل . والولود منها تقضى زمنا اطول من ذلك فى الحمل والفصال والرضاع والتعهد والمدافعة بحيث يشغلها ذلك عن كل شاغل .

ثم ارجع الى الانسان تجد هذا الفرق بذاته وتحكم ان المرأة كغيرها من إناث الحيوان تحتاج لان تقضى مدة من الزمان فى الحمل والوحم والولادة والرضاع وتعهد الطفل حتى يترعرع وينمو ثم بعد ذلك لا تخرج من العهدة بل تشارك زوجها فى تربيته وتعويده على العوائد والاعمال المطلوبة .

وهى فى كل ذلك لا ينبغى أن تكون مشغولة بغير ذلك من الاعمال الخارجية كالوظائف والصنائع الشاقة والزراعة والجندية لان اعمالها السالفة الذكر تحتاج الى السكون والاطمئنان وراحة الفكر . فقد ظهر لك ان الطبيعة التى فطر الله الناس عليها جعلت المرأة فى حيز مخصوص وحددت

لها اعمالا لا يمكن أن تكون للذكر فاذا حاول محاول تسوية المرأة بالرجل من كل الوجوه يكون قد حاول خرق سياج الطبيعة وتبديل السنة الفطرية : ولن تجد لسنة الله تبديلا .

ولقد حصلت فى احد المجامع مناقشة بين عدة من فتيان وفتيات فاخذت فتاة تخطب فى ان الرجال هاضمون حقوق النساء ولماذا لاتدخل المرأة فى الوظائف العامة ولم لايكون من النساء وزيرات ومديرات وقاضيات ونائبات ؟ ولم لا يشتغل الرجال ببعض الامور المنزلية ؟ فقال لها فتى من الحاضرين نحن مستعدون لتسليمكن كل هذه الوظائف ولكن على شرط أن تقمن باعمال الجنود من حفر خنادق وبناء استحكامات ومكافحة وقت اشتعال نار الوغى واستخراج فحم ومعادن من المناجم ومباشرة حرث وزراعة فى الغيطان وبناء جسور على الانهر وحفر ترع وغدران . فقالت الفتاة: فى الامكان ان نقوم بهذه الاعمال اذا لم نتزوج ونحمل ونلد. فقال: اذا كان غرضكن أخذ هذه الوظائف مدة ثم قيام الساعة بعدها فانتظرن آخر الزمن!!. ولقد ايدت لنا ذلك المشاهدات الحسية فقد قرأنا فى مجلة انيس الجليس الصادرة فى ٣٠ سبتمبر سنة ٩٩ ان عدد النساء المشتغلات فى الولايات المتحدة بالفنون الجميلة والآداب قد زاد من سنة ٧٠ الى العام الماضى زيادة فاحشة وأردفت ذلك بقولها :« ولكن يظهر أنه كلما أمعنت المرأة فى التوسع بالفنون والعلوم زاد الرجل فى طلاقها وكان اكثر ذلك فى الولايات المتحدة فان الطلاق يمتد فيها الى حد غريب غير موجود فى هذه البلاد الاسلامية وسواها . »

هذا ولقد ثبت لعلماء العمران ان توزيع الاعمال اقوى معارج التقدم والمدنية فاذا اشتغل النساء باعمال والرجال باعمال كان من وراء ذلك التقدم والنجاح . وناهيك بالفساد الذى نراه من الرجال الذين يتشبهون بالنساء والنساء اللاتى يشتبهن بالرجال. ولقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا الاثنين وروى عن عمار بن ياسر عن النبي عليه الصلاة والسلام : « ثلاثة لا يدخلون الجنة : الديوث والمترجلة من النساء ومدمن الخمر.» وفسر المترجلة بالتى تتشبه بالرجال .

وقد قضت الشريعة الاسلامية الغراء وقوانين غالب الممالك بقصر السلطنة والقضاء والامامة على الرجال دون النساء . وليس عدم استخلاف النساء وتقليدهن هذه المناصب لعدم وجود من يصلح لذلك فقد قال عروة بن الزبير لذكوان:« لو طابت امرة لامرأة بعد النبوة لاستحقت عائشة الخلافة » اذاً لماذا ذلك وكلنا نسلم ان الشريعة السمحاء لم تأت حكما عبثا بل لابد لكل مبدإ قررته من حكمة مقبولة معقولة ؛ أليس ذلك لكون النساء يوصفن بالنقص عن الرجل فى مهمات الامور الحسية والمعنوية ؛ على أن من تقلد منهن الملك فى الممالك المبيحة لذلك وأفلح فلم يكمل له الفلاح . واذا كمل له فهو من النادر الذى لاحكم له ومع ذلك يكون معظم الفضل ان لم يكن كله للرجال الذين يدبرون الملك فى عهدهن .

هذا وقد اجمع علماء التوحيد على ان الله سبحانه وتعالى لم يبعث نبيا من النساء مع كونه بعث مالا يحصى من الذكور:«منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك» فاذا كان الله سبحانه وتعالى جعل تدبير امور

الجمهور وتنظيم الشرائع والقوانين والوساطة بينه وبين عباده بيد الرجال ولم يجعل للنساء فى ذلك نصيبا فأى امرأة تقصد بعد ذلك ان تتعدى طورها واى رجل يريد ان يساعدها على ذلك يكونان قد اعترضا على حكمة البارى وخالفا الشرائع السماوية ومن لم يعتد بالشرائع السماوية فلا كلام لنا معه ولا جدال .

اقرار بعض علماء الفرنج والسبرات انفسهم « بان المرأة لا يلزم ان تتعدى وظيفتها »

وهذا هو رأى كثيرين من علماء اوروبا كما علمنا مما سبق ايراده ونزيد عليه ما يأتى :

كتب العلامة الشهير والفيلسوف العمرانى طائر الصيت چول سيمون الذى عدد مآثره امبراطور المانيا على رؤوس الاشهاد مقالة فى مجلة العلماء عن المرأة الاوروبية وسوء تأثير التربية الافراطية عليها وعلى مجتمعها برهن فيها على ان الحقوق التى تنتحلها المرأة المتمدنة لنفسها خروج عن الحد وغلو كانت نتيجته وخيمة للغاية وشدد النكير كثيرا على اشتغال النساء خارج بيوتهن ومزاحمتهن للرجال فى الاعمال عاداً ذلك مقوضا لبناء المدنية مفسدا للنظامات العائلية واستطرد فى الكلام الى ان قال: « المرأة التى تشتغل خارج بيتها تؤدى فى الحقيقة عمل عامل بسيط ولكنها لا تؤدى عمل امرأة » ثم قال: « النساء قد صرن الآن نساجات وطباعات الخ وقد

استخدمتهن الحكومة فى معاملها . وبهذا فقد اكتسبن بعض دريهمات ولكنهن فى مقابلة ذلك قد قوضن دعائم عائلاتهن تقويضا. نعم ان الرجل قد صار يستفيد من اجرة امرأته ولكن بازاء ذلك قد قل مكسبه لمزاحمتها له فى عمله » ثم قال : « وهناك نساء ارقى من هؤلاء تشتغلن بمسك الدفاتر وفى محلات التجارات ويستخدمن فى الحكومة كمعلمات وبينهن عدد عديد فى التلغرافات والبوستة والسكك الحديدية وبنك فرنسا والكريدى ليونيه ولكن هذه الوظائف قد سلختهن من عائلاتهن سلخا.» ثم اطنب فى مضار ذلك وختم فصله بقوله : « يقول بعض الفلاسفة ان الحياة محفوفة بالمكارة ولكنهم ربما قالوا ذلك لانهم لم يذوقوا طعم الحب طول عمرهم . أما أنا فاقول : ان الحياة طيبة هنيئة بشرط ان يلزم كل من الرجل والمرأة المحل الذى خصصه الله تعالى لكل منهما . » اهـ

هذا ما قاله ذلك الفيلسوف وقد عرفنا من هو فلا يصح ان نضرب بقوله عرض الحائط . ولنلتفت الآن الى ما قاله مستر (لوسن) الكاتب الاميركى الشهير فى مجلة المجلات التى هى اشهر مجلات العلم فى العالم (مجلد ٢٥) عن المرأة الاميريكية وما آل اليه أمرها : وصف هذا الكاتب الحر المرأة الاميركية وصف رجل لا يغره الظاهر المموه ولا تغشه خضراء الدمن مما يجب على الشرقى ان يتدبر فيه ويستفيد منه ليتخذه عبرة تزعه عن التقليد عن غير روية . قال جنابه بعد كلام طويل : « اما تدبير المنزل فيثير لهن ضجرا لا يستطعن اخفاءه لانهن فى الحقيقة لا يردن ان يكن ربات عائلات بل يردن ان يكتفين بانفسهن مع انهن

لا يستطعن ان يفقدن كثيرا من الزمن لا فى الخياطة ولا فى المطبخ » ثم قال : « فالمرأة الاميريكيـة لا تقرأ ولا تحفظ بل ولا تفتكر فى شئ كما يجب . اما معظم شغلها الشاغل فهو التزين والتبرج فتراها تعتمد على ظرافتها وجمالها لكى تسلب فؤاد حامل الدولارات (الريالات) الذى يعطيها الحق فى ان نصرف كما تشاء لتبل أُوام مابها من البذخ والترف » ثم قال بعد ان سرد لها مساوى كثيرة : «هذه الحالة النفسية الشديدة التهديد لمستقبل العنصر الاميريكى قد وصفتها بدون غلو ولا تقصير حيث لم اكتم شيئا مما يتعلق باستعصاء هذا الداء الدوى .» اه ملخصا من مقالة لحضرة فريد افندى وجدى نشرت بالمؤيد الاغر بعنوان (نصيحة للباحثين فى تهذيب المرأة)

هذا وقد نقلت اليناجريدة الاهرام الغراء فى عددها الصادر فى يوم ١٩ سبتمبر سنة ١٨٩٩ ضمن مقالة افتتاحية عنوانها (المتكلنزون وحكم انكليزى عليهم) خطبة لذلك الانكليزى وهو الفيلسوف الشهير المستر (بضلى) اختتمها بذمه انتشار مذهب حقوق النساء السياسية فى انكلترا ونصح لفرنسا ان تتجنب هذا الخطر . وفهم بعض السيدات الانكليزيات انفسهن ان وراء مذهب حقوق النساء ما وراءه من الخطر على المجتمع الانسانى فقامت من بينهن العالمة «مس فرنسيس لو» وناهيك بالمرأة الانكليزية علما وتربية ونشرت فى مجلة القرن التاسع عشر رسالة اختتمتها بما يأتى كما عربتها لنا جريدة الأهرام الغراء فى عددها الصادر يوم ٩ ستمبر سنة ١٨٩٩ قالت بعد ان ذكرت اعمال المؤتمر الذى عقده بعض النساء بلوندرة فى هذا العام :

«ان مؤتمراً كالذى تقدم ذكره يؤدى الى زرع العداوة والبغضاء بين

«الجنسين اللذين يتألف منهما النوع الانسانى لان كلا منهما قد وهبه الخالق»
«عز وجل صفات ومزايا خاصة تمكنه من القيام بالعمل الذى ارصدته له»
«الطبيعة على مبدإ التعاون والتناصر فلذلك كان كل مسعى الى تحقيق»
«سعادة احدهما دون النظر الى سعادة النوع كله سعيا خبيثا يؤيده رأى»
«فائل واهل باطل. وكأن المؤتمر بذلك يدل على ضيق مداركه وخطل آرائه»
«وقلة فطنته لانه يسعى الى خلط النابل بالحابل وتشويش نظام الجمعية»
«البشرية كلها وقلب شرائعها الالهية وقوانينها المدنية الانسانية رأسا»
«على عقب: وما كان احراه ان لا يلتئم له شمل اذا كانت هذه هى الغاية»
«التى يسعى اليها والمبادئ التى يعول عليها . . . .» اهـ

واتماما للفائدة نورد هنا ايضا ما كتبه فى هذا الموضوع حضرة فريد افندى وجدى ضمن مقالته سالفة الذكر قال :

﴿ هل للمرأة أن تشتغل باشغال الرجال ؟ ﴾

«نحن اذا عرفنا حقيقة المرأة من انها ذلك الكائن الانسانى الذى اعدته»
«العناية الالهية لحفظ النوع البشرى واستدامته ووهبته سائر الخصائص»
«والمواهب التى يقوى بها على أداء هذه الخدمة . ثم ادركنا جيداً ان هذه»
«الخدمة لاجل أن تؤدى كما يجب تستغرق جل أوقات المرأة علمنا بدون»
«أدنى شبهة ان المرأة لم تخلق لتتعاطى أشغالا خارج بيتها الذى يأوى اليه»
«صغارها المحتاجون فى كل لحظة للعناية والملاحظة. ثم تحققنا تبعاً لذلك ان»
«القاء المرأة بنفسها فى معترك الحياة الخارجية هو تعد منها لحدودها الطبيعية»

« ويجب أخذ جميع الوسائل الفعالة دون انتشار ذلك التعدى بالطرق الحكمية »
« الحافظة لسعادة الهيئة الاجتماعية . هنا يمكن ان يعترض علينا المعترضون »
« قائلين: ألم تر تلك الشعوب الافريقية والاسيوية مثلا كيف تشتغل النساء »
« مع الرجال كتفاً لكتف ولولا ذلك لما استقام لسكان تلك البلاد معيشة ؟ »
« نقول نعم كل ذلك صحيح وهو مظهر من مظاهر أسر الرجل للمرأة وأثر »
« من آثار حرمانه اياها من حقوقها الطبيعية شأن القوى مع الضعيف . ونحن »
« فى مجال لا يجوز لنا أن نتخذ حال الهمجية دليلا على نظرياتنا العمرانية »
« ولو دقق المعترضون النظر لرأوا ان السبب الرئيسى لتأخر تلك الشعوب »
« فى ميادين المدنية هو اشتغال المرأة بغير وظيفتها والزام الرجل لها بترك »
« اولادها تحت رحمة الصدف والمقتضيات الطبيعية وهى غير كافية لابلاغ »
« الانسان كما له المرجو له والذى خلق لاجله ولذلك فان جهابذة علماء »
« العمران يعتبرون طروّ عادة الاسترقاق على مابها من فظاعة مبدأ من »
« مبادئ الرق البشرى لان حدوثه خفف عن عاتق المرأة أثقالها ووهبها »
« من الدعة والراحة مايسمح لها بتنمية قوتها العقلية وتربية اولادها نوعا »
« ما . هذه حقيقة عمرانية يمكن الاطلاع عليها فى كتب علم الاجتماع »
« البشرى . اذن لم يبق علينا الآن الا أن نثبت أن الحياة المدنية تنافى »
« تعاطى النساء أشغال الرجال . وهل لدينا دليل أصدق من الاستناد »
« على مشاهدات علماء العمران فى هذا الشأن : »

« قال الاستاذ (فيرو) البحاث فى أحوال الانسان وتطوراته : انه »
« يوجد فى انجلتره كثير من النساء اللواتى يتعاطين أشغال الرجال ويتركن »

«الزواج بالمرة وأولاء يصح تسميتهن بالجنس الثالث أى انهن لسن برجال»
«ولا بنساء لمنافاتهن للاول طبيعة وتركيبا وللأخريات وظائف وأعمالا .»
«وقد درس هذا الاستاذ أحوالهن درسا مدققا فوجد أنهن بتركهن الزواج»
«وانتزاعهن أنفسهن من وظائفهن الطبيعية كالامومة وما يتبعها قد تغيرت»
« احساساتهن عن احساسات بنات جنسهن وصرن فى حالة من الكآبة »
« تشبه أعراض الماليخوليا. فكأن الفطرة البشرية تقيم عليهن الحجة على»
« اغفالهن حقوقهن. ثم قال: «وقد ابتدأ علماء العمران يشعرون بوخامة عاقبة»
«هذا الامر المنافى للسنن الطبيعية فان هاته النسوة بمزاحمتهن للرجال صار»
«بعضهن عالة على الجمعية لا يجدن مايشتغلن به ولو تمادى الحال على هـذا»
« المنوال لنشأ منه خلل اجتماعى عظيم الشأن. » هذا موجز ما كتبه ذلك»
«الاستاذ ومنه يتضح للقارئ اللبيب وجوب الحذر من تمهيد السبل امام»
« النساء لتعاطى أشغال الرجال بالوسائل العادلة الكافلة لراحة الجنسين»
«وليس ذلك بالعزيز علينا لو وقف بعضنا نفسه كما هو حاصل فى أوروبا»
«على درس دقائق علم الاجتماع وارشاد الحكومات لما يرونه أضمن لحفظ»
« أجزاء الهيئة الاجتماعية . » اهـ

اذا تقرر ذلك وعلم ان المرأة اضعف من الرجل وان الرجل راعيها وأن لها عملا مخصوصا محدودا لا يصح ان تتعداه فكيف يطلب منا ان نسوى بين من لم يسوّ الله بينهما ونخالف حكمته ؛ أليس الله هو الذى جعل حظ الرجل مثل حظ الانثيين؛ أليس هو كذلك الذى جعل شهادة الرجل الواحد تعدل شهادة امرأتين ؛ وليت شعرى ماذا يقول الشرقى

المسلم بعد أن يتدبر اقوال علماء العمران سالفى الذكر: أيصح أن يصر على فكره الاول من ضرورة احتذاء المرأة الشرقية شاكلة المرأة الغربية أم يلزمه ان يتخذ هذه الاقوال عبرة ويجعلها وامثالها نصب عينيه لتتمكن من وضع قاعدة حكيمة لتربية نسائنا على موجبها كى ينتجن النتيجة التى ينتظرها منهن كل محب لبلاده وجامعته الملية. وديننا فيه والحمد لله الكفاية للحصول على ذلك كما ترى فى الباب الثانى من هذا الكتاب. واذا كنا نريد بالنساء المسلمات خيرا حقيقة ورفقا فما علينا الا ان نتبع ما جاء فى كتاب الله العزيز وفى احاديث نبيه الهادى الى الطريق المستقيم فانهما مع هذا الفرق بين الرجل والمرأة فى التركيب الطبيعى وفى الطبائع والحقوق ومع تقسيم العمل والوظائف بينهما قد حثا على حسن معاملة النساء والرفق بهن والاستيصاء بهن خيرا بآيات واحاديث مسطورة فى كتب السنة المعتمدة. وكما جعل الله سبحانه وتعالى حقوقا للرجل على المرأة طالب الرجل بما لا يقل عن تلك الحقوق بالنسبة لامرأته كما هو معلوم ايضا لتتوفر اسباب السعادة والوفاق بينهما.

على أن من انصف سلم بان المرأة عند اغلب المسلمين الآن وقبل الآن هى صاحبة الامر والنهى فى بيت زوجها والقول قولها. وكم من رجل لا يمكنه ان يبدى اى رأى او يعمل اى عمل الا بعد ان يشاور زوجته وان يكن فى قلبه من مشوراتها حسرات وغصص لجهالته المترتب عليها طبعا جهالتها. ولنختتم هذا الباب بذكر ما نتج عن تحرير المرأة فى اوروبا ليتحقق لذى عينين ان كان يليق بنا ان نقتدى بالاوروبيين فى ذلك ام لا:

﴿ ماهى نتائج تحرير المرأة فى اوروبا ﴾

قال حضرة فريد افندى وجدى تحت هذا العنوان : لا نظن ان
«المرأة قاست من آلام الاسر فى بلد مثل ما قاسته فى أوروبا من اول»
«أدوارها لغاية القرن السابع عشر. ونحن هنا لا نود ان نتوسع فى بيان»
« الفظائع التى كانت تعامل النساء بها فى تلك البلاد الغربية . ولكننا نقول »
« اجمالا ان المرأة كانت هنالك تعد من ضمن العجماوات سواء بسواء . بل »
« ربما كانوا يكرمون العجماوات اكثر منهن فى بعض الاحوال . »
«فان امامنا الآن من أخبار القرون الوسطى انهم كانوا يحرمون على المرأة»
«أكل اللحوم ويجبرونها على ملازمة المآكل النباتية كما يمنعونها من الضحك»
«والكلام. ولكننا لم نر من اخبار تلك القرون انهم حرموا على الهرر تناول»
«اللحم او حرموها من اللعب والقفز امام من يقتنيها . نعم بلغ أسر المرأة»
«فى الغرب الى درجة وحشية جداً حتى تطرف كثير منهم وزعموا ان المرأة»
«ليست من نوع الانسان بل هى من نوع وسط بين الحيوان والبشر .»
«والف احد علمائهم فى ذلك كتابا سماه **هل للمرأة نفس** ولكن لما ترقت»
«المدارك ولطفت الاحساسات أدرك الرجل شدة هضمه لحقوق المرأة »
« فأخذ فى اطلاق العنان لها شيئا فشيئا وساعد على ذلك فشو الالحاد فى »
« بعض الطبقات تحت آثار التعاليم المادية التى انتزعت منهم كثيراً من»
«الكمالات الانسانية فمالت النفوس الى الشهوات البهيمية واستلزم ذلك»
«التغاضى عن تبرج النساء فقوى شأنهن تدريجاً حتى قمن فى السنين الاخيرة»

« (تحت حماية الرجل) يؤلفن الجمعيات للمطالبة بحقوقهن المهضومة التى »
« تخولهن على زعمهن التربع فى دسوت الوزارات وتقلد المراكز السياسية »
« لقيادة الشؤن الاجتماعية . وليت الامر وقف عند هذا الحد بل سرى »
« فساد الاخلاق اليهن سريانا يخجل الكاتب من سرد وقائعه الشائنة »
« وتعداد حوادثه المخجلة »

« الم تر ان المرأة التى كانت محرما عليها اكل اللحم صارت تشاطر الرجال »
« فى الجلوس على المنتديات العمومية؛ الم ترها بعد ان كانت محجوراً عليها »
« غير الصلاة وطاعة زوجها طاعة عمياء قد صارت الآن تحسو بنت الحان »
« على رؤوس الاشهاد حتى لاتجد فى ساقيها قوة توصلها الى بيتها الذى فيه »
« صغارها فتطرح نفسها على افاريز الطرقات وهى سكرى لا تستطيع »
« حراكا فيحملها رجال البوليس لتبيت فى الضابطة . فقد دل الاحصاء فى »
« بعض البلاد المتمدنة على ان البوليس يجد فيها سنويا ما يزيد عن العشرة »
« آلاف امرأة ملقاة فى الطريق ثملا . وليتهن وقفن عند هذا الحد المدهش »
« فان بعض المتعلمات منهن قد فقدن فضيلة الحياء لدرجة صرن يؤلفن »
« الكتب يندبن فيها بعادة الزواج مدعيات انها من آثار الوحشية الأولى »
« قائلات ما هذه العادة السيئة التى تحرم المرأة من التمتع بابلاغ عواطفها »
« الحيية مشتهياتها ؛ ما هذه التقاليد التى تربط المرأة بالرجل ارتباطا دائما »
« فتجبرها على ملازمة رجل قبح فى عينها لرؤيتها من هو اجمل منه ؛ ماهذا »
« الرباط الحديدى الذى يمنع المرأة من ان تنصاع لاميال فؤادها السريع »
« التقلب الكثير الاحساس بالانفعالات المختلفة ؛ كلا . يعار على الهيئة »

«الاجتماعية ان تذر هذه التقاليد القديمة حية للآن ويجب على ربات الجمال»
«ان يبذلن وسعهن للتخلص منها بكل الطرق الممكنة . هذه كلها مقولات»
«بعض المتغاليات من نساء العالم المتمدن وهذه الحالة قد اقامت علماء العمران»
«وأقعدتهم وجعلتهم يتوقعون انهدام عظمة أوروبا بيد المرأة الضعيفة اذا»
«لم يتوصلوا الى ايقافها عند حدها»

«قال المسيو (جان فينو) مدير مجلة المجلات فى فصل ذكر فيه غلواء»
«النساء فى الحرية والمصائب التى جرتها على المدنية: «نقول بغاية الأسف»
«ان المرأة التى بواسطتها تهذبت أوروبا ستكون هى نفسها هادمة تلك»
«المدنية الزاهرة بيديها . بازاء هذه النزغات فان عقلاء القوم لا يدرون»
«كيف يوقفون سير هذا التيار الشديد الاندفاع الذى ابتدأ يجرف امامه»
«كل الكمالات الاخلاقية التى بنيت على اساسها عظمة العالم المتمدن . »
«قال الكاتب الشهير (جول بوا) بعد سرده مساوى المرأة فى بحبوحة»
«الحرية : « وبانتظارنا على هذه الحالة ستثنينا المرأة تحت سلطة جرائدها»
«وصناعتها وفلسفتها التى لم تحسن استنتاجها للآن . فترى افكارنا قد تشبعت»
«باخلاقها السامة التى تبعث النفوس الى البذخ البالغ حد الجنون والسفه.»
«فهى لا تفتأ تحبب الينا البطالة وقلة النظام وتبرهن لنا على انه يجب على»
«الانسان ان يتسفل فى امياله لكى يصل الى معالى الامور. » هذا قول»
«كاتب من فطاحل كتابهم وما يقوله غيره فى هذا المعنى لا يدخل تحت»
«الحصر فلا لزوم للاستزادة منه فى هذه العجالة. ولا يحسبن القارئ ان هذا»
«ناشئ من حسد الرجال للنساء على ما نلن من حرية فان عقلاءهن ايضا قد»

«ادركن هذا الفساد ووخامة عاقبته فقمن ينصحن لاخواتهن بالاعتدال»
«والتوسط فى أمورهن ولا يتأخرن عن اظهار ما يختلج بضمائرهن لمن»
«يسألهن عن آرائهن. واليك معنى ماقالته احدى العاقلات للمسيو (جول بوا)»
«بعد ذكرها احوال النساء: «هذه الحالة هى مهواة جنس من الاجناس»
«ونهاية جيل من الناس لم يفكروا الا فى شهواتهم البهيمية حتى انتهى بهم»
«الامر الى حد اليأس المهلك. الى ان قالت: «ان داء الضجر العضال ينتابنا»
«معشر النساء المتبرجات جميعا وان اذ كانا تدرك ساعة هدوها انها غير صالحة»
«لشئ ما . ارح نفسك فانا سنتلاشى بهدو وسكينة بدون مقاضاتنا امام»
«العدالة وان كل ما لنا من جمال ورواء سيصير أثراً بعد عين . » هذه»
«شهادة امرأة عاقلة على بنات جنسها ممن يتغالين فى الحرية والترف. فهل»
«بعد هذا يجوز لنا ان نحتذى حذو اوروبا فى هذا الشأن الخطير؟ أليس»
«يجب علينا بعد هذه المشاهدات ان ندرس هذه المسألة جيداً ليتضح لنا»
«مثار الفساد الذى جرته اوروبا على نفسها ولم تستطع ان تصدم تياره بما»
«لديها من وسائل وحكمة ؟ نعم ان هذا من اوجب الواجبات علينا. قبل ان»
«نخطو خطوة واحدة فى سبيل اعطاء المرأة حقوقها لان العاقل من يتعظ»
«بغيره . » اه

واذ قد علمنا ماهى المرأة وماهى حقيقة وظيفتها وانها راعية على بيت زوجها حافظة لامواله مربية لاولاده فلنبحث الآن فيما يلزم أن تكون متخلقة به وفيما يلزم أن تتعلمه لتؤدى وظيفتها المطلوبة منها خير تأدية فنقول :

الباب الثاني

ما ينبغى ان تكون المرأة متخلقة به . ويدخل فى هذا المبحث ماهية التربية الصحيحة وطرق الوصول اليها .

الفصل الاول

تمهيد — تسليم الكل بوجوب التربية — حالتنا الحاضرة فى التعليم والادب — مداواة الحالة الحاضرة .

تمهيد — من المعلوم المقرر انه متى صح التواد بين الزوجين توفر الهناء وتمت السعادة وتبودل الاحترام بين جميع افراد العائلة وساد الوفاق وامتنعت اسباب الشقاق وكان الامر بينهم شورى . فما احسن الزوجين المتمتعين فى منزلهما بالسعادة والهناء وبحسن ادارة المنزل وما احسن الزوج الذى يحسن ارضاء زوجته والزوجة التى تحسن ارضاء زوجها

ومعرفة ارضاء احد الزوجين للآخر فن دقيق لانه يستدعى كمال التربية واعتياد كل من الزوج والزوجة على تحسين احوال المنزل المشترك بينهما وتنظيمه وترتيبه بقدر ما يمكن ومعرفة الاعتناء بالوسائل التى تستدعيها الصداقة بين الزوجين لاشتراكهما فى المنفعة العمومية . فروابط الوداد الاكيدة بين الزوجين يتولد منها ثقة عظيمة فى افعالهما واقوالهما وجمع قلوب

بعضهما على بعض فيكون كل منهما قوى الوداد شريف الفؤاد . فاذا حصل التناسل والذرية تأكدت هذه المحبة التى قضت بثبوتها الزوجية واقتدى الاولاد بالوالدين فى المحبة المتبادلة وفى الاشغال المنزلية الموجبة للعمران.

وكان نساء السلف اذا خرج الرجل الى عمله يقلن له: « اتق الله ولا تكسبن الا من حلال فانا نصبر على الجوع ولا نصبر على النار. » وهمَّ احدهم بالسفر فقال جيرانه لزوجته : « لم ترضين بسفره ولم يدع لك نفقة فقالت زوجى منذ عرفته عرفته اكالا وما عرفته رزاقا ولى رب رزاق : يذهب الاكال ويبقى الرزاق » هذه عبارات لو نظرها الانسان بعين الانصاف لوجدها صالحة لان تشرح بمجلدات تقوم عليها دعائم السياسة ونظام الملك

تسليم الكل بوجوب التربية — لذلك اهتم كل الامم بتربية البنين والبنات وتهذيب اخلاقهم. ووجوب التربية اصبح مسلما به من العموم ومن البديهيات التى يعترف بها كل قاص ودان. ومع ذلك كثرت المباحثات واشتغل العلماء والافاضل فى هذا الموضوع لا لاثبات لزوم ذلك بل لبث الرغبة أو الرهبة أو كلتيهما فى الناس لأن حب الخير وحده ليس كافيا فى سعادة الامم بل لابد من العمل هدانا الله اليه .

ولم يقتصر الاسلام فى ذلك كما يظن خصومه الذين يدعون ان لا تربية عند المسلمين خصوصا للبنات إما تعنتاً لغاية فى النفس يريدون قضاءها او جهلا منهم باحكام الشريعة الغراء خصوصاً ما يتعلق منها بمكارم الاخلاق واحكام المعاملات بجميع انواعها فيغترون بما يشاهدونه من سوء الاعمال وفساد الاخلاق وخرق سياج المروءة بما تأباه الانسانية فيظنون ان هذه

المنكرات مقتضى الشريعة الغراء وصريح القرآن الكريم ويستنتجون من ذلك ان الدين الاسلامى الذى فيما يظنون هو هذه المنكرات انما هو امارة الدمار والمؤذن بالبوار وانه عنوان الخراب وابعد الاشياء عن نظام الممالك وعمران البلاد الى آخر ما يرمونه به مما هو منه برآء

وليس الغريب جهل هؤلاء القوم او عنادهم انما الاغرب منه ما نشاهده من بعض جهالنا الذين يكادون ينكرون البديهيات اذا قالها القرآن ويذعنون للمستحيلات متى عزيت الى المسيو والمستر فلان ..... ولله فى خلقه شؤون .

ومن نظر بعين الانصاف وجد ان فى الشريعة الاسلامية من الحث على علو الهمم واكتساب المحمود وطلب المعالى والتنزه عن سفاسف الامور وعن ان يكون المرء عالة على الناس ما لا يسعه هذا الكتاب. وكذلك فيها من آداب سنية واخلاق زكية تضمن اصلاح النفس والجسم وحسن التربية والاخلاق ما يكفى لعمار الممالك وضمان السعادتين الدنيوية والاخروية. وكان السلف يعودون ابناءهم عليها فيشبون عليها فيأخذها عنهم ابناؤهم وبذا اصبحت الدنيا لهم ولم تول عنهم الا يوم تولوا عن الدين وحادوا عن مبادئه ولم يأتمروا بأوامره ولم ينتهوا بنواهيه . يوم اهملوا تربية الاولاد التربية الحقة. التربية التى يقتضيها الدين. التربية الصحيحة التى تنطبق تمام الانطباق على احكام القرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. يوم دهمتنا المدنية الغربية على فجأة بعد أن هبطنا من عظمتنا الاولى وظللنا قرونا عديدة تتوزعنا الفتن وتتقاسمنا الاحن فاحدث لدينا ذلك الانقلاب

الفجائى دوارا اجتماعيا جعلنا نتخبط فى سيرنا ونضطرب فى اعمالنا على غير هدى.

يوم دهمتنا المدنية الجديدة على ما بها من بهجة ظاهرية فظننا أن ذلك منتهى ما يدركه الانسان من الكمال فالقينا انفسنا فى مضمار التشبه والتقليد وتسابقنا فى باحات التكيف بما توهمناه اصولا لذلك الكمال البشرى فهبطنا الى درجة ادنى مما كنا فيها واى هبوط .

يوم جهلنا ان الذى جاء به الاسلام من الاحوال والاحكام هو الذي مدن بلاد الدنيا على الاطلاق وانبعثت انوار هديه فى سائر الافاق ايام كان الناس عاملين باحكامه فنبذنا اصوله وانقدنا لاهوائنا واهواء غيرنا فكان جزاؤنا ما اصبحنا فيه من الفشل والاختباط . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اتيتكم بشريعة حنيفية بيضاء لم يأت بها نبى قبلى ولو كان أخى موسى وسائر الانبياء فى زمنى لم يسعهم الا اتباع شريعتى »

فاذا كنا نريد اصلاحا حقيقيا لمجتمعنا فما علينا الا أن نبنى كما كانت اوائلنا تبنى ونفعل مثل ما فعلوا ولنعمل على تربية ابنائنا تربية صحيحة حقة حتى يأتى يوم نعيد فيه اذا استطعنا مجد آبائنا ونحصل على السعادة الداخلية والخارجية والهناء فى الدارين .

وحيث كان الاطفال ذكورا او إناثا محتاجين للتربية — لانه لا يوجد احد يسلم بان التربية الحاصلة الآن للذكور كافية وكافلة لتخريج رجال يصح ان يكونوا ازواجا لنساء متربيات التربية الصحيحة التى ندعو اليها ويأمر بها الدين ولا ان يكونوا آباء يهذبون ويقومون أخلاق أبنائهم ويربونهم تلك التربية المطلوبة — فلذلك وجب على كل من يرغب فى تحسين حال

البلاد ويغار على امته وملته ووطنه ان يسعى جهده فى الوصول الى هذه الغاية .
وياليت اللجنة أو الجمعية التى أشارت الى تشكيلها الجرائد لتحرير المرأة الشرقية تقوم وتتشكل لتبحث فى ايجاد انجع الطرق واسهلها لتربية البنات والبنين معاً التربية الصحيحة الاسلامية. وياليتنا جميعا نقوم من غفلتنا ونهب من رقدتنا بعد ان صرنا فى حالة من الجهالة وفساد الاخلاق يرثى لها العدو قبل الصديق فنعمل بما يفرضه علينا ديننا ونقوم بما علينا من الواجبات لابنائنا. ولا غرو فالسبب الاصلى فى كل هذا البلاء ملقى على عواتقنا وعواهننا ونحن مسئولون أمام الخالق سبحانه وتعالى عن تركنا ابناءنا منذ نشأتهم ضحية للتغيرات الجوية والتقلبات الوسطية والاضاليل والترهات القولية بدون مراعاة أى ناموس من نواميس التربية الصحيحة الحقة . ولعمر الحق ماذا عملنا ؟ قصرنا عن ايجاد نسل صالح للعمل عقلا وجسما !! اطلقنا العنان لاطفالنا وهم بين حجورنا فى الكسل والرخاء والتنعم والترف وغيرها من العوامل التى تنتزع من النفس سلطات المروءة والنخوة فترتب على ذلك انه انطبع فى جوهر مخهم تلك المبادئ الفاسدة ونمت مع نموهم تلك العيوب التى تشربوها فى صغرهم !! غفلنا عن كل ماهو فى صالحنا . واهملنا تربية اولادنا فاصبحت حالتنا فى التعليم والآداب كما يعلمها الكل ولا ينازع فيها احد غير ملائمة لمصلحة الامة من كل وجه وخصوصا المسلمين منهم بعد ما اغفلت الحكومة العناية التى كانت لها قبل بامور الدين!! أصبحنا فى حالة الاملاق والحقارة: لا اقدام. لا نشاط. لا فضيلة. نخبط خبط عشواء !! اصبحنا متفانين فى استهلاك شرفنا وثروتنا وجسمنا وعقلنا وكل فرد منا يشكو لاخيه تقهقره وسوء حاله ويلقى

تبعة ذلك على غيره ولا يدرى انه اول الناس فى اهمال واجبه الاقدس!! وكثيرا ما ترى المتنور منا يصف لك العلاج الشافى وصفا جيدا ولكنه لايجربه لنفسه . واذا لاحظت عليه ذلك اجابك لسان حاله بقول القائل:

نفذ بعلمى ولا تركن الى عملى * ينفعك علمى ولا تضرك اوزارى

وما ذلك وايم الحق إلا خطأ محض فان النصيحة لاءيكون لها تأثير حتى تصدر عن حر الطبع نقى الصنع بالفضائل بصير عامل بما يقول .

﴿ حالتنا الحاضرة فى التعليم والادب ﴾

أما كفانا عارا ان تكون آدابنا على مابينا وعلى ماجاء بجريدة المقطم الاغر فى عددها الصادر فى ٩ سبتمبر سنة ١٨٩٩ بعنوان **آداب الامة عنوانه مجدها** ولما احتوته هذه المقالة من فوائد جمة فى هذا الموضوع ننقلها بلفظها. قالت:

«لا نكاد نسمع بامة بلغت ذرى العلياء حتى انافت على السماكين»
«منزلا الا كان الادب لها رائدا ونريد بالادب هنا معناه اللغوى اى ما»
«يحترز به عن جميع انواع الخطأ او هو ملكة تعصم من قامت به عما»
«يشينه كما عرفه صاحب المحيط فهو صولجان كل مملكة. وتاج كل رئاسة.»
«وفخر كل امة . بل هو الدعامة الكبرى فى نجاح كل امة وتقدمها »
«وهذا الكاتب الفرنسوى الشهير الموسيو ادمون ديمولان عند»
«ما حاق بامته من التأخر والانحطاط بالنسبة الى الامة الانكليزية جارتها»
«اعمل فكرته واجهد قريحته حتى وقف على اسباب ذلك التأخر فجمعها»
«فى كتاب ونشره على امته تنبيهاً لها من غفلتها وايقاظا من رقدتها وهو»

«الكتاب المشهور بسر تقدم الانكليز الذى ترجمه حضرة العالم الفقيه»
«والمنشئ البليغ احمد بك فتحى . ولقد وجد هذا الكاتب الشهير بعد»
«البحث الدقيق ان السر فى نجاح الامة البريطانية هذا النجاح الذى لم»
«تبلغه امة من الأمم الخالية والحاضرة آداب افرادها وحسن تربيتهم»
«البيتية الى اولادهم متبعين فى ذلك قول الحكيم (رب الولد فى طريقة»
«فمتى شاخ لا يحيد عنها) ويظهر تقدير الأمة الانكليزية للفضيلة»
«واحتقارها للرذيلة من سقوط بارنل رئيس الحزب الارلندى السقوط»
«الهائل وهو اذ ذاك معادل لشيخ الحرية المرحوم المستر غلادستون فى»
«مكانته.وذلك لاشتهاره بالزنا حتى بلغ به الامر ان عرض على رجال»
«الصحافة مائة الف جنيه لكيلا يذكروا اسمه فى صحفهم فابت الفضيلة»
«التى ربوا عليها الا ان يشهروه على صفحات الجرائد تشهيرا ليكون»
« عبرة لغيره وليقوموا بواجب الخدمة العمومية التى ندبوا انفسهم لها»
«فعلوا وهكذاسقط . ولا يظن القارئ الكريم ان ذلك محصور بين الطبقة»
« العالية فيهم بل هو قد تناول افراد الطبقة الدنيا ايضا »

«واذكر ان عسكريا انكليزيا ركب المركبة الكهربائية وهو ثمل من»
« الشرب لا تكاد تحمله رجلاه وجلس على المقعد الذى امامنا ولم يكد »
« يستقر به الجلوس حتى صعدت سيدتان مع ولدين لهما الى حيث هو »
« جالس فنهض مسرعا وأجلس احد الولدين موضعه اذ لم يكن فى المقعد »
« متسع لجلوسهم جميعا وظل واقفا وهو فى اشد التعب حتى بلغت »
« المركبة متنزه العباسية »

«واين ما فعلهذا الجندى وهو فى حالته تلك مما يفعلهبعض ادبائنا»
« الذين شاركوا النوانى فىلباسهن والمخنثين فى اخلاقهم من ارتيادهم »
« الطرقات والمنتديات وهم كل ما رأوا سيدة عارضوهـا فى طريقهـا »
« واسمعوها من بذاءة اقوالهم ما يحمر له وجه كل حر خجلا . وأنكى »
« من ذلك واشد وقاحة شراؤهم الصور القبيحة وابرازها امام كل مخدرة»
« يلتقون بها فتأخذ تلك المسكينة الرعدة من هذه السفالة ولا يزالون »
«فى اثرها حتى تلج حانوتا او تركب مركبة تخلصا من شرهم فيغربوا اذ »
« ذاك فى الضحك مقهقهين ولا قهقهـة القرود سرورا بمـا اتوه من »
«الشهامة والنبالة»

« وهناك نوع آخر من الوقاحة يستعمله بعض ركاب العجلات »
« وهو انهم كلمـا رأوا سيدة خارجة فى مركبتها للتنزه ساروا بحذائها »
« حتى يضطروها الى اسدال ستار كوة المركبة فرارا من نظراتهم السافلة »
« وهى نهاية فى الحطة وفقد الشرف . الا يذكرهؤلاء الاغرار ان لهم »
« امهات واخوات ؛ فكيف اذا خرجن ونالهن من مثل ذلك ما نال »
« غيرهن منهم !! فاذا لم يكن لهم وازع من دين ولا ناه من ادب فخشية »
« ان الكيل الذى به يكيلون يكال لهم به وازيد

« هؤلاء غير رجال وخط الشيب رأسهم تجدهم عصارى كل يوم »
« فى محطة الكهربائية العموميـة يركبون القطار ذهابا وجيئة وليس لهم »
« من ارب فى ركوبه سوى لتهتكهم وابواء سفالتهم لكل امرأة يجدونها »
« فى القطار وحدها ولا رجل معها

« ولما كان لا يرجى من رجال البوليس ان يراقبوا امثال هـذه »
« المنكرات لانهماكهم فى اشغالهم الخصوصية وجب على الجرائد الوطنية »
« على اختلاف نزعاتها وتباين مذاهبها ان تتفق على مطالبة الحكومة »
« بان تجبر شركة الترموای على القيام بما تكفلت به واشترطته على نفسها »
« من جعل عربات خصوصية للنساء ويظهر ان الفئة التى عارضت سعادة »
« العالم الاصولى قاسم بك امين فى رأيه الذى ذكره فى كتابه «تحرير »
« المرأة »، عن احتجاب النساء وتمنيه ان يكن عندنا مثل ما هن عنـد »
« الغربيين مصيبة فى معارضتها ما دام عندنا شبان هـذا مبلغهم من »
« الآداب : وهم لسوء حظ مصر غير قلائل »

« وربما اخذ البعض العجب عنـد قراءتهم خبر الصور المغايرة »
« للآداب وعما يفعل بها لانهم يتذكرون ان وزارة الداخلية اصدرت »
« قرارا بمنع بيعها وسنت عقابا لمن يخالف أمرها . ولكن ذلك العجب »
« يزول عند ما يعرف القارئ الكريم ان تنفيذ هذا القرار موكول »
« امره الى رجال البوليس وهم كما يعلم الجمهور لا يعرفون من واجباتهم »
« (اولا يريدون ان يعرفوا) سوى معاكسة باعة الفاكهة اذا لم يستجلبوا »
« رضاهم ومخالفة الحوذيين اذا لم ينقدوهم الجعل المعلوم وما سوى ذلك »
« فهو عندهم رجس من عمل الشيطان يجتنبونه »

« ولما كان الحث على الفضيلة والنهى عن المنكر من اخص واجبات »
« الصحف ومن اجل الخدمات التى تقدمها للوطن وبنيه سيما ما يحط »
« بشأنه ويحقر ابناءه فى اعين الاجانب من مثل الفعال التى مر الكلام »

« عليها فحبذا لو انها تتفق على ايجاد طريقة فعالة لكبح جماح هؤلاء »
« الاغرار انتصارا للفضيلة اذ هم انجب ابنائها وشيمة امثالهم البر »
« لا العقوق والسلام »

مداواة الحالة الحاضرة — مما تقدم ينتج انه ليست تقوم لنا قائمة الا اذا سعينا فى تحسين التربية والتعليم وجعلناهما ملائمين لمصلحة الامة من كل وجه ويجمل بنا ان نورد هنا كل ما لحضرة صاحب تحرير المرأة . قال :
« وقد آن الوقت على ما اظن لتربية نفوسنا تربية صحيحة متينة علمية. »
« تربية تنشئ رجالا أولى علم واصالة رأى يجمعون بين المعارف »
«والاخلاق والعلم والعمل. تربية تنقذنا من جميع العيوب التى يقذفنا بها»
«الاجنبي فى كل يوم وبكل لسان وكلها ترجع مهما اختلف فى الاسم الى»
«سبب واحد وهو النقص في تربية نفوسنا وقد اتفق جميع اهل النظر فى»
« مصر على ان التربية هى الدواء الوحيد لذلك الداء وانتشر هذا الرأى»
«الصائب في الكتب والجرائد واحاديث المجالس حتى صح ان يقال انه اصبح»
«رأيا عاما وتولد عن ذلك شعور بان مستقبل الامة تابع لتربيتها ولكن ارى»
«هم الناس موجهة الى التعليم ولا ارى احدا يلتفت الى تربية النفوس وأرى»
ان الحرص على التعليم منحصر فى تعليم الذكور مع ان تهذيب الاخلاق مقدم على التعليم وتعليم البنات مقدم على تعليم الذكور »

فهذا كلام كله حكم ونوافق عليه حضرة المؤلف جهدنا ولكن لا يؤاخذنا اذا كنا نخالفه في امر واحد فيه وهو اننا نعتقد ان التهذيب واجب للذكور وللبنات معا لا تقديم للبعض على الآخر أو اذا كان هناك

سبب لتقديم تهذيب البعض فليبدأ بالذكور لأننا نرى ان الرجل المربى المهذب يمكنه ان يجعل امرأته على خلقه ويطبعها بطبعه

وعلى ذلك تكون تربية البنات تابعة لتربية الذكور لان الأب هو المسئول عن حالة عائلته الاخلاقية. كيف لا وهو رئيسها وراعيها — والرعية على دين راعيها — ومن المقرر ان اخلاق اهل كل منزل وعوائدهم مكتسبة من اخلاق رب المنزل وعوائده فان اكثر من الموبقات والملاهى وانواع الشهوات سرى ذلك فى بنيه وعائلته وذريته :

اذا كان رب البيت بالدف مولعا * فشيمة اهل البيت كلهم الرقص

وان استقام وقام بما يجب عليه حق القيام تبعته عائلته وذريته وحاشيته وهذا أمر لا يختلف فيه اثنان ويؤيده حالنا فى هذه الايام .

فياعلماء الامة واذكياءها وياثراتها وعقلاءها منكم يطلب تعريف الآباء واجباتهم وذلك لا يكون الا بفتح المدارس المعدة لتثقيف عقول النشأة الجديدة ولا يكفي أن يتعلموا فيها اللغة والرياضيات بل يجب أن يدرس لهم ذلك العلم الأساسى وهو فن التربية الحقيقية علميا وعمليا فليس العلم الصحيح بكثرة الرواية انما العلم بالحشية على اصول دينية ونصائح ادبية وبان يهيأ الطفل ذكرا كان او انثى للفضائل وبتعريفه واجبات الحياة ووظيفة الانسان فيها .

ولملاءمة التعليم لمصلحة الامة يجب ان يكون اساس التعليم فى المدارس الاهلية التى تؤسس اللغة العربية وامور الدين وآدابه التى اهملت فى المدارس الاميرية مع المشى فى اللغات الاجنبية والعلوم الاخرى بالنسبة للذكور حذو تلك المدارس وبذلك يكون التعليم فى المدارس الاهلية مطابقا

لمصلحة الامة من جميع الوجوه وبعد هذا وذاك يجب ان ينظر الى مستقبل المتعلمين وها نحن نرى الوظائف اصبحت اضيق ابواب الرزق لهم فلا بد من مخرج آخر وهو لا يكون الا بالترشيح للاستقلال فى العمل الحر أيا كان والدنيا مجال فسيح لا بنائها العارفين وسجن ضيق للجاهلين . واذا وفق الله بعض اسخياء الأمة لانشاء مدارس صناعية كانت لا بنائها منها حياة جديدة. ولكن النتيجة الحقيقية التى يستلزمها نجاح التعليم انما تكون سريعة لو وجدت (ادارة معارف اهلية) تقبض على ازمة المدارس الاهلية وتسير بها فى طريق واحدة تضمن لها الغاية التى يطلبها الجميع . وعسى ان يأتى يوم يسمع فيه هذا النداء وتجاب فيه الدعوة لها وما ذلك على الله بعزيز

وقد كان بودنا ان تكون الحكومة مساعدة على اصلاح اخلاق الامة ولكن يظهر ان الأمل فى ذلك قليل ما دام الحال كما نرى فانه من المقرر الثابت ان اغلب الناس لا يرتدعون عن غى او عن فعل قبيح الا خوف الوازع القوى أو العقاب الدنيوى ولذلك نرى الناس من يوم ان أمنوا عقاب الحكومة لهم على مخالفتهم واجبات دياناتهم قد خلعوا برقع الحياء فصنعوا ما شاؤا وانتهكوا حرمة الأدب والدين ومع ذلك تراهم يتجنبون ارتكاب مخالفة بسيطة خشية الوقوع تحت طائلة العقاب الذى سنته الحكومة لهذه المخالفة. وحيث ان ما لا يدرك كله لا يترك جله والطشاش خير من العمى كما يقال فى الامثال السائرة فياليت كبراءنا وسراة أمتنا وافاضل علمائنا يتفقون على البحث عن الحكمة اينما وجدوها علما وعملا لينشروها بين الامة إئتمارا بقوله تعالى: «ولتكن منكم أمة يدعون الى

الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر» ولاشك ان سائر الامة تقلدهم وتتشبه بهم فى طلب العلم الشرعى والعمل به واقامة العدل والقسطاس والتخلق بمكارم الاخلاق والترفع عن سفاسف الامور فتصطبغ امتنا المصرية بصبغة الدين القويم ويستقيم معوج الاخلاق وحينئذ يسهل وجود المعلمين الاكفاء ويصير فى استطاعة كل واحد ان يربي اولاده ويطبع زوجته بطبعه كما قدمنا

ولعمر الحق ليس ذلك صعب النوال على من يرغب فى تحسين حال بلاده ويوقف نفسه لخيرها وعزها فطرق الوصول كثيرة متيسرة لكل باحث ولكل طالب فان الحقيقة بنت البحث وكل من سار على الدرب وصل. فقد كفى المسلمين اعراضا عن دوائهم واغضاء على دائهم وكفى عارا على متنورى هذه الامة ان تبقى حقائق دين الله مختبئة فى مطاوى مجلداتها وهم مغرورون بزخارف افكار البشر مما يسمونه بالنظريات الفلسفية. اللهم ان المسلمين عن اسرار دينهم لمحجوبون وعن بدائعه للاهون فهبهم اللهم ميلا الى تبييض نفوسهم فى حقائق دينك السرمدى وقانونك الابدى وهب اللهم بصائرهم قوة تمتعهم من دينهم بما متعت به آباءهم الاقدمين انك رحيم بالمؤمنين.

ولعمرى ليس يتم لهم ذلك الا بتربية النفوس وحفظها من الامراض ولا سبيل لذلك الا بتطهير النفوس من ادناس الاوهام وتهذيبها بالمعلومات الصحيحة وتعويدها على مكارم السجايا وتصحيح اعتقادها. والاسلام تكفل بكل ذلك كما لا نزاع فيه ولا مرية فلنرجع الى احكامه ان كنا نريد لانفسنا خيرا: حقيقة ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

الفصل الثانى

التربية الصحيحة — تقسيمها الى ثلاثة انواع : الرضاعة بالالبان وتقويم الاخلاق وتربية العقول بالمعارف والعلوم — طرق التربية الصحيحة — النوع الاول — النوع الثانى — النوع الثالث

التربية الصحيحة — عرف بعضهم التربية بانها تنمية اعضاء المولود الحسية من ابتداء ولادته الى بلوغه حد الكبر وتنمية روحه بالمعارف الدينية والمعاشية فبهذا انقسمت التربية قسمين : حسية وهى تربية الجسد ومعنوية وهى تربية الروح ومع ذلك فان لتغذية الطفل ثلاثة انواع من الغذاء مختلفة الموضوع : الاولى تغذية المراضع للاطفال بالالبان . الثانية تغذيتهم بارشاد المرشد بتأديبه الاوَّلى للاطفال وتهذيب اخلاقهم وتعويدهم على التطبع بالطباع الحميدة والآداب والاخلاق الفاضلة . الثالثة تغذية عقولهم بتعليم المعارف والكمالات وهذه وظيفة الاستاذ المربى كما ان ما قبلها وظيفة المرشد المتولى امر الصبى . فالنسبة بين الرضاع والتربية الاولية والتربية الانتهائية كالنسبة بين المرضع والمربى المرشد والاستاذ . فكلما اجاد المربى جادت التربية

فالتربية بانواعها الثلاثة وان كانت تظهر ببادئ الرأى سهلة بسيطة لا تحتاج الا الى عمل يسير الا انها فى الحقيقة وعند التأمل تستدعى عظيم

اهتمام وعناية وسلوك اصول مقررة وآداب محررة ويضاف الى ذلك ما يحتاج اليه المراضع والمربون والاساتذة من قوة محبة الاطفال ومعاملتهم معاملة من طب لمن حب

وقد انتج هذا ان التربية فن تنمية الاعضاء الحسية والعقلية وطريقة تهذيب النوع البشرى ذكرا كان او انثى طبق اصول معلومة يستفيد منها الصبي هيئة ثابتة يتبعها ويتخذها عادة وتصير له دأبا وشأنا وملكة فالتربية المعنوية حينئذ هى فن تشكيل العقول البشرية وتكييفها بكيفية حسنة مألوفة وغايتها ايجاد ملكة راسخة فى الصغير تحمله على التخلق بحسن الاخلاق حسب الامكان بحيث تحصل من هيئة تربيته الافعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا بسهولة ويسر . ثم ان التربية لا تفيد الصبي الذكاء ولا الألمعية فان هذه الصفات هى فى الاطفال غريزية طبيعية وانما بالتربية تنمو العقول وتتحسن الادراكات والتربية الاولية فائدتها ان يعتاد الصبي على ان ينقاد بطبعه الى ما يريده منه مؤدبه ويختاره له مرشده فغايتها المطاوعة وهذا النوع كما يكون فى الانسان يكون فى الحيوان بترويضه وتمرينه على الاطاعة . اما تنمية العقل التى هى غذاؤه بالمعارف المعقولة المقبولة كتغذية الجسم بالطعام فهى خاصة بالانسان فالتربية المعنوية تزيد فى تنمية عقول الاطفال بالمعارف وحسن الاخلاق على التناسب من حسن ادارة المرشد والمعلم فبهذا يقال لمن اكتسب المعارف الجيدة والاخلاق الحسنة انه حسن التربية . وحسن تربية الآحاد ذكورا واناثا وانتشار ذلك فيهم يترتب عليه حسن تربية المجتمع الانسانى وهو الامة بتمامها. فالامة التى حسنت تربية ابنائها واستعدوا

لنفع اوطانهم هى التى تعد أمة سعيدة وملة حميدة . فبحسن تربية اولادها والوصول الى طريقة اسعادها لا تخشى ان تأتمن ابناءها على اسرار الوطن ولا على ما يكسبها الوصف الحسن بخلاف سوء التربية اذا انتشر فى أمة من الامم فان فساد اخلاق بنيها يفضى بها الى العدم حيث يفشو فيهم الانهماك على اللذات والشهوات والانتهاك للحرمات والتعود على المحرمات كما هى حالتنا الآن كما اسلفنا القول فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

﴿ طرق التربية ﴾

التربية الاولى — تربية الولد الاولى ينبغى ان تكون فى بيت ابيه وامه وهى التربية اللائقة للبيت وكل امرأة لم تربها أمها فى صغرها لا ترغب فى تربية اولادها فى كبرها. ومن سوء التربية ان الأم تكل تربية اولادها الى غيرها بدون أن تلاحظ ذلك بنفسها فان الأم بما اودع فيها من الشفقة والرأفة على اولادها هى أولى وأرفق بالتربية ولتعديل مزاج ابنائها وبناتها. فاذا ربت المرأة اولادها الى سن التمييز تربية حسنة او معنوية انتعش فى اذهان الأبناء اعتدال المزاج والاتصاف بمكارم الاخلاق وتهذيبها وسلوك الرفق واللين التى هى من صفات التمدن .ومن هنا وجب ان تكون الام متحلية بهذه الصفات لتصلح ان تربى على حسبها اولادها عالمة بكيفية الاعتناء بالطفل وكيفية تغذيته عارفة طباع طفلها وعوائده ويحسن أيضا ان تكون الام هى التى ترضع ابنها فللرضاع تأثير ظاهر فى الاولاد فقد قال صلى الله عليه وسلم: « الرضاع يغير الطباع ». وقال :

«لا تسترضعوا الحمق فان اللبن يعدى ويروى.» ومعناه ان المرضع اذا ارضعت غلاما نزعت اليه اخلاقها فيشبهها. وعند عدم تمكن الأم تختار المرضعة العاقلة صحيحة الحواس ظاهرا وباطنا معتدلة المزاج عظيمة التدين

حكى عن الامام ابى المعالى عبدالملك الشهير بامام الحرمين اعلم المتأخرين من اصحاب الشافعى رضى الله عنه على الاطلاق وهو الذى انتهت اليه رئاسة العلماء نحو ثلاثين سنة ولأجله بنى نظام الملك المدرسة النظامية بنيسابور وتولى بها الخطابة وكان آية من آيات الله علما وعملا ان والده كان يتعيش من نسخ الكتب فاجتمع له ثمن جارية ولم يزل يطعمها من كسب يده حتى حملت بامام الحرمين ووضعته فاوصاها ان لا تمكن احدا من ارضاعه ثم دخل عليها يوما وهى مريضة والصبى يبكى وقد شاغلته امرأة من جيرانهم بثديها فامتص منه قليلا فشق ذلك على ابيه فاخذه ونكس رأسه ومسح على بطنه وادخل اصبعه فى فيه حتى افرغ جميع ما امتصه والصبى فى خلال ذلك قد كربت نفسه تزهق وابوه يقول: «موته خير من فساد اخلاقه.» فكان الامام اذا لحقته فترة فى مجلس المناظرة يقول: «هذا من بقايا تلك الرضعة». أفترى والدهذا الامام فعل غير ما يوجبه عليه القرآن الكريم حيث يقول: «قوا انفسكم واهليكم نارا؛»

التربية الثانية — وبعد ذلك تكون تربية الاولاد موافقة احوال الأمة وطريقة ادارتها واحكامها لينتقش فى أفئدة الصبيان الاحساس والاصول الحسنة الجارية فى اوطانهم. مثلا اذا كانت طبيعة البلد المولود فيها الانسان عسكرية مائلة للحرب والضرب تكون تربية الاولاد الذكور

تابعة لها أصولا وفروعا وتكون تربية البنات أيضا مائلة لمحبة الشجعان والابطال وخمول الرجال ليشجعن الابناء كما هو منقول ومسطور عن نساء العرب فى الجاهلية وفى صدر الاسلام كما روى عن الخنساء بنت عمرو السلمية انها حضرت حرب القادسية ومعها بنوها اربعة رجال فقالت لهم من اول الليل: « يا بني والله الذى لا اله غيره انكم لبنو رجل واحد وانكم » « بنو امرأة واحدة ما خنت اباكم ولا فضحت خالكم ولا هجنت حسبكم » « ولا غيرت نسبكم وانتم تعلمون قول الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اصبروا » « وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون . فاذا اصبحتم انشاء الله » « فاغدوا الى قتال عدوكم مستبصرين وبالله على اعدائكم مستنصرين » « فاذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها واضرمت لظى على سياجها » « فتيمموا وطيسها وجالدوا رئيسها عند اخترام خميسها تظفروا بالغنى » « والكرامة فى دار الخلود والمقامة . » فلما أضاء لهم الصبح باكروا مراكزهم وشنوا الاغارة وقاتلوا حتى استشهدوا جميعا فبلغها الخبر فقالت : « الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم وأرجو من ربى ان يجمعنى بهم فى مستقر رحمته. » واذا كانت المملكة زراعية او تجارية او بحرية وما اشبه ذلك كان مدار التربية الصحيحة للاولاد على ذلك

ولقد دلت التجاريب وبرهنت المشاهدات على ان الامة التى تتقدم فيها التربية بحسب مقتضيات احوالها يتقدم فيها ايضا التقدم والتمدن على وجه تكون به اهلا للحصول على حريتها بخلاف الأمة القاصرة التربية فان تمدنها يتأخر بقدر تأخر تربيتها. قال بعض الحكماء: « ان سمحتم لى

بتحسين التربية الزمت نفسى لكم باصلاح احوال العالم باسره.» فالتربية هى اساس الانتفاع بابناء الوطن ولذلك يجب تعويد الاطفال لا سيما ابناء الامراء والاكابر والاغنياء من الصغر على ترك الكبر والاعجاب ومحبة النفس وتكليفهم باستعمال الرفق واللين والتلطف مع غيرهم حتى لا يتجارى احد من عوام الناس وخواصهم على لومهم على افعالهم واطوارهم وحركاتهم فيلزم محو ذلك من الاطفال فى حال صغرهم بان يعتنى مربى الذكور والاناث بان يطفى من قلوبهم نار حبهم لانفسهم وحرارة حرصهم على جلب كل شئ لخاصيتهم فان حبهم للنفس بهذه الدرجة انما هو عين البغض لها لانه يجلب لهم بغض من عداهم من الاخوان. وكيف ينال السعادة من خص نفسه بالمحبة ولم يجعل لاخيه قدر حبه . وفى الحديث الشريف : «لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه مايحب لنفسه.» وهذا الحديث من أعظم آداب الدين وأسسه . وكذلك يلزم تعويد الاطفال على العقائد الدينية التى تأمر بالمعروف وتنهى عن الفحشاء والمنكر فيعظمون الفضيلة فى أعينهم ليحبوها ويتمسكوا بها ويحطون بالرذيلة ليفروا منها ويستقبحوها ويعودونهم على النظافة والترتيب والاقتصاد ويحضونهم على مكارم الاخلاق قليلها وجليلها بان يحسنوا لهم الصدق والوفاء والامانة والعفة والصيانة وشرف النفس وتوقير الكبير واحترام الصغير واجتناب الهزل واساءة الأدب والفحش فى القول والفعل وبر الوالدين والانقياد لامرهما بالسمع والطاعة والدعاء لهما وتقبيل ايديهما عند الدخول اليهما لترسخ كل هذه الصفات والفضائل فى انفسهم وتنتقش فى قلوبهم فلن ينسوها بعد ذلك ما دام المرء

يشيب على ما شب عليه . ومن المعلوم أن كل ما يصدر عن الاطفال فى كبرهم من خدم جليلة وصناعات جميلة ومساع خيرية ومنافع اجتماعية ليس الا اظهارا للمبادئ التى انطبقت فى ذهنهم من تعاليمهم المنزلية حالة صغرهم ومما تلقوه من مرشدهم فنمت مع نموهم. فان كانت هذه التعاليم ليست مؤسسة على قاعدة علمية صحيحة كانت سبب تعاسة كبرى قل ان يخلص منها الطفل او يقاومها بالدراسات الثانوية بعد نمو مجموع قواه الجسمية والعقلية. ومع تعويدهم على ذلك ينبغى ان يقبح فى نظر الاولاد بالفعل وبالقول كل ما يضاد هذه الصفات بان يمثلوا لهم حالة الكذاب الخداع المنافق الحسود الكنود المرائى فى دينه ودنياه اشنع تمثيل فان الكذب وحده رأس كل مذموم وجماع كل فضيحة. ويلزم تقوية صفة الحياء فى الاولاد وهم صغار فيشبون ويشيبون عليها فقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم انه قال: «ان شر الناس عند الله من خافه الناس اتقاء خشه.» وروى البخارى عن ابن مسعود قال: «قال رسول الله عليه الصلاة والسلام ان ما ادرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستح فاصنع ماشئت.» فاذا ارتفع الحياء صنعت النفس ما تهوى . ولذلك نكرر انه يجب على من يربى البنات ويتعهد شؤونهن ان يتركهن على حيائهن الذى هو زينتهن فلا تمسه التربية بمحو ولا تخفيف وان لا يجتهد احد فى إلهام الشجاعة لهن . وكذلك ما اشتملن عليه عادة من الخوف والوجل مما ينبغى محوه من الذكور فلا بأس ببقائه فى النساء فانهن غير مخلوقات لان يحزن شجاعة الرجال كما قدمنا

وكان اهل سبارطه يربون اولادهم على طرف المملكة وكانوا يعودونهم

على عدم الخوف من ظلام الليل وعلى عدم الكآبة والتشكى الا لحاجة لازمة وكانوا اذا بلغ الطفل سبع سنين امروا المعلم ان يعلمه التعود على الاشغال والتجلد والمشاق والمبادرة فى الطاعة وكان المعلمون يسوون بين سائر الاولاد فى التعليم بالمكاتب العمومية بلا تمييز لاحد منهم بتعليم شئ وتقديمه على آخر بل يعلمون الكل مع بعضهم بطريقة واحدة لانهم مستوون فى القيام بواجبات المملكة . وكانوا يجعلون من ظهرت نجابته فى التعليم رئيسا على من عداه ممن لم تظهر له نجابة فيحكم الانجب فيمن عداه منهم بملاحظة الشيوخ ليرد الشيوخ من اخطأ فى حكمه منهم الى الصواب ويجب تأديبه على ذلك بما يليق بخطئه من العقاب . وكانت طريقة تعليم الاولاد التفاهم والتخاطب عندهم هى ان الآباء كانوا اذا اجتمعوا على مائدة عمومية يحضرون معهم اولادهم ليغتنموا فائدة محاورة تلك المجالس وكانوا يسألونهم عن بعض أشياء مهمة فيقولون للواحد منهم ما رأيك فى هذا الشئ او فى هذا الرجل ويحملونهم على رد الجواب بسرعة مع الاختصار وادب الكلام

وكان هذا هو السبب الاعظم فى كثرة فحول الرجال وكبراء الابطال فى بلاد اليونان وكذلك فى مدينة (اثينه) كانوا يعتنون بتعليم الاولاد لعلمهم ان بقاء عز المملكة انما يكون بذلك ويحثون على الاستقلال بالحرف والصنائع وكل من يثبت عليه من اهالى المدينة أنه لم يتعاط حرفة وصنعة واتهم بذلك ثلاث مرات فانه يفضح على رؤوس الاشهاد كما كان يفضح كل ولد يسرف فى امواله او يحرم ابويه من القوت الا اذا كانا لم يعلماه

صنعة فانه كان لا عقاب عليه بذلك

وكان من احكام هذه المدينة انه لا يجب على المرأة ان تتجهز لزوجها عند الابتناء بها باكثر من ثلاثة اثواب وامتعة قليلة الثمن خوفا على اهلها من الفقر وان من اجتمع بغير زوجته وعاشرها او خالط النساء المتبرجات لا يكون من ارباب مشورة المدينة لانه لا يؤتمن على مصلحة الاهالى وان من سكر من ارباب مشورة المدينة فعقابه القتل. فبهذا صارت تربية عموم اليونان كاملة فاضلة فى اغلب الازمان .

ذلك كان حال التربية عند الاقوام الذين خلوا وكانت سببا فى رفعتهم وعزتهم ومنعتهم فقل لى بأبيك هل أتت بشئ اعظم مما يدعو اليه القرآن الشريف والشريعة السمحاء : أيوجد أمة احسن ممن تهذبت اخلاق ابنائها على ما وردت به تلك الشريعة الغراء : كلا — اللهم كلا — هذا وجميع هذه التعاليم والتدريبات التى اشرنا اليها هى المسماة بالدروس الاولية للطفل والتى يجب تلقينها له سواء كان ذكرا او انثى بواسطة الامهات والآباء والاقارب والاصدقاء المرشدين الذين هم اساتذة هذه المدارس المنزلية . هذه الدروس هى الاساس الأقوم والمبدأ المحكم للتربية والواسطة الوحيدة لجعل الطفل مستعدا لان يتلقى دروسا أعلى وبدون هذا الاساس لا يمكن التحصل على الثمرة المقصودة من الطفل اللازمة لذاته وعشيرته لانه بدونه لا يكون تهذيبه فيما بعد ممكنا بل تكون كل التعاليم التى تلقى اليه صورية لا تؤثر على وجدانه بشئ مهما اجهد النفس فى تعديلها لان الطبع يغلب التطبع . ولا جدال فى أن اهمالنا هذه التربية الاولية هو السبب الاصلى فى تقهقرنا

ويلزمنا ان ننوه هنا ان لا تربية تصلح الا اذا كان القائم بها مرشدا كان او مربيا من اهل واقارب ومراضع او معلما متخلقا بالاخلاق التى يراد تطبيع الاولاد عليها حتى يكونوا قدوة حسنة لهم بهم يقتدون وعلى منوالهم ينسجون . وبخلاف ذلك لا يمكن ولا يؤمل ان تحصل فائدة اذ القدوة السيئة تؤثر تأثيرها على النفوس وتسئ اخلاق الاولاد منذ صغرهم فيشبون على ذلك ويفسدون . وهناك الطامة الكبرى حيث لا يفيد دواء ويعظم الداء . ومن هذا عرفنا ما يجب على الأم ان تكون متصفة به من الاخلاق لتحسن تربية اولادها فان الام ان لم تتذرع هى أيضا باصول التربية ولم تتحل بمكارم الاخلاق يشب طفلها عديم المنفعة ساقط المنزلة ويعيش طول عمره ككرة يلعب بها من هو أقوى منه ويموت غير مأسوف عليه . وليس من ينكر انه وإن كان الأب هو صاحب التأثير المهم والأولى فى التربية فان الأم كذلك هى الحجر الاساسى للعائلة ففى امكانها ان تضم افرادها أو تشتتهم وذلك تبعا لاميالها التى اكتسبتها من معلوماتها اثناء صغرها

التربية الثالثة — التعليم — لا اظن انه يوجد احد يكره ان تحسن حالة بيته ولا ان لا يساعد ويعين على ما يوجب هذا التحسين. ولكن كل من يشاهد ما نحن عليه من الآداب وكيفية التعليم الناقص الغير ملائم لمصلحة الأمة الذى يتعلمه البنون والبنات الآن فانه ولاشك يفضل الجهالة التامة على ذلك التعليم الصورى الكثيرة مضاره المعدوم المنافع .

فاذا تهذبت اخلاق الاولاد بالآداب الصحيحة كما قدمنا فليس من يقول بعدم تعليم البنت ما يساعدها على زيادة تحسين حال بيتها وتوسيع

نطاق معارفها فيما يتعلق بواجباتها من مواد العلم الاموى حتى تصير كمعلمة صحية وعملية من غير اخراجها عن وظيفتها حيث انها ستصير اما والام هى الحجر الاساسى للعائلة كما قدمنا. والدين لم يمنع مطلقا من ذلك فحسبنا قول النبي صلى الله عليه وسلم : طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة . وقد كان فى زمنه صلى الله عليه وسلم من يعلم القراءة والكتابة من النساء للنساء

فالتعليم الذى لا بأس من ان يشترك البنات بالاشتغال فيه والانتفاع به متى آنس الانسان منهن رشدا واستعدادا له هو عبارة عن تعليم القراءة والكتابة فى ضمن تعليم القرآن الشريف وامور الدين — لتعرف البنت مايجب عليها وما يجب لها من الحقوق والواجبات — ومبادى الحساب والهندسة والجغرافية ومختصر تاريخ بلادهن فان هذا مما يزيدهن ادبا وعقلا ويصلحن به لمشاركة الرجل فى الكلام والرأى فيعظمن فى قلوبهم ويعظم مقامهن لديهم .

ويجدر بنا أن ننبه هنا بوجه عام بأنه ينبغى للمرشد أوالمعلم ان يرغب الاولاد فى التحصيل ويدلهم على مكانته ويصرف عنهم الهموم الشاغلة لهم ويهون عليهم مؤنته ويذاكرهم بما حصله من الفوائد والغرائب وينصحهم فى الدين فبذلك تتطهر قلوبهم ويزكو علمهم ويجب عليه ايضا ان يأذن فى بعض الاوقات للاولاد باللعب ويكون لعبا جميلا غير متعب لهم ليستريحوا من كلفة الادب . وهذه الرياضة تروح النفس وتحرك الحرارة الغريزية وتحفظ الصحة وتنفى الكسل وتطرد البلادة وتبعث النشاط وتزكى النفس فان النفس تمل من الدؤوب فى الجد وترتاح الى بعض المباح من اللهو . قال نبينا صلى الله عليه وسلم لحنظلة : ساعة وساعه . وقال على رضى الله عنه :

روحوا القلوب فانها تمل كما تمل الابدان . وقال ايضا: سلوا هذه النفوس ساعة بعد ساعة فانها تصدأ كما يصدأ الحديد . وكان صلى الله عليه وسلم يقول : يا بلال روحنا .

وينبغى ان يكون لنساء هذه الاعصر فى خدمتهن لمنزلهن اقتداء بنساء النبى صلى الله عليه وسلم : فان نساء النبى كن يسعين على عيالهن ويخدمن زوجهن ويمتهن انفسهن . ولذلك يلزم ان يتعلمن شيئا من فن تدبير المنزل ومن مبادى القوانين الصحية وما يلزم النساء من الخياطة والتطريز والطبخ . الخ . قال النبى صلى الله عليه وسلم لأم سلمة :« اذا « أدت المرأة فريضة ربها واطاعت بعلها وحركت المغزل كانت كأنها » « تسبح وما دام المغزل فى يدها كانت كأنها تصلى جماعة واذا طبخت » « القدر لاجل اطفالها تساقطت ذنوبها . »

هذا ما يمكن تعليمه لهن واظن ان فيه الكفاية للقيام بوظيفتهن احسن قيام وهذه التربية هى المناسبة لوظيفتهن فاننا لو اخذنا بنتا وعلمناها القراءة والكتابة والعقائد والآداب الدينية والعبادات وطرفا من قانون الصحة وكيفية تدبير المنزل وتربية الاولاد والاشغال اليدوية . الخ . ثم قصرناها فى بيتها فيكون منزلها هو المدرسة الثانويه لهذا التعليم الابتدائى تجرى تطبيق ما تعلمته بالعمل فيه لان وظيفتها التى بيناها تقتضى جميع هذه المعارف كما لا ينكره احد وبذلك لا تنسى ما تعلمته ولا تتغير اخلاقها. وما الفائدة من تعليمها ما تنساه ولا يمكنها ان تمارسه ولا أن تعمل به فى منزلها لخروجه عن حدود وظيفتها ؟على ان لا شئ يمنع المرأة من التوسع

فى العلوم والمعارف اذا وجدت عندها قابلية من نفسها وكان وقتها يسمح لها به . كما ان لا شئ يمنعها عند اقتضاء الحاجة من ان تتعاطى من الاعمال بعض ما يتعاطاه الرجال على قدر قوتها وطاقتها .

ومما يلزم تعويدهن عليه وتأديبهن على تركه الصلاة والصوم وانواع العبادات التى يأمر بها الدين اذ بخلافها يكون العلم ناقصا ولا فائدة منه ما دام يكون غير مقرون بالعمل . فاذا ربينا البنت الناشئة على هذه المبادئ وحليناها بهذه الكمالات ومنعناها من الابتذال وقوينا فيها فضيلة الحياء بالاحتجاب الذى به تمام التربية كما سترى أمكنها أن تنفع وتفيد واستطاعت ان تنصح والدتها التى لم يسبق لها دراسة وقامت بوظيفتها أحسن قيام وامتنعت اسباب الشكاية والبلاء .

أما ما يذهب اليه بعضنا من وجوب تعليم المرأة المسلمة على الطريقة الاوربية واتخاذ حالة المرأة الغربية مثالا لذلك فما يزيد احوالنا فسادا وليس ذلك لكون طبيعتنا مضادة لطبيعة الغربى ولا لأننا نحب ان نبقى على جهالتنا ولكن لأن علماء العمران فى العالمين القديم والجديد (فى اوروبا واميريكا) يرفعون عقيرتهم كل يوم منذرين قومهم — كما علمنا مما اقتطفناه ومما سنورده فى الفصل الآتى من اقوال بعضهم — بسوء العاقبة من غلواء النساء فى الحرية وخروجهن عن الدائرة التى أراد الله ان يشغلنها وما على الشرقى الذى يعتبر أن المرأة الاوربية والامريكية ملكان نزلا من سماء المدنية على ارض الحرية الا أن يقرأ ما قاله وما يقوله علماء بلادهما عنهما حتى تنشأ لديه فكرة عامة على وظيفة المرأة ومستقبلها والعاقل من اعتبر

واتعظ بغيره . قال العلامة جول سيمون: « كان الناس فى سنة ١٨٤٨ يشكون »
« من عدم الاعتناء بتهذيب النساء وتربيتهن ولكنهم بالعكس يشكون اليوم »
« من أن ذلك التهذيب قد بلغ حد الافراط . نعم لا نشك انا خرجنا من »
« تفريط الى افراط هائل . » فلنتق الله فى انفسنا واهلينا ولنقلد بروية وتدبير .
والله تعالى اعظم مسئول فى توفيق الأمور واصلاح الحال .

الفصل الثالث

الحجاب

العفة والامانة والحياء — الحجاب اعظم قائد للعفة — الحجاب شرعى
يامر به الدين — دفع اعتراضات — الحجاب الحالى وما يتهددنا
به — ما هو الاصلح فى حالة المرأة التحجب ام الابتذال ؟

العفة والامانة والحياء — كل من تأمل فى احكام الشرع الشريف ومبادئه وجدها تحث على الفضائل ومكارم الاخلاق وتنهى عن الرذائل ومن ضمن ماتحض عليه العفة التى هى امانة كل من الزوجين لصاحبه وهى فضيلة دقيقة تفيد ان لا يصدر من احد الزوجين مايخدش صداقته للآخر وهى لذلك ينبغى ان يحرص عليها ولو كانت عزيزة وقل من اتصف بها فى أعلى درجات كمالها فهى عصمة معنوية وهى اساس روابط الجمعية البشرية لان عقد الزواج بمجرد انتهائه رابط احد الطرفين بالاخر ومشروط فيه الأمانة ضمنا على الوجه الذى قضته الحكمة الالهية فتقصير احد الزوجين

فى تأدية حقوق الزوجية يعد مضادا للامانة الواجبة على كل من الزوجين على حد سواء . وبالنظر للعرف يقتضى ان تكون الامانة فى المرأة آوكد وان كانا مشتركين فيها وسبب ذلك ان جميع الامم على اختلاف مشاربها ونحلها قد اتفقت على ان تطالب المرأة بالصيانه والعفة وسلوك سبيل الحياء اكثر مما تطالب به الرجل. قال عليه الصلاة والسلام: الحياء حسن ولكنه من النساء احسن. وفى الحديث عنه صلى الله عليه وسلم: « ان الله اذا اراد ان يهلك عبد انزع منه الحياء » وقال صلى الله عليه وسلم: « ان لكل دين خلقا وخلق هذا الدين الحياء » وقال ايضا صلوات الله عليه : « ان الله يحب الحيّ الحليم ويبغض الفاجر البذى. » فلذلك وجب أن تتعود البنت من صغرها على الحياء والتخلق بهذا الخلق الذى اختاره الله سبحانه وتعالى لدينه القويم كما قدمنا لأن المرأة متى خلعت ثوب الحياء فكأنها تنازلت عن سلوك سبيل العفاف والصون حيث ان خلع ثوب الحياء منها علامة قوية على نية خدش الامانة التى يترتب عليها من العواقب الوخيمة ما لانهاية له. فان الله سبحانه وتعالى اقتضت حكمته الربانية وضع النسل فى بطون الامهات فلا يباح للنساء هتك حرمة هذا النسب فاذا تخلت المرأة عن العصمة ربما دست فى العائلة ماليس منها . وناهيك بما يترتب على ذلك من المضار والفساد . فاوجب العقل والنقل والشرع والطبع على الزوجين فى كل مكان وفى كل زمان ان يعيشا على الامانة التامة كما يقتضيه عقد الزواج فلذلك وجب ان يتمسك كل منهما مع غاية الدقة والانتباه بهذه الفضيلة التى يترتب عليها صون النسب فتمتنع الوساوس والشكوك والريبة فى طهارة الانساب التى

حفظها من ضروريات الدين والملك والعمران كما هو معلوم للعموم ولا يختلف فيه اثنان .

﴿ الحجاب أعظم قائد للعفة ﴾

فنظرا لما تقدم ولكون الغيرة من الايمان وما من امرئ لا يغار الا منكوس القلب كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم اهتم كل الامم بما يدفع الارتياب ويريح القلب والفؤاد من الوساوس والاوهام ولم يكن ديننا القويم بالمقصر فى تبيين انجع دواء لهذه الادواء فامر بالحجاب بمعنييه (١) وتمسك به المسلمون فى كل عصورهم وبلدانهم لانه الطريق المغنى عن الغيرة ومما يوجب زيادة ائتلاف المرأة باهلها ويؤكد ارتباطها بزوجها وأمنه عليها ورضاها بحاله . كيف لا وهو بلا شك احسن وافيد ماجرب الاقوام من طرق الاحتراس للصون والعفة ولاء راحة النفس من الشكوك والارتياب فلقد دلت التجاريب على ان لا نطاق عفة يفيد ولا تربية تقوى على صد تيار القوة الشهوانية الغريزية فى الانسان ولا على رد جماحها عند الثوران مهما بلغ تهذيب المرأة فان كثرة علومها تصل الى حد التلطف والتحايل على اداء الغرض بصورة لا تنكر عليها — متى تهيأت لذلك الاسباب —

(١) جاء فى كتاب « صناجة الطرب فى تقدمات العرب » تأليف نوفل افندى بن نعمة الله جرجس نوفل الطرابلسى ما يأتي لدى كلامه على العشق فى الاعراب : « لايخفى بان اصل دواعي العشق فى البادية هو لكون نساء العرب فى الجاهلية لم يتبرقعن أصلا لان لبس البراقع للنساء هو امر حادث فى نساء الحضر اوجبته الشريعة الاسلامية منذ انزلت آية الحجاب ومن ثم أمرت بعدم تمكن الرجال من رؤية النساء »

لا الى مغالبة الفطريات والغرائز . (١)

قال حضرة احمد زكى بك سكرتير ثانى مجلس النظار فى كتابه السفر الى المؤتمر بعد ان اورد شواهد عديدة على مايقول: « ان المرأة بعد كل تهذيب أراها ضعيفة ميالة اكثر من الرجل لداعى الشهوات والتفانى فى الملاذ. فالواجب أن تكون لهن الحرية كالملح فى الطعام. فان التعليم ليس بقادر أن ينزع منهن هذه الاميال وان نزع منهن الخرافات التى يبثثنها فى عقول الاطفال. »

وقال ايضاً بعد أن أورد نقلا عن بعض العلماء الالمانيين الفرق الفاحش بين خيانة المرأة الغربية والمرأة الشرقية لزوجها فى عرضه : « فاذا سلمنا بهذا الحساب الذى استنتجه ذلك الالمانى (٢) رأينا أن فى التحجب وفيما يقرب منه فائدة عظيمة فى صيانة الاعراض . » وفى الواقع فليس من ينكران

(١) جاء فى جرنال فرنسا الرسمى من سنوات ان عدد الزناة فى فرنسا من الرجال واحد وسبعون فى المائة . ولا بد وان يكون العدد قد ازداد لتقدم الفساد . وجاء فى تاريخ موسهيم كيف ان كثيرين ممن بلغوا فى مجرد التربية اقصاها وفى المعارف منتهاها من اعيان الرجال والنساء استعصى جموح نفوسهم الشهوية عن الانقياد لمقتضى التربية وهوى بها الى الحضيض فيما تنزه الاسماع عن ذكره فليراجعه من أراد .

(٢) جاء فى تقويم ترويح النفوس Calendrier amusant المكتوب باللغة الفرنساوية عن سنة ١٨٩٣ ما خلاصته ان العلامة الالمانى كستنر (Koestner) أحد اساتذة ليبسيك وصاحب التصانيف العديدة المشهورة نشر كتابا فيه ابحاث علمية دقيقة مستوفاة تكلم فيه على حركة ازدياد المواليد ونقصها فى البلدان المختلفة مستندا على الارقام وقد أدته ملحوظاته وحساباته الى اثبات النتائج الآتية بحسب التعديل المتوسط وهى:

ان المرأة الالمانية تخون زوجها فى عرضه ٧ مرات والبلجيكية ست مرات واربعة أخماس مرة (بحسب التعديل المتوسط) والانكليزية خمس مرات والنمساوية اربع

اجتماع النساء والرجال فى مكان واحد — خصوصاً بلباس الزينة الذى يستحيل أن تخرج أو تختلط المرأة بدونه — يحدث تيار غرام كهربائى لا يقطعه الا الوصال: فان الانسان ليس فى سعته مغالبة شهواته بالوازع العقلى ولا بالوازع الدينى اذا ابيح الابتذال كما اعترف بذلك كثيرون وذهبت اقوال بعضهم مجرى الامثال. وناهيك بالمثل الالمانى القائل «يلزم ان تحفظ البنت وسط الاربعة اناجيل او وسط اربعة جدران» اشارة الى ان لا شئ يفيدها سوى الحجاب لاستحالة العمل بالشق الاول.

لذلك حافظ المسلمون على الحجاب كما قلنا وحذروا من تركه: فكان الصحابة رضى الله عنهم يسدون المنافذ والثقوب التى فى الجدران لئلا يطلع منها النساء على الرجال او الرجال على النساء. ورأى معاذ امرأته تطلع فى الكوة فضربها. وكان على كرم الله وجهه يقول: اكفف ابصارهن بالحجاب فان شدة الحجاب خير لهن من الارتياب. وليس خروجهن بأضر من دخول من لا يوثق به عليهن فان استطعت ان لا يعرفن غيرك فافعل. وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته فاطمة عليها السلام: اى شئ خير للمرأة؟ فقالت: «ان لا ترى رجلا ولا يراها رجل.» اى من الاجانب فضمها اليه وقال: «ذرية بعضها من بعض.» وقال الحسن

مرات ونصف مرة والهولاندية اربع مرات والسويدية او الدانيمركية مرتين والطليانية مرة وخمسة اسداس المرة والفرنساوية مرة واحدة والاسبانيه سبعة اثمان المرة والبرتغالية واليونانية خمسة اسداس المرة. والصربيه والبشناقيه والتى من الجبل الاسود والبلغارية ثلثى مرة. والتركية (ويعنون بهذه اللفظة المسلمة وغير المسلمة من الشرقيات) عشر المرة الواحدة.» اه من كتاب السفر الى المؤتمر.

رضى الله عنه : « لا تدعوا نساءكم فيزاحمن العلوج فى الاسواق : قبح الله تعالى من لا يغار. » وقال عمر رضي الله عنه : « أعروا النساء يلزمن الحجاب. » إشارة الى انهن لا يرغبن الخروج فى الهيئة الرثة . ولقد بلغ حرص الصحابة على تشديد الحجاب الى ان اجتهد بعضهم فى منع النساء حتى من الخروج الى المساجد فاتوا حيلا حببت النساء فى القعود فى منازلهن. يدل على ذلك ما روى عن عمر وعن الزبير بن العوام رضى الله عنهما فانهما لما شق عليهما خروج زوجتيهما الى المسجد للصلاة ولم يكن فى استطاعتهما منعهما عن ذلك بالحديث « اذا استأذنت امرأة احدكم الى المسجد فلا يمنعها » فتعرض كل منهما لزوجته ليلة فى ظهر المسجد وهى لا تراه وضربها على عجيزتها فرجعت امرأة عمر قائلة : « نعم ما رأيت فقد فسد الزمان » وقالت عاتكة امرأة الزبير لما قعدت عن الخروج وسألها زوجها ألا تخرجين يا عاتكة: « كنا نخرج اذ الناس ناس وما بهم من باس واما الآن فلا . »

فهل بعد هذا دليل واثبات على أن الحجاب دافع اوهاما وارتيابا وشكوكا وحصن حصين للعفة والصيانة ؛ وهل بعد ذلك دليل واثبات على ان الصحابة كانوا يحجبون نساءهم وان النبي صلى الله عليه وسلم كان يستحسن ذلك ويعجب به ؛ وسنورد طرفا من احاديثه الشريفة فى هذا المعنى. فهلا يكون لنا اسوة حسنة بهم جميعا وهم هداة الانام ؛ أليست هذه سنة مثلى يجب ان نسير عليها مادام فى الدنيا رجال ونساء ؛

﴿ الحجاب شرعى يأمر به الدين ﴾

اذا تقرر ذلك وعلمنا ان الحجاب من لوازم العفة والامانة والصون وان الصحابة كانوا متمسكين به ويتفانون فى تشديده لانه اصل من اصول الادب ولان المحافظة على العرض من اهم اركان مكارم الاخلاق التى بعث النبى صلى الله عليه وسلم لتتميمها وثبت ان الحجاب احصن حصن لهذه المحافظة وجب ان يكون القرآن الكريم والسنة الشريفة حاثين عليه آمرين به . ولو كان القرآن والسنة لم يأمرا بالحجاب لما تمسك به الصحابة ورضوا بمخالفتهما ولما أقر الرسول صلى الله عليه وسلم على هذه المخالفة لامر الله بل لما حض على استعماله الحجاب بمعنييه وهما القصر فى البيت وستر الوجه كما سترى . فلنورد اذا بعض النصوص القرآنية والاحاديث النبوية الواردة فى هذا الشأن ولننظر أأمر الله بالحجاب وحث عليه رسوله أم لا . فنقول :

قال حضرة صاحب كتاب تحرير المرأة :

« لو ان فى الشريعة الاسلامية نصوصا تقضى بالحجاب على ما هو »
« معروف الآن عند بعض المسلمين لوجب علىّ اجتناب البحث »
« فيه ولما كتبت حرفا يخالف تلك النصوص مهما كانت مضرة فى ظاهر »
« الامر لان الاوامر الالهية يجب الاذعان لها بدون بحث ولا مناقشة . »
« لكننا لا نجد نصا فى الشريعة يوجب الحجاب على هذه الطريقة »
« المعهودة . وانما هى عادة عرضت عليهم من مخالطة بعض الامم »

« فاستحسنوها واخذوا بها وبالغوا فيها والبسوها لباس الدين كسائر »
« العادات الضارة التى تمكنت فى الناس باسم الدين والدين براء منها . »
« ولذلك لا نرى مانعا من البحث فيها بل نرى من الواجب ان نلم بها »
« ونبين حكم الشريعة فى شأنها وحاجة الناس الى تغييرها » اهـ .

ونحن لا نلام اذا كنا نخالفه فى هذا الفكر وقلنا ان فى الشريعة نصوصا تقضى بالحجاب الشرعى ونعنى به ستر البدن باكمله وملازمة المرأة خدرها الا لضرورة . اما الحجاب الحالى فلا شك انه بدعة لم يأمر بها دين ولم يقل بها شرع ولذلك لا نرى مانعا من البحث فى تلك النصوص :

جاء فى الكتاب العزيز : « قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم ان الله خبير بما يصنعون . وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ماظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن او آبائهن او آباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بنى اخوانهن او بنى اخواتهن او نسائهن او ما ملكت ايمانهن او التابعين غير اولى الاربة من الرجال او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن »

هذه آية جمعت فاوعت اذ أمرت الرجل والمرأة معاً بغض النظر وحفظ العرض وأمرت النساء زيادة على ذلك بان لا يبدين زينتهن الا ماظهر منها اى من الزينة لانى لست ادرى ما الداعية للتكلف فى التأويل والقول كما قال حضرة صاحب تحرير المرأة من ان الشريعة اباحت فى هذه الآية ان تظهر المرأة بعض

اعضاء من جسمها امام الاجنبي عنها مادام المعنى ظاهرا لا يحتاج لهذا التعسف.

ولقد حلت لنا هذا الاشكال السيدة عائشة رضى الله عنها وناهيك بالسيدة عائشة فانها هي التي قال في شأنها النبي صلى الله عليه وسلم — كما يعترف به حضرة صاحب كتاب تحرير المرأة نفسه — «خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء» فقد سئلت عن الزينة الظاهرة فقالت: «هي الكحل والخضاب.» أفليس هذا القول هو الفصل والحاسم لكل نزاع في هذا الموضوع؟

والا فما معنى ان تمنع المرأة من ابداء زينتها ويرخص لها بكشف الوجه؟ واذا لم يكن الوجه هو عين الفتنة واعظم زينة يجب عدم ابدائها فما هي اذا الزينة التي اشار اليها القرآن الكريم؟ جاء في البحر: «والاقرب دخول الخلقة في الزينة. واي زينة احسن من الخلقة المعتدلة»

ولم يختلف احد من الصحابة في ذلك ولا في ان المقصود من هذه الآية منع كشف الوجه بحضرة الاجانب بدليل استعمالهم الحجاب وحثهم على تشديده كما اسلفنا وبدليل فهم الآية على هذا الوجه كما سترى:

روى عن ميسون الكلابية أن معاوية دخل عليها — لانه كان زوجها — ومعه خصي فتقنعت منه. فقال هو خصي فقالت: «يا معاوية أترى أن المثلة به تحلل ما حرم الله تعالى؟». فلو كان كشف الوجه مباحاً ماتقنعت وما عدته حراماً حرمه الله. بل ولما اعتذر لها معاوية بانه خصي أي داخل في ظنه في ضمن أولي الأربة الذين قد يباح التكشف بحضرتهم ولما أقرها على مافعلت[1] وكان عمر يقول: القناع للحرائر. ويمنع الاماء من

(١) كان العرب لا يعرفون خصاية الانسان اصلا. وكان ذلك شائعا في الروم فلم يرد

التشبه بهن في ذلك وأخرج أبو داود والنسائي عن عائشة انها قالت: « اومأت امرأة من وراء ستر بيدها كتاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبض صلى الله عليه وسلم يده فقال ما أدري أيد رجل أم يد امرأة فقالت بل يد امرأة فقال : لو كنت امرأة لغيرت اظفارك » يعني بالحناء . فهلا يؤخذ من هذا أن النساء كن يتبرقعن وكن يتسترن حتى على النبي ؟ وهلا قول علي : « واكفف ابصارهن بالحجاب » أعظم دليل على أن المراد بغض الابصار لزوم الحجاب؟

وهل يفهم لذلك معنى سوى ان جميع الصحابة كانو فاهمين أن النساء مأمورات بالتقنع وانهم كانوا حريصين على تنفيذ ذلك الأمر ؟ أليس اذا أشكل أمر يرجع الى القرآن والسنة أو الاجماع ؟ وهذا هو القرآن أمر بالحجاب بهذه الآية وبما سترى من الآيات . وهذه هي السنة حائة عليه كما رأيت وكما سترى . واجماع الصحابة متفق عليه كما رأيت . واذا نظرنا

في الشرع نص في استعمال الخصيان الاستعمال الذي كان عليه بعض العائلات الكبيرة لعهد غير بعيد انما كان امر استعمال الخصيان من الامور الاجتهادية قياسا على غير أولى الأربة الذين اباح الله في الآية السابقة ابداء الزينة امامهم . والأربة هي حاجة الرجال الى النساء . وكان معاوية في عهد خلافته اول من رأى هذا وجعله مذهباً اجتهاديا. فلما اقتنى خصيا واراد ان يدخله على بعض نسائه كما تقدم امتنعت من ذلك فاحتج بكونه خصيا فقالت له ان المثلة به لم تحل منه ماحرم الله . ولم ير غيره من اهل الاجتهاد جواز ذلك فكان استعمال الناس للخصيان تقليدا لمذهب معاوية الذي هو من الشرعيات الاجتهادية دون النصية . ولقد ترتب على ذلك من الآثار المذمومة مالو اطلع عليه معاوية لكان عساه ان يحكم بتحريمه : وليس ماتنتج من استعمال الاغاوات سببا للحط من الدين فهو بدعة دخلت بلادنا كغيرها من البدع ولم تكن من عوائد المسلمين السابقة ولا اللاحقة ولم يرد بها شرع فلا ينسب الى الشرع ما خرج عن حدوده ولا يصح ان ينسب الى الدين ما حدث بالبدعة

الى العادة التي كانت جارية وقت نزول هذه الآية لوجدنا حضرة محرر المرأة نفسه يقول : « ان الانتقاب والتبرقع هما من العادات القديمة السابقة على [illegible] والباقية بعده » فما هو وجه الاشكال اذا ؟ هل قال ائمة الدين وعلماء المسلمين بما يخالف ذلك الاجماع وبكشف الوجه واليدين مطلقا كما يدعون عليهم ؟ أين الدليل على هذا القول وهاكم الائمة كلهم تابعون لقول الله العظيم وسنة نبيه الكريم ولم يقل أحد منهم برفع الحجاب ؛ غاية ما قالوه جواز كشف الوجه والكفين اذا حلت ضرورة تبيح ذلك المحظور وامنت الفتنة . فيا بعد هذا القول مما يتقولون عليهم !!

ولزيادة الايضاح نقول انه لم يختلف كذلك احد من الصحابة فى أن المراد من قوله تعالى : « الا ما ظهر منها » ليس هو الا الزينة بدليل انهم لم يسألوا عائشة الا عن الزينة الظاهرة ولو كان الامر بخلاف ذلك وكان المقصد استثناء بعض اعضاء كما يزعمون لسألوها عن الاعضاء التى لا تدخل تحت حكم عدم الابداء

وجاء فى تفسير روح المعانى للعلامة الشيخ الالوسى : « ولا يبدين زينتهن الا ماظهر منها » اى الا ما جرت العادة والجبلة على ظهوره والاصل فيه الظهور كالخاتم والفتخة والكحل والخضاب فلا مؤاخذة فى ابدائه للاجانب وانما المؤاخذة فى ابداء ما خفى من الزينة كالسوار والدملج والقلادة والخلخال والاكليل والوشاح والقرط . وذكر الزين دون مواقعها للمبالغة فى الامر بالتستر لان هذه الزين واقعة على مواضع من الجسد لا يحل النظر اليها الا لمن استثنى فى الآية بعد » وقال ابن المنير

وهو مالكى مشهور : « الزينة على حقيقتها وما يأتى انشاء الله تعالى من قوله عز وجل : ,, ولا يضربن بارجلهن الآية ،، يحقق ان ابداء الزينة مقصود بالنهى . وايضا لوكان المراد من الزينة موقعها لزم ان يحل للاجانب النظر الى ما ظهر من مواقع الزين الظاهرة وهذا باطل : لان كل بدن الحرة عورة لا يحل لغير الزوج والمحرم النظر الى شئ منها الا لضرورة كالمعالجة وتحمل الشهادة . »

وروى الطبرانى والحاكم وصححه ابن المنذر وجمع آخرون عن ابن مسعود ان ,, ماظهر ،، الثياب والجلباب وفى رواية الاقتصار على الثياب وعليها اقتصر الامام احمد . وقد جاء اطلاق الزينة عليها فى قوله تعالى ,, خذوا زينتكم عند كل مسجد ،، على ما فى البحر . وروى عن ابن عباس ان ما ظهر الكحل والخاتم والقرط والقلادة . وعن الحسن انه الخاتم والسوار وقال ابن بحر : « الزينة تقع على محاسن الخلق التى فعلها الله تعالى وعلى ما يتزين به من فضل لباس والمراد فى الآية النهى عن ابداء ذلك لمن ليس بمحرم واستثنى ما لم يمكن اخفاؤه فى بعض الاوقات » وقال بعض المفسرين : « إن قوله تعالى ,, ما ظهر منها " اى من غير اظهار بأن كشفته ريح او لضرورة

هذا وهل يمكن باختلاط الرجال مع النساء وكشف وجوههن غض بصر الرجل عن المرأة وبالعكس كما هو صريح هذه الآية الشريفة؛ أليست مبادئ ميل الانسان الى الشهوات انما هى الاجتماع . والميل للشئ لايكون لا بعد رؤيته والرؤية كما اجمع العقلاء سبب التعلق والفتنة ؛ أليس وجوب

الغض المأمور به فى هذه الآية يوجب حرمة الاختلاط لاستحالة الاختلاط مع غض النظر ؛ اما تدل هذه الآية على طلب المبالغة فى الاحتياط فى أمر النساء وعلى ان الاحوط لهن لزوم البيت الذى هو محل شغلهن والتباعد عن الرجال وعدم اختلاطهن بهم لعدم الضرورة لذلك وتباعدهن عن الحضور فى المجتمعات والهيآت ؛ أم تدل التجاريب على انه متى تأثرت العين بنقل الصورة وصلت الحركة الاستحسانية الى المخ فى اسرع وقت وهو يردها الى الاعضاء هياما وثورة غرام ؛ جاء فى بعض الآثار: أن النظر سهم مسموم من سهام ابليس . وقال الالوسى فى تفسير قوله تعالى ,, ذلك ازكى لهم ,, : « أى أطهر من دنس الريبة وأنفع من حيث الدين والدنيا فان النظر بريد الزنا وفيه من المضار الدينية والدنيوية ما لا يخفى »

قال الشاعر :

والمرء ما دام ذا عين يقلبها * فى أعين العين موقوف على الخطر
يسر مقلته ما ساء مهجته * لا مرحبا بانتفاع جاء بالضرر

ولسنا نتكلف ايراد دليل على ذلك اعظم مما ذكر فى اسباب نزول هذه الآية فان سبب الواقعة التى ترتب عليها نزولها كان الفتنة من النظر الى محاسن امرأة فى الطريق فافتتن الرجل واختبل فى فكره وعقله وسيره حتى اختبط فى حائط وهو لا يدرى ماذا يفعل ولا يعي وسال دمه كما ترى:

اخرج ابن مردويه عن على كرم الله وجهه قال : « مر رجل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طريق من طرقات المدينة فنظر الى امرأة ونظرت اليه فوسوس لهما الشيطان انه لم ينظر احدهما للآخر الا

اعجابا به فبينما الرجل يمشى الى جنب حائط وهو ينظر اليها اذ استقبله الحائط فشق انفه فقال : والله لا اغسل الدم حتى آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره أمرى. فاتاه فقص عليه قصته فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : هذا عقوبة ذنبك . وانزل الله تعالى هذه الآية . » فامر الرجال بغض الابصار وبحفظ فروجهم وأمر النساء بذلك وبشئ آخر ازيد منه: وهو ستر الزينة والمحاسن وعدم إبدائها حتى لا يود احد يفتتن بهن . ومن هذا لزم ستر وجه المرأة لانه داعية الفتنة كما قدمنا .

ولو كان المراد من هذه الآية اظهار بعض اعضاء وهى الوجه والكفان بدون قيد ولا ضرورة فبم نفسر قوله تعالى : ,, والقواعد من النساء اللآتى لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وان يستعففن خير لهن والله سميع عليم . ,, جاء فى تفسير روح المعانى: « اى ان استعفافهن خير لهن من الوضع لبعده من التهمة فلكل ساقطة لاقطة » وجاء فيه ايضا ان المراد : بثيابهن الثياب الظاهرة كالجلباب والرداء والقناع الذى فوق الخمار [١]

فهذه آية دلت على وجوب الستر والاحتجاب على الكواعب وأباحت للقواعد ان يرفعن قناعهن ان اردن وان يكن التستر وعدم رفع ذلك خيرا لهن واسلم وابعد للتهمة

[١] اخرج ابن المنذر عن ميمون بن مهران انه قال فى مصحف ابى بن كعب ومصحف ابن مسعود : « فليس عليهن جناح ان يضعن جلابيبهن . » واخرج ابن ابى حاتم عن ابن مسعود وابن عباس رضى الله عنهما انهما كانا يقرآن كذلك ولعله لذلك اقتصر البعض فى تفسير الثياب على الجلباب .

على أنه اذا كان وجههن وايديهن مكشوفة من الاصل فماذا يمكن أن يباح لهن ازيد من ذلك ؛ هل يمكن ان يقال ان الله امرهن بابداء باقى بدنهن وجسمهن ؛ اللهم ان هذا تضليل ومغالطة لا يرضيانك !

هذا وحرصا على الحجاب وحثا على وجوبه وتشديده قال الله تعالى « يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى الا ان يؤذن لكم . واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلك اطهر لقلوبكم وقلوبهن » أى اكثر تطهيرا من الخواطر الشيطانية التى تخطر للرجال فى أمر النساء والنساء فى أمر الرجال لما يترتب على الرؤية من التعلق والفتنة كما اسلفنا القول . وقال ايضا : « يا نساء النبى لستن كاحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض . وقلن قولا معروفا وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى » فهذه آيات تفيد جميعها ان الله سبحانه وتعالى أمر بالحجاب بمعانيه كلها وانها وان كان المخاطب بها نساء النبى لكن المقصود منها بلا شك أمر نساء المؤمنين كلهن بهذا الحكم تبعا لهن. لانها انما تأمر بآداب والادب مطلوب للجميع . قال ابن كثير فى تفسير هذه الآيات : « هذه آداب أمر الله بها نساء النبى صلى الله عليه وسلم ونساء الأمة تبع لهن فى ذلك » ولا شك ان هذا من باب الخصوص الذى يقصد منه العموم وهى قاعدة أصولية اتفق عليها فحول علماء الاصول فقالوا « ان العبرة فى آى الكتاب واخبار السنة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب »

ولا يعتد بقول من يقول ان هذه الآيات خاصة بنساء النبى

ولا تنطبق على غيرهن بدليل قوله تعالى « لستن كاحد من النساء » اذ لماذا لا نقول ان الحجاب كان معروفا مستعملا عند جميع نساء المسلمين كما ثبت مما قدمنا ولم يكن غير محتجب الا نساء النبي صلى الله عليه وسلم لانهن معتبرات **امهات المؤمنين** بقوله تعالى: «وازواجه امهاتهم» ولا موجب للأم ان تحتجب على ابنها فظن انهن لذلك غير داخلات فى حكم ذلك المنع والاحتجاب . فاراد الله سبحانه وتعالى ان يبين لهن ان الحجاب واجب عليهن أيضا لانهن لسن كاحد من النساء فى الثواب والعقاب بل يضاعف لهن كل من ذلك لعلو مقامهن ومكانتهن : قال الله تعالى : « يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف له العذاب ضعفين ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين واعتدنا لها رزقا كريما » قال فى ذلك ابن عباس رضى الله عنه :« يريد ليس قدركن عندى مثل قدر غيركن من النساء الصالحات: أنتن اكرم علىّ وثوابكن اعظم لدىّ ان اتقيتن الله فاطعنه فان الاكرم عند الله الأتقى »

ولعمرى ليس فى ذلك شئ من الغرابة : أليس العمل الواحد يعمله شخص فيعاقب عليه عقوبة خفيفة ويعمله الآخر فيضاعف عقابه ؟ اليس من اصول التشريع ان التعذير يختلف باختلاف درجات الانسان ؟ أليس البعض يضرب بالعصا والبعض تكفيه الاشارة ؟ والا فما معنى ان نساء النبي المعتبرات كما قلنا **امهات المؤمنين** فلا يجوز النظر اليهن ولا التطلع لهن يؤمرن بالاحتجاب عن اولادهن وغيرهن ممن يطمع فيهن لا يؤمرن به ؟

ولو اضفنا الى ما تقدم ايراده من الاحاديث واخبار الصحابة واقوالهم قول عائشة رضى الله نساء عنها :« رحم الله نساء الانصار لم يكن الحجاب يمنعهن ان يتفقهن فى الدين » لزال كل شك وارتفع كل التباس وعلمنا ان جميع النساء كن مأمورات بالحجاب عاملات به . وهذا ما يستفاد ايضا من اسباب نزول آية الحجاب : اخرج البخارى وابن جرير وابن مردويه عن انس رضى الله عنه قال:« قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : يا رسول الله يدخل عليك البار والفاجر فلو امرت امهات المؤمنين بالحجاب . فانزل الله تعالى آية الحجاب. واخرج ابن جرير عن عائشة :« ان ازواج النبى عليه الصلاة والسلام كن يخرجن بالليل اذا برزن الى المناصع وهو صعيد افيح وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول للنبى :احجب نساءك فلم يكن رسول الله يفعل انتظارا لامر ربه والا فهو كان اشد غيرة كما تدل على ذلك احاديثه الشريفة — فخرجت سودة بنت زمعة رضى الله تعالى عنها ليلة من الليالى عشاء وكانت امرأة طويلة فناداها عمر رضى الله تعالى عنه بصوته الاعلى: قد عرفناك يا سودة حرصا على ان ينزل الحجاب فانزل الله تعالى آية الحجاب.» وفى مجمع البيان للطبرى:« ان مجاهدا روى عن عائشة انها كانت تأكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حسيا فى قعب فمر عمر فدعاه عليه الصلاة والسلام فاكل فاصابت اصبعه اصبع عائشة فقال: لو اطاع فيكن ما رأتكن عين . فنزلت آية الحجاب. »

ولا يبعد ان يكون مجموع ما ذكر سببا لنزوله . ومنه يستفاد ان الحجاب كان معهودا واجبا على نساء المؤمنين ولم يكن ينقص الا ان

تحجب نساء النبي. والا فلماذا كان حرص عمر لهذا الحد بخصوص امهات المؤمنين وترك نسائه وباقى النساء؛ أما كان الأولى به ان يبدأ بنفسه خصوصا وشدة غيرته مشهورة معلومة ؟

وفضلا على ذلك فان فى قوله تعالى : « ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى » اشارة لطيفة الى ان هذه العادة : - عادة التبرج وهو الظهور وعدم التستر - انما كانت عادة الجاهلية الاولى التى لاشرع لها واندثرت بزوال تلك العصور - عصور الجاهلية والهمجية والتوحش - فلم يعد يليق الرجوع اليها فى زمن التمدن الحقيقى وقد بزغ نور الاسلام. ولو كان المقصود احتجاب نساء النبي فقط دون باقى النساء لكان التبرج باقيا ولما صح ان يقال عنه:« تبرج الجاهلية الاولى » بل كان الاقرب ان يقال:« ولاتبرجن تبرج باقى النساء لانكن لستن كاحد منهن »

هذا وقوله تعالى : « يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن. ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفور رحيما » قد ازال كل التباس ان كان هناك وجه للالتباس وجاء متمما للحكم بستر المرأة جميع بدنها وتعميم هذا الحكم على جميع النساء فى جميع الاوقات ليلا ونهارا .

وفى الواقع أليس معنى ذلك ان نساء المؤمنين عامة أمرن بأن يبدين وجوههن التى يعرفن بها ؛ واى شئ يعرف الانسان به غير وجهه ؛ قال عمر رضى الله عنه : « القناع للحرائر لكيلا يؤذين » وقال السدى فى اسباب النزول : « كانت المدينة ضيقة المنازل وكان النساء اذا كان الليل

خرجن فقضين الحاجة وكان فساق المدينة يخرجون فاذا رأوا المرأة عليها قناع قالوا هذه حرة فتركوها واذا رأوا المرأة بغير قناع قالوا هذه أمة فكانوا يراودونها فانزل الله تعالى هذه الآية » الا يفهم من ذلك ان القناع كان مستعملا لدى الخروج نهاراً وان بعضهن كن يخرجن بدونه فى جنح الظلام لقضاء حاجتهن ظنا منهن ان لهن من ظلام الليل وحنكته حجابا آخر يغنيهن عنه فخاب ظنهن وتطاول الاشرار عليهن فشدد الله تعالى فى الامر بالتستر وبأن لا يرفعن الحجاب متى برزن من خدورهن ليلا كان او نهارا لما فى ذلك من زيادة الصون والحرص على الآداب .

ولقد اتفق اغلب المفسرين على ان المراد من ذلك وجوب ستر المرأة رأسها ووجهها وجميع بدنها بحيث لا يظهر منها الا عينا واحدة وقيل عيناها . قال ابن عباس فى ذلك :« أمر نساء المؤمنين ان يغطين رؤوسهن ووجوههن بالجلابيب الا عينا واحدة » . وقال ابوحيان : «اى ذلك اولى ان يعرفن لتسترهن بالعفة فلا يتعرض لهن احد ولا يلقين بما يكرهن . لان المرأة اذا كانت فى غاية التستر والانضمام لم يقدم عليها احد بخلاف المتبرجة فانه مطموع فيها » وعن ام سلمة قالت : « لما نزلت هذه الآية — يدنين عليهن من جلابيبهن — خرج نساء الانصار كأن على رؤوسهن الغربان من السكينة وعليهن ألبسة سود يلبسنها »

والاحاديث الشريفة على وجوب الحجاب بمعنيه كثيرة منها ما تقدم ومنها ما يأتى : اخرج ابوداود والترمذى وصححه والنسائى والبيهقى فى سننه عن أم سلمة:« انها بينما كانت هى وميمونة عند رسول الله صلى الله عليه

وسلم اقبل ابن أم كلثوم فدخل عليه الصلاة والسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجبا منه فقالت أم سلمة : يا رسول الله هو اعمى لا يبصر فقال : افعمياوان انتما ؛ الستما تبصرانه ؟» واستدل به من قال بحرمة نظر المرأة الى شئ من الرجل الاجنبى مطلقا .

واخرج الترمذى والبزار عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :« ان المرأة عورة فاذا خرجت من بيتها استشرفها الشيطان واقرب ماتكون من رحمة ربها وهى فى قعر بيتها » واخرج البزار عن انس قال:« جئن النساء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلن يارسول الله ذهبت الرجال بالفضل والجهاد فى سبيل الله فهل لنا من عمل ندرك به فضل المجاهدين؟فقال عليه الصلاة والسلام: من قعدت منكن فى بيتها فانها تدرك عمل المجاهدين فى سبيل الله تعالى »

على ان الشرع قد صرح للنساء بالخروج فى احوال مخصوصة عند الضرورة كخروجهن للمسجد والحج وزيارة الوالدين وعيادة المرضى وتعزية الاقارب وغيرذلك بشروط مذكورة فى محلها. والمراد ان لايكن خراجات ولاّجات طوّافات فى الطرق والاسواق وبيوت الناس بدون ضرورة ولاحاجة وبيتهن اولى بهن واحوج لهن . وهذا لاينافى خروجهن لما فيه مصلحة دينية ولا ان يخرجن لحاجتهن مع التستر وعدم الابتذال برضا ازواجهن وان يكن القعود اسلم. قال عليه الصلاة والسلام : « ليس للنساء نصيب فى الخروج الا مضطرة . » وقالت عائشة : « لو علم النبى صلى الله عليه وسلم ما احدثت النساء بعده لمنعهن من الخروج » فاذا كان هذا حال

النساء فى ذلك الوقت فكيف حالهن اليوم الذى كثرت فيه المفاسد بفضل الحرية الواسعة والابتذال ولا رادع من حاكم ولا من دين ؟

والاحاديث كثيرة على ان صلاة المرأة فى بيتها خير من صلاتها فى المسجد مبالغة فى سترها وعلى ان الاجدر بها ملازمة البيوت وعدم الخروج منها خصوصا والرجل متكفل بقوتها ومصروفها . وكذلك الشرع أباح للمرأة الاختلاط مع محارمها وهم غير قليلين وحرم عليها الاختلاط مع اجنبى والخلوة به : روى البخارى عن ابن عباس رضوان الله عليهما قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخلون رجل الا مع ذى محرم » وقال: « والذى نفسى بيده ماخلا رجل بامرأة الا دخل الشيطان بينهما . ولان يزحم رجلا خنزير متلطخ بطين وحماة خير له من ان يزحم منكبيه منكب امرأة لا تحل له »

﴿ دفع اعتراضات ﴾

يقول حضرة محرر المرأة ان فى كتاب الروض فى المذهب الشافعى نظر الوجه والكعبين عند أمن الفتنة من الرجل للمرأة وعكسه جائز وهو قول مرجوح كما يظهر مما يأتى :

جاء فى الزواجر فى مذهب الشافعى : « الوجه والكفان ظهرهما وبطنهما الى الكوعين عورة فى النظر من المرأة ولو أمة على الاصح وان كانا ليسا عورة من الحرة فى الصلاة . »

وذكر فى الزواجر ايضا : « حرمة سائر ما انفصل من المرأة لان رؤية

البعض ربما جر الى رؤية الكل فكان اللائق حرمة نظره ايضا بل قال : حرم أئمتنا النظر لقلامة ظفر المرأة المنفصلة ولو من يدها »

وجاء فى تفسير روح المعانى مايأتى :

« وذهب بعض الشافعية الى حل النظر الى الوجه والكف ان أمنت الفتنة وليس بمعول عليه عندهم . وفسر بعض اجلتهم « ما ظهر » بالوجه والكفين بعد ان ساق الآية دليلا على ان عورة الحرة ماسواهما وعلل حرمة نظرهما بمظنة الفتنة فدل ذلك على انه ليس كل مايحرم نظره عورة وانت تعلم ان اباحة ابداء الوجه والكفين حسبما تقتضيه الآية عندهم مع القول بحرمة النظر اليهما مطلقا فى غاية البعد فتأمل »

وجاء فى المنهج ما ملخصه انه يحرم نظر نحو فخل ولو مراهقا شيئا من كبيرة اجنبية ولو امة وأمن الفتنة الا لحاجة مع أمن الفتنة

ولسنا ندرى لماذا اخذحضرة صاحب تحرير المرأة بالقول المرجوح من مذهب الشافعى وترك القول الراجح الذى عليه المعول عندهم . بل ولماذا نسب الى ابن عابدين اباحة كشف الوجه والكفين امام الاجنبى مطلقا بلا قيد مع ان ماذكره ابن عابدين يفيد الاباحة عند الضرورات ومع أمن الفتنة والكل مسلم بان الضرورات تبيح المحظورات .[١]

(١) جاء فى كتاب الجليس الانيس فى التحذير عما فى تحرير المرأة من التلبيس فى هذا الخصوص مايأتى ملخصا : هذه (اي العبارة التى جاءت بكتاب تحرير المرأة عن ابن عابدين) ليست عبارة ابن عابدين وانما هى عبارة شرح التنوير فان هذه العبارة التى نقلها لاتعلق لها بما نحن فيه ولامساس لها بالموضوع فانها متعلقة بالصلاة وشروطها والموضوع ستر المرأة عن الاجانب . نعم ماذكره من قوله وتمنع الشابة

وكذلك ما جاء فى شرح الدليل لمذهب الحنابلة يفيد ان نظر الرجل البالغ ولو مجبوبا لشئ ما من الحرة التى تشتهى لا يجوز الا لضرورة. ويدحض ما قاله حضرة محرر المرأة من ان حكم كشف الوجه والكفين معروف كذلك عند المالكية والحنابله. وكذلك ما نقله حضرته عن الزيلعى فهو فى حق الصلاة

وكأنى بمن يقول بجواز النظر لوجه المرأة عند أمن الفتنة قضى بتحريم ذلك على الاطلاق فى قالب الاباحة لانه علق ذلك على امر مستحيل خصوصا فى هذه الايام — مهما كابر نصراء الابتذال واحسنوا الظن فى احوال هذا الزمان — وهو أمن الفتنة. فليس من ينكر ان الرؤية سبب التعلق وان للانسان النظرة الاولى وليس له الثانية: يدل على ذلك امر الله سبحانه وتعالى لكل من الرجل والمرأة بغض البصر اجتنابا لما يترتب على النظر من الفتنة فمن حام حول الحمى او شك ان يقع فيه.

وأما سؤاله: « لماذا اختص النساء بالاحتجاب والتبرقع ولم لم تتبرقع الرجال لان كليهما مأمور بغض الابصار ». فهو قول مردود ايضا لان من تأمل لهذه الآية الشريفة وجدها كما اسلفنا القول تطالب الرجال بامرين: هما غض البصر وحفظ الفرج وتطالب النساء بذلك كله وبأمر ثالث هو

من كشف الوجه وكتب عليه ابن عابدين اي تنهى عنه لهمساس بما نحن فيه لكنه شاهد عليه لاله. ولو انصف لنقل من الدر وحاشية ابن عابدين ما يناسب الموضوع المذكور فى باب الحظر والاباحة. وعبارة الدر هنالك: وينظر من الاجنبية ولو كافرة الى وجهها وكفيها فقط للضرورة قيل والقدم والذراع اذا اجرت نفسها للخبز.

عدم ابداء الزينة والمحاسن بسترها بالحجاب والبرقع كما قدمنا . وهذا أمر أنفردن هن به ولم يشترك معهن فيه الرجال ومن ذلك يعلم السر في أن النساء كلفن بالحجاب والتبرقع دون الرجال ولله في أموره حكم .

وزيادة على ذلك فانه لما كان لكل من الزوجين وظيفة مخصوصة كما قدمنا وكانت وظيفة الرجل خارج بيته للسعي على معاشه ومعاش اهله ولعمار الدنيا بنمو الفلاحة والتجارة والصناعة الخ ووظيفة المرأة منزلية داخل البيت وخروجها استثناء لضرورة فتكليفها بالتبرقع اقل ضررا ممن الاصل في خلقته بمقتضى الحكمة الالهية وجوده خارج بيته . فضلا على ان أغلب الفتنة من النساء لانه قد اقتضت حكمة الله تعالى ان خلق النساء والرجال من نفس واحدة ليسكن بعضهم الى بعض ومع ذلك جعل النساء رأس الشهوات في قوله تعالى : « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث . » وذلك لتقدم النساء في قلوب الرجال على جميعها وكانت عائشة رضي تعالى عنها تقول : « من شقوتنا ان الله تعالى قدمنا حين ذكر الشهوات ». وروى البخاري عن اسامة بن زيد قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما تركت فتنة بعدى اضر على الرجال من النساء ».

يقول نصراء الابتذال ان في الاختلاط فوائد ومزايا وانه بمجرد تعليم البنت ما هي العفة ومزاياها تتعفف ويؤمن عليها من الاختلاط والخروج والدخول فنقول : هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين فان النفس ميالة بالطبع الى الشهوات اشد الميل ولا علم ولا تربية تقوى على صد تيار هوى الانسان

وشهواته اذا تهيأت اسبابه كما دلت عليه الشواهد العديدة فاحتجاب النساء كما تستدعيه وظيفتهن مما يجعل التربية تؤثر تأثيرها الحسن وهو احفظ لحرمتهن واسلم لشرف الرجل لما فى الاطلاق من الذهاب بعفتهن كما دلت عليه المشاهدات وكما يستفاد من اقوال علماء التمدن الحالى.

ولاشك ان السبب فى افراط بعض النساء المتمدنات وخروجهن عن حدودهن الطبيعية وسوء نتيجة التربية عندهن هو اختلاطهن بالرجال وعدم احتجابهن . اذ لو كان الحجاب مقررا عندهن قبل هذا الغلو الذى وقعن فيه لأثرت فيهن التربية تأثيرا حسنا كما قلنا ولما انتهت بهن الى هذه الحالة التى لا يستحسنها عاقل : فهذه بعض نساء الشرق الفلاحات اللاتى يجتمعن بالرجال اجتماعا ما صدفة او لغرض صحيح لما لم تبح لهم محادثة الشبان ومغازلة الغلمان ومخاصرة الفتيان ندر فيهن ترك العفة لعدم توفر الدواعى . فالعفيفة فى نساء الغرب مع هذا الاختلاط الكلى حكيمة قاهرة لفطرتها دائمة الحرب بين لذتها وشرفها .

وزد على ذلك ما يترتب على الاختلاط من المضار التى ربما جرت الى خراب البيت وتشتيت العائلة فان المرأة اذا كانت تنظر لغير زوجها فى جميع الاوقات وتطلع على معائش الناس مع اختلاف الحالات فان ذلك قد يحرك عندها الشهوات ويجدد لها لوازم ربما اوقعت بينها وبين زوجها المنازعات والمخاصمات فيؤول الامر الى الفرقة وخراب البيت . وكذلك لا يعود من الاختلاط سوى تضررها بزوجها او تضرر زوجها بها لانه لو فرض ان زوجها فقير او متقدم فى السن واجتمعت بمن هو اغنى منه

او اصغر لبطرت معيشة زوجها وكرهت الاقامة معه وكذلك الزوج ربما عرضت له خواطر نفسية باجتماعها على اغنى منه او اصغر فيؤول الامر كذلك الى الفرقة وخراب المنزل. وكما ان الرجل لا تسمح نفسه برؤية غيره لحرمه فكذلك المرأة لا تسمح نفسها برؤية غيرها لزوجها اذ النساء اشد غيرة من الرجال كما هو معلوم. كل هذه امور مؤيدة بالتجاريب الصادقة وبالمشاهدات الحسية وليس بعد الحس دليل. ولسنا نظن ان احدا ممن يخالطون العائلات غير المحتجبات ينكر ذلك.

يقول حضرة محرر المرأة ان البرقع والنقاب غير معروفين فى الاسلام وهذا قول يدفعه ما جاء فى نفس كتاب تحرير المرأة من ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى المحرمة عن لبس القفازين والنقاب. وهل لذلك معنى سوى ان النقاب كان موجودا ومعروفا وانه كان معمولا به وواجبا وكان النساء يستعملنه حتى فى وقت الاحرام فنهاهن النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك فى هذه الحالة فقط؛ يدل على استعمال النساء اياه ما تقدم من الاخبار والاقوال وقول عمر رضى الله عنه لجارية رآها مقنعة: «القى القناع لا تتشبهى بالحرائر» وقوله لاخرى: «يالكعاء اتتشبهين بالحرائر» وقوله: «القناع للحرائر كيلا يؤذين». واذا سلمنا بان البرقع والنقاب كانا من العوائد القديمة السابقة على الاسلام والباقية بعده كما يقول حضرة صاحب كتاب تحرير المرأة فكيف امكنه ان يوفق بين هذا القول وبين ما قاله عند تفسير قوله تعالى: «الا ما ظهر منها» اى ما كان النساء متعودات على اظهاره وقت نزول الآية وهو الوجه والكفان؛ اليس فى ذلك تناقض لا يخفى؛

يقول حضرة محرر المرأة ان بعض الائمة قال بجواز كشف الوجه فى احوال كالتعليم ولاداء الشهادة وللطبيب الخ . اليست هـذه هى أحوال الضرورة التى علق عليها الائمة جواز رفع الحجاب ؟ ألم يجارنا حضرته بهذا القول ويسلم معنا من حيث لايقصد بوجوب الحجاب وبانه الاصل فى الشرع ؟ أليس معنى « الجواز » ان الاصل عدم الجواز ؟

اما ما قيل عن علم عائشة فهو حجة على قائله لانها كانت محتجبة حجابا تاما بالاجماع والحجاب لم يمنعها من ان تكون بالصفـة التى قالها حضرته وكذلك كان كل النساء المسلمات اللاتى نبغن وبلغن درجة من العلم والمعارف والكمال لاينكرها احد : فكن يعلمن الرجال ويحادثنهم من وراء حجاب وان افتخر بعض كتاب وعلماء اوروبا بنسائهم وجعلوا لهن نصيبا وافرا من اعمالهم فلكم فاقتهن فى ذلك نساء مسلمات محتجبات .

فالحجاب لم يمنع ولن يمنع مطلقا من تحصيل العلم الصحيح النافع ولا تدريسه لمن يردن . قالت عائشة :« رحم الله نساء الانصار لم يكن الحجاب يمنعهن ان يتفقهن فى الدين »

واذا قيل ان الحجاب هو المانع من التعليم ومن الترقى وانه الباعث على الجهالة فكيف يمكننا ان نوفق بين هذا القول وبين ما نرى عليه كثيرا من رجالنا من الجهالة العمياء والانحطاط الادبى الذى ما بعده انحطاط .هل هؤلاء ايضا سبب جهلهم الحجاب؟ وهل افنى ثرواتهم واضاع شرفهم الحجاب؟

ولو قيل بان بعض سيدات مسلمات فى صدر الاسلام خرجن ليتعلمن او ليعلمن فليس معنى ذلك انهن تركن الحجاب بمعنييه وخرجن

مكشوفات الوجه بل الذى يمكن ان يقال انهن تركن احد شقيه وحافظن على الآخر .

واما ماهو منسوب الى عمر من انه دعى زوجته للأكل مع اجنى فضلا عن كونه غير ثابت فان لنا من غيرة عمر رضي الله عنه حتى على نساء غيره ومن ادب زوجته ام كلثوم بنت فاطمة بضع الرسول ومن سيره فى بيته على ما يوافق الحجاب التام وحرصه عليه مايدفع صحة هذه الرواية

وكذلك ماروي عن عائشة من« ان اسماء بنت ابى بكر دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب رقاق فاعرض عنها وقال: يا اسماء ان المرأة اذا بلغت المحيض لايصلح ان يرى منها الاهذا وهذا واشار الى وجهه وكفيه » فيكفينا لاثبات ضعفه ايراد ماجاء بكتاب حسن الاسوة نفسه عن هذا القول من أنه رواه ابو داود وقال:« هذا مرسل خالد بن دريك وهو لم يدرك عائشة : »فكيف اذا تتخذه قضية مسلمة بعد ذلك ونستشهد به خصوصا مع ما هو مشهور عن اسماء بنت ابى بكر من شدة التستر وعدم التبرج وستر الوجه حتى فى وقت الاحرام : قالت فاطمة بنت المنذر: « كنا نخمر وجوهنا ونحن محرمات مع اسماء بنت ابى بكر »

اما نساء الارياف عندنا وهن اللاتى اتخذهن حضرة صاحب تحرير المرأة حجة على مخالفة الشرع فى عدم احتجابهن ففيه نظر: لانه ليس من ينكر ان نساء الوجوه والاعيان منهن لايخرجن من خدورهن واذا خرجن تبرقعن . واما نساء غيرهم من اهل القرى فعدم احتجاب بعضهن لضرورة مساعدة ازواجهن على اكتساب رزقهم وهذه الضرورة مما تبيح المحظور

شرعا وداخلة فى مايمكن اباحته استثناء بشرط عدم الابتذال ولو أن هذه الاعانة ليست بالواجبة عليهن [١] على ان اهل القرية الواحدة يعتبرون انفسهم كأهل بيت واحد وعائلة واحدة ولذا ترى الواحدة منهن اذا اقبل اجنبى عن القرية احتجبت بطرف من ثيابها او ادارت وجهها نحو حائط ان كانت غير متبرقعة كما ان الواحدة منهن تجدها فى الغالب ان لم تكن فى مهنة بيتها مرافقة لزوجها او احد اقاربها المحارم وليس من يجترئ على التعرض لها لمحافظة الجميع هناك لعهد قريب على الآداب والدين اكثر من حالة المدن . ومع ذلك فعند فلاحى الارياف عادة هى لجام لعدم الابتذال وهى اعلان بكارة البنت ليلة زفافها على رؤوس الاشهاد فان البنت متى عرفت ان ليلة زفافها سيبقى والدها واهلها مطرقى رؤوسهم واضعى ايديهم على قلوبهم حتى يتحققوا من شرف عرضهم وينتظرون بفروغ صبر اشهار بكارتها ليفهموا الناس ان عرضهم محفوظ ولم يمسسه ادنى ريب بسبب المخالطة اظنها لاتقدم على امر مطلقا مما يثلم شرف عائلتها واهلها ويحط بقدرهم امام الجمهور فى تلك الليلة الموعودة بل ربما أدى الى الفتك بها تخلصا من العار .

---

[١] — ان اشتراك النساء مع الرجال للضرورة لم تحظره الشريعة الغراء وله شواهد كثيرة منها أن زوجة الزبير كانت تنقل النوى لعلف فرسه من مسافة بعيدة ولقد لقيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راكب فاراد ان يبيخ لحملها على ناقتها رأفة عليها وهى حاملة النوى فاستحيت من ذلك . وكان من النساء فى عهد النبوة وراء الجيش من يداوى الكلمى ويسقى العطاش ويجبر الكسر ويأسو الجرح. ومنهن من كن يشتغلن بالغزل والنسج والخياطة وغير ذلك مما يناسبهن اعانة للرجال. غير ان ذلك كله لايشترط فيه الابتذال وعدم الحجاب كما أن هذه الاعانة ليست بالواجبة عليهن.

ومع كل فاذا كان الفلاحات أو كل نساء العالم قد تركن الحجاب وابتذلن هل هذا يحط من اصل الدين ؟ كلا . فالشرع شئ والواقع شئ آخر ويسوءنا ان نذكر هنا ان الفساد الذى سرى بيننا في المدن ابتدأ ان يدخل ويفشو فى الارياف بفصل الحرية وبسبب الاختلاط وبعدم غيرة الاكابر والحكام على الدين فلا يبعد ان تصبح حالة فساد الاخلاق هناك مماثلة لما نحن فيه ويصبح الادب والكمال فى خبر كان فلاحول ولاقوة الابالله.

ولو نظرنا الى الفرنج واختلاط النساء عندهم بالرجال لرأينا ان السبب الاعظم فى ذلك فى مبدأ الامر طبيعة ارضهم وماتلزمهم به حالتهم المعاشية من الكدو النصب فلزم ان تساعد النساء الرجال فى تحصيل العيش والاكتساب فبرزن من خدورهن ثم رفعن حجابهن واسترسلن فى الابتذال وتعودن على الاطلاق وذقن لذة الحرية الواسعة فلم يعد يمكن احداً ان يعيدهن لما كن عليه ولا أن يحجبهن مهما قامت الدلائل الحسية والعقلية والبراهين الساطعة على فساد هذا الحال الاهم الا اذا كان لهن من انفسهن وازع وهذا قليل نادر وصعب على النفوس التى ذاقت طعم الهوى ولذة الاطلاق .

وهذا مانخافه ونخشى عقباه لو جربنا مايشير علينا به كتاب تحرير المرأة فنكون كالغراب الذى حاول ان يقلد مشية الطاووس فاختبط فى سيره ونسى مشيته الاصلية .

ولسنا ننكر ان التفريط الذى بدا منا فى أمر الحجاب ومبادئ عدم الغيرة التى سرت فينا ربما أدى بنا الى تمام التكشف والابتذال ان لم نتدارك الامر ونتلافاه بعزيمة لا تكل وهمة لا تعرف الملل .

اما الافتخار بان نساء الفرنج باوروبا يشتغلن فى التجارة والصناعة و . . . و . . الخ فلا محل له وليس هو فى الحقيقة ونفس الامر الا مضرة من مضار الاختلاط لانه لما كثر الاختلاط وزاد الابتذال عدل كثير من الرجال عن الزواج اكتفاء بمن يجتمعون عليهن فكثر الزنا واولاد الزنا الذين يسمونهم اولادا طبيعيين[١] يعيشون بلا أب ولا مرب ولا مال يسد عوزهم فيلتزمون ان يبحثوا على عيشهم بادنى الدنايا وبكل الحيل فكثر المتشردون وبليت البلاد بالاشتراكيين والاعدامبين وغيرهم . والنساء منهم اصبحن يفرطن فى كل مرتخص وغال لديهن التماسا للرزق ويستخدمن فى اماكن تجارية ويشتغلن فى كل ما يرينه جالبا لهن رزقا ليتقوتن وايجمعن مهرا ربما يحصلن به على رجل : ولو ان الواحدة منهن وجدت زوجا يكفيها اظنها تلزم بيته وتوفر عليها هذه الاتعاب .

انظر الى بعض الفرنجيات تر الواحدة تزيد فى العمر عن الاربعين والخمسين سنة وهى لاتزال بدون زواج لانها لا تقدر على المهر ولأن الرجال مشغولون عنها بغيرها فتضطرها الحالة الى ان تشتغل وتكد وتتعب لتأكل

---

(١) احصى عدد الذين يولدون فى ممالك اوروبا من غير زواج شرعى فوجد عددهم من كل ألف مولود كما يأتى : ايرلاندا ٠٢٦ . روسيا ٠٢٨ . هولاندا ٠٣٢ انكلترا ٠٤٨ . ايطاليا ٠٧٤ . فرنسا ٠٨٢ . اسكتلندا ٠٨٢ . اسوج ١٠٠ . باڤاريا ١٤٠ . النمسا ١٤٦ .
(المقتطف)

وهذا العدد لمن تحقق مجيئهم بلا اب شرعى وربما كان فيمن ينسبون الى الآباء بحكم المعاشرة وهم ادعياء فى الواقع ما يزيد على هذه الاعداد ولكن للتستر بالازواج لم يعدوا .

ولتجمع المهر . ولست افهم مطلقا اسباب الانتقاد على قصر المرأة المسلمة فى بيتها ومنعها من الاختلاط بغير محرم لها وها بعض نساء الفرنج العاقلات العظيمات يأنفن من عوائد بلادهن: فهن لايستقبلن احدا الا فى اوقات مخصوصةولا يسمحن بمقابلتهن الالرجال مخصوصين قدلا يزيدون عمن يجوز للمرأة المسلمة ان تقابلهم وتجتمع بهم من المحارم . أليس ذلك رجوعا من عقلاء الفرنج واستحسانا لبعض عوائدنا التى يقبحونها لنا ؛ أليس ذلك لكون تلك العادة عندهم — عادة الاختلاط والابتذال — بئن منها عقلاؤهم ؟

هذا ولقد وافق على ذلك كثير من علماء الفرنج واستحسنوا الحجاب ودونوا ذلك فى كتبهم وقالوا : ان المرأة لا يلزمها ان تفارق منزلها ولا ان تجتمع برجل وناهيك بالمثل الالمانى الذى سبق ايراده وهو : « يجب ان تحفظ البنت بين الاربعة اناجيل او بين اربعة جدران » تقول ذلك ولو غضب بعض انصار التبذل بيننا الذين يريدون أن نتشبه بما يعده المتمدنون انفسهم فسادا . ولست أقول ان ذلك منهم لسوء قصد بل لعدم التدقيق فى البحث فانهم لودققوا البحث والتنقيب لقالوا غيرما قالوه ولعدلوا عما اليه هم الآن ذاهبون .

﴿ الحجاب الحالى وما يتهددنا به ﴾

علمنا مما تقدم ما نحن عليه من الجهالة وسوء الحال وفساد الاخلاق الذى جر فساد العائلات . وما اسرع سريان الفساد فى شرايين العباد : أصبح

كتاب الله بين ايدينا وما من عامل به : اصبح الحق ينادينا باننا قد خنا انفسنا واهلينا وبلادنا وما من سامع : أصبحنا نفتخر بتعلم اللغات وقشور من بعض العلوم وما علمنا ان تعلم ذلك شئ والتطبع بالمبادئ الشريفة الثابتة شئ آخر لا يوجده فى الأبناء الا حكمة الآباء والتربية الصحيحة التى قد جهلناها جهلنا ما علينا من الواجبات لانفسنا ولاهلينا : اصبحنا لا هم لنا الا ان نفتخر بتقليد الفرنج تقليداً اعمى فى كل ما فيه ضررنا وياليتنا كنا نقلدهم فى فضيلة تفيد وخصلة حميدة تنفع فصرنا لا نتقدم خطوة الى المدنية الغربية ولا نترقى حاجياتنا الا تأخرنا خطوات عما كنا عليه من الفضائل !!

ولقد نال النساء نصيبهن من هذا التفريط فى أمور الدين تخففن الحجاب وبرزن من خدورهن وصرن ولاَّجات طوَّافات فى الشوارع والمتنزهات متبرجات متزينات يبدو منهن من الاشارات والحركات فى الطرق ما يأنف منه الذوق السليم . ولعمر الحق ما هذه الامور التى نراها الا مخالفة كلها للدين واصريح القرآن الكريم القاضى بغض البصر وبعدم التبرج وعدم ابداء الزينة . ولكن ماذا نقول والغيرة على الشرع قد انعدمت اوكادت والفضيلة ذهبت وذهب رجالها والآداب اندرست ومات ذووها : والا فما معنى أن يروا اشد المنكرات باعينهم امام محلات عبادتهم وفى طريقهم بل وفى بيوتهم ولا يعملون على محوها كأن غض الابصار الذى أمروا به هوصرف النظر وغض الطرف عماهو جار من تلك البدع والمنكرات : ولله فى خلقه شؤون .

ولاشك ان الضرر الذى اصبحنا فيه ما هو الا مقدمة اضرار اخرى اشد وانكى مادمنا على غفلتنا هذه مسترسلين وعن صوالحنا ساهين .

فيا قوم ان كان متعذراً علينا اصلاح ماتم فساده فلنحافظ على الاقل على مابقى ان كان هناك بقية . فقد حصل الآن من النساء تساهل كبير فى امر الحجاب ولم يحصل لنا من وراء ذلك الا كثرة الفجور منهن وانتهاك حرمة الآداب وكثرة الفسوق والفساد وهذا امر لا يخفى على احد ويعترف به حضرة صاحب كتاب تحرير المرأة نفسه حيث قال :

« ربما يقول قائل ان مانسمعه اليوم عن كثير من النساء اكثر مما »
« كنا نسمعه سابقا وان الاشاعات عن الفساد اشد انتشارا بل ربما كان »
« الفساد فى الواقع اوسع دائرة مما كان عليه قبل ثلاثين سنه مثلا . ولا منشأ »
« لذلك الا رقة الحجاب . فالحالة القديمة على مافيها كانت اصون للاعراض »
« واحفظ لشرف المرأة من تلك الحالة التى طرأت على النساء . فنجيب »
« عن ذلك باننا لا ننكر ان بعض الطباع الفاسدة من الرجال والنساء »
« معا وجدت سبيلا من تخفيف الحجاب الى تعارف بعضها ببعض »
« واتيان ما تميل اليه من المنكر بل نزيد عليه انه لو استمر تخفيف الحجاب »
« يتقدم بالسرعة التى سار بها الى الآن — والنفوس على ماهى عليه — لعمت »
البلوى وازداد الفساد انتشارا »

« وقال ايضا : « على ان البرقع والنقاب مما يزيد فى خوف الفتنة »
« لان هذا النقاب الابيض الرقيق الذى تبدو من ورائه المحاسن وتختفى »
« من خلفه العيوب — والبرقع الذى يختفى تحته طرف الأنف والفم »

« والشدقان ويظهر منه الجبين والحواجب والعيون والخدود والاصداغ »
« وصفحات العنق — هذان الساتران يعدان فى الحقيقة من الزينة »
« التى تحث رغبة الناظر وتحمله على اكتشاف قليل خفى بعد الافتتان »
« بكثير ظهر . ولو ان المرأة كانت مكشوفة الوجه لكان فى مجموع »
« خلقها مايرد فى الغالب البصر عنها »

نعم هذا هو الواقع ولكن هل هو مقتضى الشرع ؟ حاشا لله وكلا . ان الدين والحياء والعقل ومكارم الاخلاق والادب كل ذلك برىء من هذا الحجاب ومن هذا الابتذال ومن هذه الحال . فالشرع كما علمنا يقضى بستر المرأة وجهها وبدنها وملازمتها خدرها الا لضرورة وباذن زوجها . ولكن قد طرأ علينا بفضل الحرية والاختلاط ورفة الحجاب وعدم الرهبة والخشية التى كنا نحسب حسابها من الله ومن الخلق ماقد يطرأ على غيرنا من الامور المخالفة لطبائعنا المخالفة لديننا وشرائعنا فصار داء فاستحكم فينا ويتهددنا بتمام الوهن والانحلال ان لم يدركنا الله بلطف من عنده ويلهمنا التوفيق والسداد فى قولنا وعملنا . فان من قارن بين بلاد الشرق قبل استيطان الأجانب بها وقبل استيلاء بعض دول اوروبا على بعضها وبين حالتها الراهنة من الآداب العامة رأى فرقاً عظيماً وتبايناً كبيراً عما كانت عليه : كان المسلمون والمسيحيون والاسرائيليون فى الشرق يرون تحريم الزنا من الجهة الشرعية وقبحه من الجهة العقلية ويرون صيانة الاعراض من الواجبات ومع خروج بعض نساء الارياف مكشوفات الوجوه فانه ماكان يجرأ رجل على التعرض لامرأة بشيء يمس الشرف ولو وقع شيء

من ذلك لهلك فى الحال بايقاع اهلها به وربما اوقع به اجنبي منها . وكان الناس على اختلاف اديانهم يتحاشون وجود النساء معهم فى المجامع واختلاطهم بهن فى الافراح ويمتنع كل الامتناع دخول امرأة فى مجمع لهو . واذا لعب الهوى بعقل امرأة تركت بلدها واقليمها وسكنت فى بلد آخر خوفا من فتك اهلها بها ولا يمكنها ان تنتسب الى اهلها أو تخبر باسمها الاصلى بل تغيره وتدعى النسبية لغير اهلها ستراً عليهم وخوفاً من عثورهم بها . وكان لا توجد بغيٌّ فى بيت متظاهرة بالبغاء بل تتستر بقدر الامكان خوفاً من علم الحكومة بها فان الحكومات الشرقية كانت محافظة على الآداب الشرعية والحقوق الشخصية فكانت اذا عثرت ببغى عاقبتها وابعدتها خشية ان يسرى ضررها الى جاراتها . ولذلك كانت الاعراض مصونة والرجال آمنين على بيوتهم غابوا اوحضروا لعدم اشتغال افكارهم بشيء يشوّش عليهم من جهة النساء واذا سافر احدهم سفراً بعيداً او قريبا اوصى جاره على بيته فيتعهد اهله واولاده ويقضى حوائجهم ويغار عليهم غيرته على اهله ويحافظ عليهم محافظته على بيته وعرضه . وربما جاور الرجل اخاه من الصغر الى الشيخوخة ولم يتفق له ان رفع بصره لشباك اخيه مرة فضلا عن تعرضه لحرمه . وكان الرجال المسلمون ابعد خلق الله عن الخمر والنساء ما كانت تذوقها ولا كان الرجال يدخلونها عليهن لعلمهم ان مابعد سكر المرأة الا الافتضاح والميل الى البغاء . فلما حصل الاختلاط بيننا وبين الاجانب بتداخلهم فى بلادنا بالتجارة والتغلب وبأسفارنا فى بلادهم فسدت اخلاق الرجال والنساء بما دخل من مسمى المدنية الغربية حيث دخل الشرق الكثير من نسائهم البغايا وفتحت

المحلات جهاراً وتعرضن للشبان والكهول فى الطرقات وتزين باحسن ما يمكنهن وخرجن يعرضن انفسهن على المارة فى الطرقات فاستلبن عقول الشبان ثم جذبن ضعفاء العقول وما زال الفساد يترقى من صورة الى افظع منها حتى فسدت اخلاق كثير من النساء الشرقيات فأخذ نساء الشرق يتجرأن على الخروج من البيوت سراً ثم تظاهرن فخرجن جهراً ثم تمادين حتى صارت المرأة تترك زوجها وتفتح لها محلا فى بلده او حارته وانتهى الامر بشرب النساء الخمر فزاد التهتك وضاعت اعراض كثيرة وافتضحت مخدرات وذهب مجد بيوت عالية بخروج بعض نسائها لهذا الأمر الشنيع. ثم ترقى الفجور الى ان صار النساء يحضرن مجالس اللهو ويذهبن الى التياترات ويشربن الخمور وهن بحضرة رجالهن. وصار الرجل لا يأمن اخاه على زوجته والجار لا يخاف الا من جاره ووقعت الشبهة على كل مار فى الطريق واصبح اصحاب الاعراض النقية فى حروب شديدة بما يقاسونه من السعى خلف الصيانة والحفظ والخوف من الانحدار فى هذا التيار القبيح الذى جرف البيوت المقفلة على من فيها فهدم اسوار صيانتها وزلزل اركان عفتها وترك من كان فيها كالدر فى الصدف متبذلا بين الناس معرضاً للفساد وقد وقف الناس على اسرار بعضهم فحدث كل صاحبه بمن يعرفها من النساء وما فعل بها من القبيح واخذ كل يشيع ما سمعه عن امرأة غيره وهو لا يدرى ان غيره يشيع على امرأته ما هو اشنع وافظع.

وقد تهاونت بعض الحكومات الشرقية فى هذا الباب تهاون الراضى لهذا الابتذال ورخص بعضها فيه بأمر وعالج البغايا للزناة باطباء من عنده

بدعوى المحافظة على الصحة . هذه امور لم تكن معهودة فى الشرق قبل ثلاثين عاماً أى قبل زيادة الاختلاط بيننا وبين الاجانب. ولايحسب ظان أن ما نراه خاص بنا قاصر علينا بل يظهر ان ذلك مقصود كل دولة اوربية حلت بلاداً شرقية لحل عروة الدين التى هى العروة الوثقى فى الجامعة العصبية والالتئام الوطنى[١] وما على من عنده اقل ارتياب فيما وصلت اليه حالة

[١] — جاء فى جريدة (الزهرة التونسية) من كمسنه حال كلامها على
.. الحكومة الفرنساوية ما يأتى : وليس لها مأثرة حميدة تذكر أو صنع جميل ..
.. يشكر سوى تكاثر الفواحش والفساد والاضرار بالعباد فمنذ تغيرت الهيئة البلدية ..
.. السابقة عظم مصاب المومسات الاوروبيات وتفاقم خطب انتشارهن بين الجزائر ..
.. فى معظم الشوارع المعتبرة وفى حارات الاهالى والاجانب وكثرت اسواق الفجور ..
.. واشتدت وطأة انتصابهن بالشوارع وابواب دكاكينهن وتجاذبهن أثواب العابرين ..
.. واتسع خرق اعتدائهن على الجيران والعبث براحتهم بالوان المنكرات آناء الليل ..
.. واطراف النهار وما لجيرانهم من ظهير ولا نصير : يقدمون العرنحالات ولا يجاوبون ..
.. ويشتكون ولا يسمعون وكيف يرجى الاصلاح من ادارة مؤملة مستبدة معتدية ..
.. على القوانين لا دأب لها الا استخلاص الفرنكين ونصف معلوم الاختبار الطبى ..
.. من ساكنات حوانيت مصدرة بفرش لا تبعد ذراعين عن أبوابها بدون أن ..
.. تأخذها فى هذا العار لومة لائمة . .. وبعد كلام طويل فى الادارة وسوء أعمال الأجانب فيها قالت : .. وطالما كتبنا المقالات المسهبة والاستلفتات المطولة وبينا ..
.. سوء الحالة الراهنة وهتك الادارة البلدية لحرمات النظامات والعوائد بإباحتها ..
.. للمومسات السكنى حيث يشأن واحداثها أسواقا للسوق بأحسن مراكزها ..
.. وأهم شوارع مدينة توفرت فيها محاسن المدنية وحافظ أهلها على قوانين الحياء ..
.. والآداب العامة فلم تكثرت بشىء من ذلك ولم يزدها الا عنادا وكأن لسان حالها ..
.. يقول : اني افعل ما أشاء وأخالف القوانين والعاجز من لا يستبد .. نقلا عن بعض المجلات .

الآداب عندنا الآن إلا أن يتأمل فى حوانيت المبيعات وغيرها وفى الطرق وفى احتفالات الموالد وسواها لينظر ماذا يفعل الرجال خصوصاً المتعلمون المهذبون حسب دعواهم — ولكن على غير الدين — مع النساء والنساء مع الرجال وليحكم بعد ذلك ان كان الرجال يعطون الطريق حقه وهو غض البصر وكف الاذى والامر بالمعروف والنهى عن المنكر كما اوصاهم بذلك النبى عليه الصلاة والسلام . وان كان النساء يستأخرن ولا يحققن الطريق ويمشين بحافاتها كما امرهن الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ كلا ثم كلا . علم الله ما كنا نسمع قبل تخفيف الحجاب فى مصر عن فعل الفواحش الا نادراً وفى محلات مخصوصة والآن نراه قد تفشى كالوباء فى كل شارع وفى كل حارة فى بيوت يسمونها بيوتاً سرية تأتى اليها النساء بفضل الحرية ورقة الحجاب !! . ولا يقال ان ذلك من عدم التربية والتعليم لانه قد دلت المشاهدات على ان الرجال المتعلمين قبل الجاهلين لا يقدرون على كبح جماح شهواتهم فيوسوسون لهنّ ويستميلونهن وهن لا يقوين على حفظ انفسهن فيملن طوع الهوى زعم التعليم والتربية كما سبق بيانه .

وهذا أمر لاشك فى ان حضرة محرر المرأة يصادقنا عليه فانه لا يجهل ما يجرى بكثير من نساء الغربيين من الأمور التى لا ترضاها عاطفة الحياء بسبب التكشف لاعين الرجال والاختلاط بهم وكتابه فى الرد على الدوك داركور اعظم شاهد عليه . وإننا اذا نظرنا الى حال بعض العائلات التى خففت الحجاب وتعلمت العلوم واللغات وعرفت الموسيقى والبيانو وتربت التربية الغربية التى يفخر بها بعضنا واختلطت لوجدنا العجب العجاب: نرى ابتذالا ما بعده

ابتذال ونرى الغيرة لا مسمى لها ونرى العفة عندهم اصبحت كما قال المقطم الأغر « امرا حقيرا لا يرعون له حرمة ولا يجلون لصاحبه قدرا » نرى الرجل لا يبالى بمن يدخل بيته ولا بمن يخرج وهم لا يعدون ذلك الا واجبا من واجبات الصحبة ناسين قوله صلى الله عليه وسلم : ثلاثة لا يدخلون الجنة ابدا : الديوث والمترجلة من النساء ومدمن الخمر . قيل له ما الديوث فقال : الذى لا يبالى من دخل على اهله .

وقصارى القول فان جهلنا قد اوصلنا لما نحن فيه وفسادنا جر فساد نسائنا وابنائنا وفجورنا أدى الى فجورهم وترتب عليه رقة الحجاب وتبرج النساء والخروج والدخول بدون موجب الا زيادة الفساد وما دمنا على هذه الحال لا بد وان نصير الى رفع الحجاب بالمرة لان الزمن فى تقدم وترقى فى صنوف الابتذال باسم الحرية والمدنية والترقى العمرانى. والتدرج سنة طبيعية للانسان . ولا بد ان ينعدم ما بقى فى دمنا من الغيرة على العرض والشرف ان لم نعمل على درء هذه المفاسد بقدر استطاعتنا ونرجع الى احكام ديننا القويم ونتبع سنة نبيه الهادى الى الصراط المستقيم .

هذه هى حالتنا الحاضرة وهذا هو المستقبل الذى يتهددنا : النساء الآن فى اطلاق ليس بعده اطلاق قد اضربهن وبازواجهن وبلادهن . اطلاق يئن منه العموم . حرية واسعة تركت بعضهن يستسوان كل بذاء وفجور. كل ذلك حصل بسبب جهلنا وعدم اهتمامنا بامورنا واستسلامنا لعوائد غيرنا . ولعمر الحق ما الملوم غيرنا فان الاجانب عند اختلاطهم بنا لم يشترطوا علينا التخلى عن بعض اصول ديننا والتنازل عن عوائدنا وانما

كان ذلك بتهاون الرجال فى خروج النساء والتوسع لهن فى المجامع واماكن الملاهى وابتذال الرجال فى السكر والسهر فى البيرات والخمارات وبيوت العاهرات وتركهم نساءهم يتقلبن على جمر الانتظار حتى وقع الملال وجر الى الخبل والخلل ثم الى تكاثر العلل والتعود على الزلل واصبحت الطرقات ممتئلة بالمومسات فى صور الحرائر وفتحت القهاوى لرقص الشرقيات بين اهلهن والاجانب واسود وجه المجد بما يسفه احلام الشرقيين ويلحقهم بالقرود فى التقليد الاعمى !

وبدلا من ان يقوم من بيننا من يدعو الى الحث على مداواة هذا الداء بالتربية الاسلامية الحقة وتقييد تلك الحرية نرى الامر قد انعكس وقام بعضنا — ولسنا نعنى بالبعض شخصاً معيناً او اشخاصاً معلومين. كلا . بل كلامنا عمومي — يدعو الى التوسع فيها باسم الشفقة والمرحمة ويطلب تحرير المرأة من الظلم الذى هى فيه برفع الحجاب وبالاختلاط . على ان الرجل — وهو اصل كل هذا البلاء — هو اولى بالتحرير من الجهالة ومن الفساد الذى اصبح فيه . واذا دعى ذلك البعض الى تربية اختار تلك التربية الغربية التى اوردنا حكم بعض الاوربيين انفسهم عليها فلا لزوم للأعادة .

ولا لوم على الفرنج اذا حاولوا الوصول الى غاية لهم انما اللوم كله على بعض المصريين المفتونين فى تقليد الغربى : فانهم يوسعون تقاليدهم القديمة كلها ذما وتقبيحا بلا حق ولا رغبة فى تحسين حال فى اغلب الاحيان ولكن تزلفاً للاجنبى القوى. فهؤلاء دأبهم أن يثيروا خواطر الاجانب على اخوانهم فى الوطنية . والمتمدنون منهم على اصطلاحهم يكرهون من هو من جنسهم

ان لم يتبع خطتهم. مع انهم لو تدبروا لوجدوا أن ما يعزى الى الافرنج من العوائد المستحسنة والفضائل ليس كله من مبتكراتهم بل قد أخذوا عن الشرقيين والمسلمين كل فضيلة اتصفوا بها — كما هو شأن من يريد الاصلاح الحقيقى — وتركوا لهم رذائلهم كالحمزة مثلا كانت كما قال بعضهم نصرانية فاسلمت.

فيا للعجب انظر الى الطرقات والشوارع والمنتزهات ومحلات الموبقات ترها ملأى بالنساء والبيوت اصبحت خالية خاوية واشغال المنزل مهملة وتربية الاولاد انعدمت وفقدت ومع ذلك ندعى ان النساء محبوسات مسجونات مهينات فيجب تحريرهن !!

واذا اعترض معترض على ذلك الكلام فما جزاؤه الا السخرية والاستهزاء ممن تكفلوا بهذه الدعوة يرمونه طورا بالجهالة وعدم الفهم وتارة بحب البقاء على قديم العوائد وعدم تتبعه لترقيات العصر والمدنية الغربية ويقولون دعوه فانه « انتيكة » ولا يفيد معه كلام ولا يفهم فوائد الاختلاط لما يستلزمه من تشارك الجنسين فى الرأى وتحاورهما فيما يعود على الهيئة الاجتماعية بالفلاح والنجاح وشغلهما معظم احاديثهما فيما يرفع شأن الوطن والدين !!

هذا قول يجرح كل ذى احساس شريف ويسؤنا ان نراه يصدر من بعض متنورى هذه الامة الذين ربتهم البلاد لينفعوها لا ليسنوا لها ولاهلها سنة سيئة يتبعهم وزرها الى يوم الدين . ولو سألناهم اين تلك الامم التى ماتت فيها الشهوات البهيمية فصار النساء فيها لا يثرن فى الرجال غير عواطف الاخلاص واحساسات الشرف ومحبة النوع غضبوا وقالوا

ان ذلك موجود ولكنكم لا تفهمون !!

اما نحن فلا نتكلف الرد عليهم بل نثبت عدم وجود هذا الامر حتى فى ارقى البلاد مدنيـة وادبا بلسان امرأة ليكون الـكلام اكثر افحاما : كتبت ,, مدام دوصون بروتون " احـدى رئيسات جمعية من جمعيات النسـاء فصلا فى مجلة المجلات (مجلد ١٧) قالت فيه مامعناه : « بينما ترى الرجال من اهل العلم والصناعة جالسين على مائدتهم بعد الطعام يتكلمون فى الشؤون العمومية ممـا له ارتباط بترقية الصناعات وتنمية المعلومات تراهم عند دخول امرأة عليهم يدعون الاحاديث النـافعـه وذكر نتائج السيـاحات العلمية والمكتشفات الطبيعية ويأخذون فى غير ذلك . تجد اولئك الرجال الذين كانوا قبل ساعة فى غاية الثبات والرزانة قد صاروا خفاف العقول لا يتمالكون انفسهم من التبسم واخـذوا يحثون فى افكارهم على تلك العبارات التافهة والتحيات ذات المعانى المتنوعة التى كانت تستعمل بعينها فى زمن لويز الخامس عشر » هذه هى مقابلات النساء بالرجال فى العالم المتمدن بشهادة نفس المرأة فلنتق الله فى انفسنا ولنعتبر باحوال غيرنا .

وانا ليضحكنا مايقولونه من اننا نريد الاختلاط ولكن مـع حظر الخلوة اذ مافهمنا كيف يمكن التوفيق بين القول والفعل فى ذلك . هـذه نظرية دون العمل بها خرط القتاد اذ كيف تقيد حرية بعد اطلاق ؟ وكيف تمنع خلوة بعد تصريح باختلاط ؟ ولو كان ذلك ممكنا لوجد بعض الفرنج من الضيق الذى اصبحوا فيه مخرجا وفرجا .

انا شدكم الله أيها المطالبون بتحرير المرأة هلا شاهدتم حال النساء التى

قدمنا ذكرهن ؛ هل لا زلتم مصرين على رأيكم من ان بقاء المرأة فى محل شغلها وهو بيتها الذى تنتهى وظيفتها عند عتبته سجن وحبس لها ؛ هل لو اشتغلت المرأة باشغال بيتها ألا يتولدفيها النشاط والحركة فيجري دمها ويتقوى جسمها ؛ هلا تعتقدون ان ستر المرأة جميع بدنها اذا برزت من خدرها احكم للارجال من مخالفة غض النظر واصون للنساء مما يترتب على هذه المخالفة من المفاسد ؛ أما ترون عدم الفائدة من خروجها وبيتها اولى بها ومحتاج لها وزوجها متكفل بمصروفها ونفقتها وبالسعى على عياله ؛ واى ضرر على الهيئة الاجتماعية اذا خرجت غير متبرجة بدون ابتذال مستورة الوجه ولضرورة ؛ هلا كان الأليق طلب تشديد الحجاب والحث على زيادة الاعتكاف فى البيوت والرجوع الى الحجاب الشرعى ما دمنا جميعا مسلمين بان الحجاب الحالى بدعة مضرة مفسدة وما دمنا كلنا متفقين على ان حالتنا الأدبية وصلت لدرجة لا تطاق ؛ أما تقرون معنا بان الرجل هو سبب كل هذه البلايا والمصائب ؛ اما هو المسئول عن كل هذه المفاسد ؛ هل العلم والتربية كافيان لمقاومة الميل النفسانى اذا تحكم الدافع الشهوانى متى تهيأت اسبابه ؛ اظن لا . ومن يكابر فما عليه الا ان يسأل ليسمع واذا لم يصدق فليجرب . ولكن هل اذا تربت البنت تلك التربية الاسلامية الصحيحة التى اشرنا اليها وتهذبت اخلاقها ولزمت الحجاب الذى به تمام تربيتها هلا تنظم بيتها تنظيم غربية ؛ هلا تأنف من مخالطة من هى أحط منها فى الدرجة وأبعد فى التصون والعفة وهلا تكون اهلا لان تعرف حقوقها وواجباتها ؛ إنا نرى اغلب انواع التبذير والاسراف والتفريط

فى العرض وعدم الغيرة تصدر من الطبقة المقال بانها تعلمت وتهذبت رجالا ونساء. فما لهذه التربية وهذا التعليم لم يدرأ أهذه المفاسد ؟ أليسا لكونهما جاريين على النمط الغربى الذى يئن منه نفس الغربيين كما دلت عليه اقوال اعاظم علمائهم ولان الحجاب قد خفف عند هذه الطبقة حتى كاد ان ينعدم بالمرة ويرتفع تماما ولانهن لم يعدن يسمعن «هذا حرام وهذا حلال» ؟ بل وماذا أفاد الابتذال والاختلاط بالبلاد الاخرى سوى عدول الكثيرين عن الزواج وتناقص عدد المواليد فيها وعدم الاهتمام بالشؤن المنزلية وكثرة المتشردين وزيادة الصرف على التزين والتحلى لما تستلزمه من النفقات دواعى الاختلاط والحضور فى الاحتفالات والجمعيات حيث كل امرأة تريد أن تتأنق لتحوز الأسبقية فى أعين الحاضرين ! ويا لها من جناية عظمى على البلاد والعباد !

كيف بعد ذلك يقال ان الحجاب غير لازم وانه لم يجعل لا للتعبد ولا للأدب مع ان حضرة محرر المرأة نفسه قال فى مبدإ كلامه على الحجاب ما يأتى بالحرف الواحد : « ربما يتوهم ناظر انى ارى الآن رفع الحجاب بالمرة . لكن الحقيقة غير ذلك . فانى لا أزال ادافع عن الحجاب واعتبره اصلا من اصول الادب التى يلزم التمسك بها . غير انى اطلب ان يكون منطبقا على ما جاء فى الشريعة الاسلامية . »

واذا كان حضرته يعتبر الحجاب اصلا من أصول الأدب فكيف لا يكون الشرع أمر به . هل ترك الدين شيئا من أصول الأدب لم يأمر به ويحث عليه ؟ واذا كان الشرع لم ينص عليه اليست حالتنا الحاضرة تستدعى

التمسك به بل وايجاده ان لم يكن موجوداً اللهم الا اذا كان ما نراه لا يعد عند ذلك البعض فسادا ولا فجورا : وان صح أن بعض الأئمة قال بجواز التكشف مطلقا كما يقولون — على ان الامر بالعكس — فلماذا ناخذ بقوله ونترك رأى الاغلبية الموافقة لمصلحة الامة ولاصول الادب وها نحن نرى بعض علمائنا يطلبون عدم التقيد بمذهب دون مذهب فى باقى المسائل الشرعية ؟

ولسنا هنا نطلب الا تنفيذ ماجاء فى هذه العبارة: « **الحجاب اصل منه اصول الادب فيلزم التمسك به . الا انه المطلوب انه يكون منطبقاً على ما جاء فى الشرع .** » والشرع قضى كما قد علمنا بان الحجاب بمعنييه واجب ويأمر به الدين وحسبه فخراً ان جعله الله تعالى من احسن ماتوصف به امرأة فقال : « حور مقصورات فى الخيام » ووردت به السنة وحث عليه النبى صلى الله عليه وسلم فلا يسوغ لمتولى الاحكام ولا لاحد غيره من باب اولى ان يحكم فى التحليل والتحريم بما يلائم مزاجه مما يخالف الاوضاع الشرعية ولا عبرة بالاستكراه النفسانى والاستحسان الطبيعى والاخذ بالرأى من غير دليل شرعى. قال ابو حنيفة النعمان رضى الله عنه « اياكم والاخذ فى دين الله بالرأى وعليكم باتباع السنة فمن خرج عنها ضل وغوى »

نتيجة ما تقدم

ثبت مما قدمنا ان الحجاب الحالى غير شرعى. وان النساء لسن الآن محتجبات بل هن فى الحقيقة متبرجات مفسدات. وان النقاب الشرعى يشترط فيه ان لا تبدو منه الا العين الواحدة او العينان كما قرره المفسرون وكما كان

الصحابة سائرين عليه . وأن الاصل فى المرأة احتجابها وعدم ابتذالها فاللازم الرجوع الى الشرع اذا امكن او عند عدم امكان الوصول الى ذلك يلزم على الاقل عدم المغالطة والتمحك فى الشرع والدين لاعلاء فكر يخالفهما او اظهار رأى يناقض ما امر الله والله الهادى لسواء السبيل .

وانه ليسرنا ان نرى معظم الراى العام مستهجنا مطالب نصراء الابتذال فقد قرأنا فى جريدة مصر الغراء انه قد ورد الى حضرة محرر المرأة خمسة وسبعون كتابا يهنئه فيها اصحابها على طرق هذا الباب وعلى ذهابه هذا المذهب ولكن ليس من بين هؤلاء المهنئين سوى ثلاثة مسلمين !! والباقى ممن يفضلون طبعاً مساواتنا لهم فى هذا الامر مادام الابتذال مقدوراً عليه واحتجاب المبتذلات ضربا من المحال .

وهذا الذى نراه من اخواننا المسلمين يقوى فينا الامل فى تحسين الحال اذا وطدنا النفس على العمل والسعى فى اصلاح نفوسنا وتقويم ماعوج منا

فعلى من يهمهم حفظ الاعراض وصون الشرف مما يخدشه أن يقدموا للحكومة الجليلة بطلب السعي فى منع هذا الابتذال وفى اعمال حاجز بين المومسات والاحرار وتنقية الشوارع والدروب من تلك البيوت التى جلبت الضرر على كثير من الناس وبزيادة الاهتمام بامر الآداب العامة. ولئن قيل إن الحرية تقضى بعدم تعرض أحد لاحد فى أموره الخاصة قلنا: ان الحرية عبارة عن المطالبة بالحقوق والوقوف عند الحدود وهذا الذى نسمع به ونراه رجوع الى البهيمية وخروج عن حد الانسانية ولئن كان ذلك سائغاً فى بعض بلاد اوروبا فان لكل امة عادات وروابط دينية أو بيتية وهذه الاباحة

لا تناسب اخلاق المسلمين ولا قواعدهم الدينيه ولا عاداتهم والقانون الحق هو الحافظ لحقوق الامة من غير ان يجنى أو يغرى بالجناية عليها بما يبيحه من الاحوال المحظورة . واننا نسمع أنهم لا يريدون منا الا ان نطرق باب المدنية وهذا الذى نراه هو الهمجية بل الحيوانيه الصرفة . لانه إما ان نقول عن زوجة الرجل شرعية لا يجوز تعدى الغير عليها أو قانونية عند من يعتبر الزواج قانوناً نظامياً وعلى كلا الامرين يلزم اخذ الطرق اللازمة لحفظها وعدم ابتذالها واتهامها حضر الزوج او غاب. وهو بمفرده لا يمكنه ذلك فانه فرد فى مجتمع امة عظيمة فيبقى الامر منوطاً بالقائمين برعاية الامم وصيانة اعراضهم . ثم اننا نقول ان واضعى القوانين غير معصومين من الخطأ فانما هى افكار فرد أو أفراد دونت بحسب استحسانهم فهى قابلة للنقض والابرام اذا رفعت الشكوى منها للقابضين على ازمة الامم ونبهوا الى اوجه النقص فيها وها نحن نرى كل يوم ولاة الأمور يدخلون التعديلات فى اللوايح والقوانين حسب ما يرونه ازيد ملأمة واوفق لمصلحة البلاد . فنرجو أن يحال بيننا وبين تلك الأمور التى نراها بين ظهرانينا منعا للعيث فى الاعراض النقية وحرصاً على العوائد الاسلامية وسداً لهذا الباب الذى ما فتح بين قوم الا تركهم فوضى لا يحفظ لهم نسب ولا يعرف لهم حسب. فليعقد اهل الشرف عزائمهم على انهم لا يغمض لهم جفن حتى تطهر المدن من هذه النجاسات التى لوثت كثيراً من طاهرات الذيل عفيفات الطباع والا فما ناب اليوم هذا سينوب ذاك غداً والآن يتكلم فلان فى بيت اخيه وسيتكلم الغير فى بيته فالبدار البدار يا ذوى الغيرة وجدوا فى هذا الطلب

العدل الحق قبل تفاقم الخطب وفرقوا بين بيوتكم الطاهرة وبين تلك البيوت الخبيثة بحدى ,,هذا حرام وهذا حلال" وامنعوا هذا الابتذال وقيدوا هذه الحرية واطلبوا الرجوع الى آداب دينكم القويم

واعظم قانون يضعه الازواج لحفظ اعراضهم اذا عز اقفال تلك البيوت ومنع هذا الحال أن يشددوا فى منع خروج النساء من البيوت ويقفلوا ابوابهم فى وجه كل داخلة من غير اقاربهم واصهارهم ومن يثقون بصيانتهن. والا ان بقى الحال على ماهى عليه انجر امر التهمة شيئاً فشيئاً حتى لا يبقى بيت الا وللفسقة كلام فى شأنه وافتراء على اهله . نجانا الله مما نخاف. ويجمل بنا أن نختم هذا الباب بما قاله حضرة فريد افندى وجدى فى مقالته « نظرة فى تحرير المرأة » بعنوان :

﴿ ما هو الاصلح فى حالة النساء التحجب ام الابتذال ؟ ﴾

قال: اذا لم تثبت فرضية التحجب فبالأولى لم تثبت فرضية الابتذال وعلى هذا يجب علينا ان نعمل بهذه القاعدة الاساسية العامة وهى: كل ما زاد نفعه عن ضرره وجب أخذه وكل ما زاد ضرره عن نفعه وجب تركه وكل ما تساوى فيه الطرفان كان لنا الخيرة فيه . اذا تقرر هذا نقول: ما هى فوائد التبذل وما هى مضاره حتى نحكم بالأخذ به أو تركه على حسب هذه القاعدة المتقدمة ؟ نقول: لا نرى فى التبذل الا فائدة واحدة . وهى سهولة تعامل النساء مع الرجال وهذا التعامل لا تظهر فائدته الا باشتغال الأوليات بأشغال الآخرين . وقد سبق لنا أن برهنا على ان هذا ضد طبيعة المرأة

ويجب ان يعد من الأمراض الاجتماعية اللازم استئصالها بالطرق الحكمية كما اثبتنا ذلك علمياً . ولو اعترض علينا بأنه قد يستحيل محو تعامل النساء مع الرجال مهما بذلنا من الوسائل . نقول : لو سلمنا بهذا الأمر فلن يبلغ عدد المتعاملات للضرورة جزأ من عشرة من مجموع نساء الجمعية المتمدنة وعلى هذا فلا يجوز لنا ان نراعى الاقلية فى اباحة شئ فوائده موهومة ومضاره محققة منظورة . اما مضاره هذه فكثيرة جداً ولو لم يكن منها الا سوق نسائنا الى الدخول فى جميع الأدوار التى دخلتها المرأة الغربية من جراء اختلاطها بالرجل لكفى بها وازعاً قوياً لرجل المشرق عن ورود هذا المورد الخطر .

ومن الأسف انا معشر الشرقيين الجاهلين والمتجاهلين عظمة مدنيتنا الاسلامية القديمة التى هى نموذج الكمال البشرى قداعتدنا ان نضرب بالأوروبای المثل فى كل شئ . فان دعونا الى الاتحاد قلنا احتذوا مثال الاوروبى فيه . وان نادينا بلزوم التعاضد أشرنا الى اقتفاء أثر الأوربى فيه . وان سعينا فى تحسين حالة النساء استلفتنا الانظار الى المرأة الأوربية وضربنا بها الامثال . وهذا الامر منا نعده من الغلطات الكبرى فان مدنية اوروبا مهما بلغ شأنها فى الصناعة ناقصة من اوجه كثيرة نقصاناً يؤذن باستحالة ثباتها على تلك الحالة . ولسنا نقول ذلك من باب الحسد ولكن هى الحقيقة الناطقة لمن الم باصولها وعرف اتجاه مجراها . وقد كتب الكاتب الروسى الشهير (تولو ستووى) مقالات ضافية الذيول مثبتاً فيها أن كل انواع الوحشية الأوربية القديمة موجودة للآن فى ارجاء

البلاد المتمدنة تحت حماية العلم ولكنها تطورت فى اطوار أخر وتشكلت بأشكال تغر البسطاء ولا تخفى على الالباء . وقد قرأنا مرة مقالة لكاتب فى احدى جرائدهم يقول فيها ما معناه : « انا معشر الاوربيين قد رتعنا فى حياض المدنية ولكننا بغاية الاسف لم نكتف باقتطاف زهورها النضرة وثمارها الجنيـة ولكنا خلطنا ذلك بما فيها من حسك وحنظل وغرتنا الالمانىّ حتى بتنا وقد أصبحت مدنيتنا مشوبة بما كان يجب ان تتبرأ منه ولهذا هى قد آلت الى الانهيار على نفسها والسقوط بنا الى أسوأ مما كنا فيه . » ولا نشك ان من ضمن مساوى تلك المدنية هى حالة النساء فيها وقد أثبتنا ذلك من اقوال فطاحل كتابهم وعقلاء نسائهم مما لا سبيل للمكابرة فيه . ولو كان المجال أوسع من هذا لأتينا على الاحصائيات التى تشير الى المفاسد العامة والخاصة التى سببتها المرأة الغربية بغلوائها فى الحرية .

يقول قائل : « نحن لم نشر بالابتذال المطلق ولكنا أشرنا بوجوب كشف الوجه واليدين فقط . » نقول : « قد ثبت أن التدرج سنة عامة فى كل شىء فان كشفت المرأة وجهها اليوم فمن المؤكد انها تتدرج منه الى خلع العذار للنهاية غداً كما فعلت المرأة الاوربية وربما سبقتها فى التبرج بعد حين قصير . » يقولون : « وما العمل اذا كانت المدنية الحالية تقتضى ذلك فهل يجوز لنا ان نحافظ على تقاليدنا القديمة المضرة رغماً عن مطالب الحياة العصرية : » نقول : « ليس للمدنية مجرى واحد لاتعداه : فمن يكلف بدرس أشكال المدنيات القديمة يجد من التخالف فى اصولهـا ما يجعله يجزم بأن طرقها كثيرة جداً واحسنها ما كان سهل السلوك غير وعر الخطط

مأمون العاقبة حاصلا على سائر مميزات الانسانية . ونحن لو قارنا بين المدنية الاسلامية الاولى (التى كان من اصولها احتجاب النساء) وبين المدنية الاوربية الحالية لوجدنا ان الاولى تفضل الثانية من حيثيات كثيرة : اولها انها كانت حائزة كل الكمالات الاخلاقية الصحيحة وفى التاريخ مقنع ممن كان له قلب. ثانيها أنها كانت اكثر تأثيراً على العقول فانها صبغت بصبغتها فى مدة قصيرة أمماً ظلت آلافاً من الاعوام حافظة لما هى فيه بدون ادنى تدرج ولا اقل ترق . ثالثها انها كانت اسرع سيراً من مدنية اوربا فانها أبلغت ذويها فى مدة عشرات من السنين أوجاً من العظمة لم تزل اوروبا مقصرة عن نوالها فيه من غالب الحيثيات ولا محل لتفصيل ذلك هنا لما يستلزمه من مقالات ضافية الذيول .

بناءً على كل هذا يلزمنا أن نعير مدنيتنا القديمة نظرة لنرى ما هى تلك الاسس التى قامت عليها وما هى تلك القواعد التى ثبتت اركانها حتى يتحقق اكثرنا طموحاً الى المعالى ان السلم اليها قد تركناه وراء ظهورنا وهمنا فى تيه البحث عن غيره على غير جدوى . فهل من نفوس كريمة يهزها ذكرى مجدها القديم فتلتفت الى اصوله لفتة علمية ترى انه هو المجد الصحيح الذى يجب ان تشد له رواحل العزائم والذى سيتضح للعالم اجمع يوماً ما أنه هو نفس الكمال الذى ينشده الانسان ويتلمسه الوجدان . نعم (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد)» اهـ .

هذا وبعد أن تهيأ الكتاب للطبع وطبع معظمه قرأت فى المؤيد

الاغر [١] مقالة رائقة المعنى شائقة المبنى لحضرة صاحب الحجج الدامغة والفصاحة البالغة فريد افندى وجدى الملت بجميع اطراف هذا الموضوع بعبارة سلسة معقولة فاتما ما للفائدة وحفظاً لهذه الدرر والغرر قد رأيت ان أختم نها كتابى ليكون ختامه مسكا ان شاء الله تعالى قال :

﴿ رأى الطبيعة فى مسألة المرأة ﴾

« نشرنا بالمؤيد ثلاث مقالات فى تهذيب المرأة ووعدنا فى الاخيرة »
« منها ببذل الوسع فى تمحيص حقائق هذه المسألة المهمة قياماً ببعض »
« الواجب علينا اذ أنها من اكثر المسائل ارتباطاً بحياتنا الاجتماعية »
« ولا تكفى فيها جولة قلم أو لفتة نظر . وتاريخ المرأة فى البلاد المتمدنة »
« من الادلة الواضحة على صدق ما نقول فان من يعانى درس الاحوال »
« الاجتماعية للامم الغربية ولا سيما من حيث علاقتها بالمرأة لا يسعه إلا »
« التسليم بأن هذه المسئلة ان لم تكن اكثر الاشياء ارتباطاً بحياة الامم فهى »
« من اكثرها ارتباطاً بها . »

« ان مسألة هذا شأنها من الاهمية تعوز كثيراً من الدرس والتأنى »
وتستلزم اهتماماً كلياً من سائر أصحاب الافكار فى الامة حتى يكون لنا »
« من تزاحم الظنون عليها مجاز ممهد الى سرها الحقيق . وقد أوردنا فى »
« مقالاتنا السابقة اقوال علماء العمران من القارتين فى هذا الموضوع مما »

---

[١] انظر اعداد المؤيد نمرة ٢٩٠٦ و ٢٩١٣ و ٢٩١٤ بتواريخ ٢ و ١١ و ١٢ نوفمبر سنة ١٨٩٩ م .

« يكفى لأن يعرفنا ان الضالة التى ننشدها لا يتوصل اليها من الطريق »
« التى اتبعتها المرأة الاوروبية ولا الاميريكية وان هناك طريقاً آخر أسلم »
« خطة وآمن عاقبة . ولكن ماهو هذا الطريق وكيف يمكن الوصول اليه ؟ »
« أنعتمد على العرف والعادة فى بحثنا عنه مع علمنا بأن عرف اليوم قد »
« ينقلب نكر الغد والعادة المستحسنة فى هذه السنة قد تكون فى تاليتها »
« الرذيلة المستهجنة ؟ ام نقلد فيه سوانا على غير هدى وقد أذاقتنا الحوادث »
« علاقم تقليداتنا الاولى ؟ نعم لو كان أمامنا أمة تدعى أنها بلغت قمة الكمال »
« فى هذه المسألة أو هى على وشك بلوغه لوجب علينا الاقتداء بها عملا »
« بقول سيد الوجود صلى الله عليه وسلم « الحكمة ضالة المؤمن يلتقطها »
« حيث وجدها » ولكن الأمر بالعكس فلا نرى أينما وجهنا النظر »
« فى الامم الا تشكيا من الحال وخوفا من المآل . اذن لم يبق أمامنا »
« الا طريق واحد يؤدى بنا الى ضالتنا المنشودة من أسلم السبل وأقومها »
« وليس ذلك الا باستفتاء نفس الطبيعة فى هذه المسألة (قل انظروا »
« ماذا فى السموات والارض) فانها لا تضن علينا بالجواب الشافى مادمنا »
« نجاهد فى هذا السبيل باخلاص وصدق عزيمة (والذين جاهدوا فينا »
« لنهدينهم سبلنا) ويكون حكمها فى هذا الشأن غير قابل للنقض ولا التحوير »
« كما هو شأن العرف والعادة لان الناس فيهما لا (يتبعون الا الظن »
« وما تهوى الانفس) بخلاف نواميس الكون وقوانينه فانها ثابتة لا تتغير »
« ولا تتبدل (ولن تجد لسنة الله تبديلا) وعليه فنحن سنسلك فى بحثنا »
« هذا عين الخطة التى يشير بها القرآن الشريف من درس نواميس »

« الكون والاعتبار بحوادثها . لاجرم ان هذه هى الخطة المثلى ومن »
« الغريب انها مطابقة لما اصطلح عليه البشر بالقرون الاخيرة فى الوصول »
« الى الحقائق الصحيحة وقد سموا هذا النوع من البحث باسم (پوزيتيڤزم) »
« أى المذهب التجريبي . وقد رأينا أن نقدم بحثنا بايراد مقدمات »
« محسوسة لامجال للجدال فيها حتى نصل الى النتيجة التى نتلمسها بكل »
« اطمئنان فيرى كل قارئ وقتئذ بطريقة محسوسة أن ما قررته الشريعة »
« الاسلامية هو عين ما تصرح به النواميس الطبيعية وتقتضيه الحالة »
« البشرية وسنفتتح كل مقدمة بالآية التى تناسبها فنقول :

﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض ﴾

« نحن لما كنا نعلم ان سعى المرأة فى الغرب وراء نوال استقلالها »
« المطلق من سلطة الرجل هو سبب كل ذلك الافراط الذى درسنا »
« بعض آثاره المحزنة فى مقالاتنا السابقة وان هذه النزعة ربما انتقلت الى »
« الشرق بطريق العدوى تحت تأثير التعاليم المضرة رأينا أن نقيم الحجة »
« فى مقدمتنا الاولى على أن ذلك الاستقلال المزعوم ضرب من ضروب »
« المستحيلات الطبيعية وان الساعى فى تحقيقه كالساعى فى تغيير أوضاع »
« نواميس الكون وهو مسعى يساوره الاخفاق من كل جانب . فنقول: »

« اثبت علم التشريح أن الرجل أرقى من المرأة جسما من سائر »
« الحيثيات وبدرجة محسوسة جداً حتى ذهب بعضهم الى ان المرأة الحالية »
« ليست انثى الرجل الحالى بل هى انثى كائن آخر يشبهها فى تركيبها »
« وضعفها وان ذلك الكائن قد انقرض بمزاحمة الانسان له فى الحياة »

« فتغلب على أنثاه التى من نسلها المرأة الحالية . هذا القرض وان كان »
« تطرفا من بعض العلماء الا أنه يدلنا على عظم الفرق بين هذين »
« الكائنين كما نبينه تفصيلا فنقول : أثبت العلم بالتجربة أن متوسط »
« طول الرجل يزيد عن متوسط طول المرأة باثنى عشر سنتيمترا . هذه »
« الزيادة تشاهد عند المتوحشين كما هى عند المتمدنين وعند الاطفال من »
« كلا النوعين أيضاً . واما من جهة ثقل الجسم فان متوسطه عند الرجال »
« ٤٧ كيلوا وأما عند المرأة فلا يزيد عن ٤٢ ونصف . واما من حيث »
« المجموع العضلى فانه عند المرأة أقل منه كما لا عند الرجل بكثير . قال »
« الدكتور (دوفارينى) فى دائرة المعارف الكبيرة عند ذكره هذا »
«المجموع:«انه اقل حجماً وأضعف منه عند الرجل بقدر الثلث وحركاته»
« اقل سرعة واقل ضبطا » اما القلب وهو مركز القوة الحيوية فانه »
« عند المرأة أصغر وأخف بمقدار ٦٠ جراماً فى المتوسط . اما الجهاز »
« التنفسى فانة لدى الرجل أقوى منه لدى المرأة فقد ثبت ان الرجل »
« يحرق فى الساعة ١١ جراماً تقريباً من الكربون واما المرأة فلا تحرق »
« منه الا ستة وكسراً ولذلك فحرارة المرأة اقل من حرارة الرجل . اما »
« الحواس الخمس فقد اثبت الاستاذان (نيكولس وبيليه) انها اضعف »
« عند المرأة منها عند الرجل . فهى لا تستطيع ان تدرك رائحة عطر »
« الليمون على بعد مخصوص الا اذا كان ضعف المقدار الذى يدركه الرجل »
« فيه . وشوهد بالامتحان ان المرأة لا تدرك رائحة حمض البروسيك »
« المخفف الا على نسبة ١/٢٠٠٠٠ اما الرجل فيدركها على نسبة ١/١٠٠٠٠٠ . »

« اما حاسة الذوق والسمع فان الرجل ادق من المرأة فيها بكثير ويكفيك »
« دليلاً على ذلك ان اهل الخبرة فى تمييز الطعوم ونقد الاصوات وتوفيق »
» نغمات البيانو كلهم من الرجال كما جاء فى دائرة المعارف الكبيرة . أما »
« حاسة اللمس فقد شوهد ان الرجل ادق من المرأة فيها . وقد برهن »
« الاستاذان (لومبروزو وسيرجى) وغيرهما بان المرأة تحتمل الالم اكثر »
« من الرجل مما يدل على قلة احساسها به قال لومبروزو: وهذا من حسن »
« حظ النوع الانسانى فان المرأة معرضة لكثير من الآلام كالحمل »
« والوضع وغيرهما ولو كانت حساسة كالرجل لما استطاعت تحمل ذلك كله .»
« يرى مما مر كله ان المرأة بضعفها اكثر تعرضاً لمصائب الحياة من »
« الرجل وأشد استهدافا لانواع الامراض منه . قال العلامة (تروسيه) »
« فى دائرة معارفه : « انه بالنسبة لضعف دم المرأة ونمو مجموعها العصبي »
« نرى مزاجها اكثر تهيجاً من مزاج الرجل وتركيبها اقل مقاومة من »
« تركيبة فان تأديتها لوظائفها من الحمل والامومة والارضاع يسبب »
« لديها احوالاً مرضية قليلة او كثيرة الخطر: فان الهستريا من امراضها »
« الخاصة وهى عرضة للخوروز والحمى النفاسية والسل والسرطان وجملة »
« عوارض محزنة هى من لوازم جنسها »
« هنا يمكن ان يقول قائل: ان ذلك الضعف التشريحى الذى اثبته »
« نتيجة ضعف الرجل على حريتها واجبارها على ملازمة ما يفسد صحتها .»
« نقول: هب ان ذلك صحيح فما سبب رخامة صوتها ؟ على ان من الثابت »
« علمياً ان سكان البلاد الحارة من المتوحشين يكلفون نسائهم باعمال »

« الحراثة والزراعة وغيرهما من أول الخلقة الى الآن ومع ذلك فان تلك »
« الفروق تشاهد بعينها بين رجالهم ونسائهم. قال الاستاذ (دوفارنى) »
« فى دائرة المعارف الكبيرة ان هذا الفرق يشاهد عند البتاجونيين (بعض »
« متوحشى امريكا) كما يشاهد عند البارزيين » وعليه فلا سبيل للجدل »
« فى هذه القضية »

« أما من جهة أفضلية الرجل على المرأة فى الادراك فمما لامشاحة »
« فيه حيث أثبتها البسيكولوجيا (علم النفس) بالتجربة : فقد شوهد »
« أنه يوجد فارق جسيم بين مخى الرجل والمرأة مادة وشكلا. وكل من »
« يعرف ان المخ هو مركز الادراك يعرف تبعاً لذلك ان من كان مخه »
« أرقى كان ادراكه أفضل . أثبت العلم ان مخ الرجل يزيد عن مخ المرأة »
« بمقدار ١٠٠ جرام فى المتوسط ولا يعترض علينا بان ذلك الفرق منشؤه »
« حجم الاختلاف بين حجمى الجسمين لانه شوهد أن نسبة مخ الرجل »
« الى جسمه هى كنسبة ١/٤٠ أما نسبة مخ المرأة الى جسمها فكنسبة ١/٤٤ . »
« وفرق بين النسبتين . وغير هذا فان مخ المرأة أقل ثنيات وتلافيفه »
« أقل نظاماً . وهذه المشاهدة يعدها العلماء من اكبر مميزات الجنسين . »
« وكذلك يوجد اختلاف بين المخين فى المادة السنجابية التى هى النقطة »
« المذكورة من المخ : فهى عند النساء أقل منها عند الرجال بدرجة »
« محسوسة جداً . ولكن فى مقابلة ذلك نجد مراكز الاحساس والتهيج »
« عند المرأة أحسن تركيباً منها عند الرجل . قال الاستاذ (دوفارنى): »
« وهذا مطابق لمميزات الجنسين من الحيثية النفسية فان الرجل أكثر »

« ذكاء وادراكا وأما المرأة فاكثر انفعالا وتهيجاً .»

« لا شك ان كل هذه الاختلافات المخية تدلنا بأوضح برهان على »
« ان مركز الادراك فى الرجل أرقى منه فى المرأة فيكون هو أفضل منها »
« عقلا . ولا يمكن أن يعترض علينا بان ذلك نتيجة حرمان المرأة من »
« التهذيب طول تلك القرون الخالية وان بمرور الزمن قد ينمو مخها حتى »
« يساوى مخ الرجل لان تلك الفروق تشاهد بعينها فى الشعوب العريقة »
« فى الوحشية التى لاحظ لكلا الجنسين فيها من التعلم فلو كان السبب الذى »
« رقى مخ الرجل عن المرأة هو التعلم فلماذا نشاهد تلك الفروق بنفسها »
« عندهما وهما على حالة السذاجة الطبيعية الأولى التى لا يفضل أحدهما »
« الآخر فى مزية عقلية ما. ولكن ليهدأ أنصار المدنية الغربية فقد اثبت »
« القوم انهم كلما ازدادوا تمدنا كلما ازداد الاختلاف بين الرجل والمرأة »
« فقد جاء فى دائرة المعارف الكبيرة ما نصه :« الاختلاف الطبيعى يزداد »
« وضوحا بازدياد التمدن بحيث قد أصبح الفرق بين الابيض والبيضاء »
« اكبر بكثير من الفرق بين الاسود والسوداء الخ .»

«اذا تقرر هذا كله وثبت لنا بالبراهين المحسوسة ان الرجل افضل »
«من المرأة جسما وعقلا نقول: ان طلب مساواة الجنسين فى سائر الحقوق »
« هو عبث محض والساعى فى تأسيسها كالساعى فى جعل الارض تجذب »
« الجسمين المختلفين فى الوزن بدرجة واحدة وهما مما لا يتصور حصوله »
« ولو حصل لاختل الكون ولاصبح أثراً بعد عين. فليسامحنى حضرات »
« السيدات فى خشونة مقدمتى هذه فان الابحاث العلمية لامحاباة فيها »

« ولتسمحن لى باختتام ما قدمته بانهن سيبقين دائماً تحت سلطة الرجال »
« وسيطرتهم ولا عار عليهن من تحمل تلك السلطة الطبيعية بل يعار عليهن »
« بما أتوا من الذكاء أن يسعين فى نبذها. فذلك جهد يذهب ادراج الرياح »
« ونحن بعد ان ازلنا هذه العقبة الكؤود من طريق بحثنا ندخل فى »
« الموضوع على النسق التى توخيناه هنا من استجواب الطبيعة واستفتائها »
« جريا على امر القرآن الكريم والله المستعان . »

﴿ انا كل شيء خلقناه بقدر ﴾

« لكل كائن فى هذا الوجود (كمال) مسير اليه بقوة الارادة »
« الالهية ليتم الابداع الذى قدره الصانع جل وعلا لمجموع هذا الكون »
« البديع . فلكل شخص من أشخاص المواليد الثلاثة من جماد ونبات »
« وحيوان (كمال) خاص به قد تكفلت العناية الالهية بسوقه اليه رغم »
« انفه اما بواسطة النواميس الطبيعية كما فى الجماد والنبات واما بواسطة »
« الالهام الفطرى كما فى الحيوان . اما الانسان وهو ذلك الكائن السامى »
« فقد اقتضت حكمة البارئ عز وجل لغرض قد لا يدركه الا الراسخون »
« فى العلم ان لا يخلقه مطبوعا على عمل خاص وانما يهبه مقابل ذلك قوة »
« ادراكية تصلح لان يتناول سائر ما يتصور من المعلومات الغير متناهية »
« من طرق غير متناهية وبوسائل لا يحصرها حد . »

« ومن يدقق النظر فى اجزاء هذا الكون البديع يرى ان الخالق »
« تقدست اسماؤه قد وهب كلا منها خصائص يباين بها سواه لتسوقه »
« بقواها الكامنة الى اداء عمل خاص يخالف سائر أعمال الاجزاء الاخرى »

« ليتكون من مجموع تلك المتباينات الكونية هذا الوجود الذى تحار »
« العقول والابصار فى جماله وكماله . على اننا لا نستطيع ان ندرك كمال »
« جزء من اجزائه الا اذا علمنا (ماهية الوظيفة) التى خلق لاجلها »
« فيكون كماله على قدر احسانه القيام بتلك الوظيفة »

« سبحان الذى اعطى كل شئ خلقه ثم هدى » . قضت حكمته »
« تعالى أن يكون شأن الانسان فى كل شئ مبايناً لشؤون سائر الانواع »
« الحية لحكمة لا يفقه كنهها الا هو . فبينما ترى كلا من الكائنات قد »
« سيق رغم انفه الى اداء وظيفته وطبع على التزام حدودها ترى هذا »
« الانسان لم يزل يتساءل (الا من احياه الله بالعلم اليقين) لماذا خلقت »
« ومن اين اتيت والى اين اذهب ؟ ولكن لا نظن ان الخالق العظيم »
« قضى على الانسان بالبقاء ابديا فى هذه الحيرة فلا بد ان يكون قد »
« أحاط وجوده بعوالم تتقاسم أحواله وأطواره حتى تؤديه ولكن بعد هنا »
« وهنات الى الطريق الاقوم والصراط المستقيم (سأريهم آياتى فلا يستعجلون) »
« ونحن هنا لو أردنا أن ندرك سر تدرج الانسان من البهيمية الى الانسانية »
« الكاملة نجده فى اكتشافاته المتوالية لنواميس الطبيعة وعدم معارضته »
« لسيرها واستخدامه قواها لمنافعه الخاصة حتى يمكننا ان نقول ان »
« نهاية الكمال المدنى الذى سيدركه الانسان يوماً ما (وان يوماً عند »
« ربك كألف سنة مما تعدون) هو اكتشافه لسائر نواميس الكون »
« السائدة على وجوده »

« ولكن يجب علينا هنا ان ننبه بأن الانسان ليس بمفطور على ان »

« يعمل بما يعلم فهو كثير المحاولة شديد المراوغة والتلاعب يلوح له الخيال »
« والحقيقة فى امر فيغره الاول بظاهره المموه وروائه المزخرف فيميل »
« اليه وهو عالم بما يسوقه من النتائج الوخيمة عليه على امل ان يقضى »
« منه وطراً ثم يعود الى الحق عود التائب المنيب وقد يشكل عليه كلا »
« الامرين أحيانا فيختار أكثرهما تأثيراً على هواه ظانا ان فيه دواه . »
« وهو مثار جواه . ومنبعث بلواه . ولكن الطبيعة واقفة بالمرصاد تنزل »
« على العابث بنظام مبدعها عقاب ما اجترحت يداه مصداقا لقول الله (ومن »
« يعمل مثقال ذرة شراً يره) ليفيء الناس الى رشادهم وليتبينوا بتأثير »
« المصائب طريق اسعادهم (لنذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون) »

« كل هذه المقدمة لاتعد شرودا مناعن موضوع البحث فقد »
« اقتضاها المقام كما يلوح لكل متأمل فلندخل الآن الى سر مسئلتنا ولكن »
« بعد أن نرجو القارئ أن يستحضر فى فكره كل خرافات المتغاليات من »
« النساء فى المطالبة بالمراكز السياسية ومشاركة الرجال فى ادارة الشؤون »
« العمومية وفى الاشتغال بسائر الاعمال الصناعية ليطبقه على ما سنتلوه »
« عليه من وظيفتها الطبيعية ليرى ان تلك المطالب يستحيل تحققها اللهم »
« الا اذا تغير شكل جسمهن وزايلتهن لوازم جنسهن فنقول :

ماهي وظيفة المرأة الطبيعية

« للمرأة فى الحياة الانسانية وظيفة سامية للغاية وهي حفظ النوع »
« البشرى واستدامته مما لايتأتى للرجل ان يشاركها فيه لانه يتعلق بشكل »
« التركيب الجسمى الامر الذى لايمكن الحصول عليه بالتصنع ولا التقليد . »

« فمن يكون على بينة من علم التشريح يرى أن هذين الكائنين اللذين »
« لا يفترقان فى ظاهرهما الا بفروق صغيرة مختلفان فى تركيبهما الداخلي »
« اختلافاً كلياً مما لاسبيل للمقارنة بينهما . هذه الوظيفة الخاصة بالمرأة »
« لها جملة أدوار تتعاقب عليها ولكل دور منها لوازم لاتزايلها يجب الالمام »
« بها لندرك أهمية هذه الوظيفة وخطرها . فهى تستلزم الحمل والوضع »
« والارضاع والتربية . ومن يتأمل فى مقدمة مقالتنا هذه ويتحقق ان لكل »
« كائن وظيفة يتوقف (كماله الشخصى) على حسن أدائها وجب أن »
« يتساءل معنا عن ماهية حدود وظيفة المرأة وعن كيفية حسن أدائها لها »
« لنعلم تبعاً لهذه البديهة العلمية على أى شئ تتوقف سعادة الجنس اللطيف »
« فنقول :

(ما هي حدود وظيفة المرأة واختصاصاتها ؟)

« قلنا ان وظيفة المرأة تستلزم أربعة أدوار حمل ووضع وارضاع »
« وتربية . ولكن ماذا يفيد هذا الاجمال بالنسبة لهذه الاحوال الأربع »
« التي وضع العلماء فى شرحها قديماً وحديثاً ما لا تكفي عدة صحف لسرد »
« أساميها فضلاً عن التعمق فيها ؛ فمن يبلغ عني تلك المرأة الحامل التي »
« تحشر نفسها فى زمرة المضربين عن العمل بأنها انما تعرض نفسها »
« باستهدافها للوكز والدفع الى أشد الاخطار على حياتها وحياة جنينها ! ! »
« ومن يبلغ عني تلك المرضع التي تصيح وتنفعل انتصاراً لرأيها السياسى »
« انها بذلك الانفعال النفسي تفسد لبنها فتسق ولدها منه سما زعافاً ربما »
« قضى على حياته القضاء المبرم ! ! ومن يبلغ عني تلك الأم المحامية التى »

« تقضي طول نهارها فى المدافعة عن مجرم لتخفف ويلات العقاب عنه »
« ومعظم ليلها فى جمع المستندات وتنقيب شروح الشريعة انها باهمالها »
« التعمق فى علم التربية تسيء آداب ولدها من حيث تظن انها تحسنها »
« فيشب شريرا عتلا زنيماً ثم لا تستطيع أن تبرئه عند المحاكمة بفنونها »
« الجدلية !! أليست هذه الاشياء كلها تمردا على نواميس الطبيعة وعصياناً »
« لاحكام مكونها ؟ »

« أليست اهمالا من المرأة لشؤون وظيفتها الطبيعية التي يتوقف »
« عليها كمالها وسعادتها واشتغالا بما يضرها هى ومجتمعها لابعاده إياها »
« عن كمالها الذى لايتم كمال المجتمع الا به ؟ »

« يقول قائل : وماذا يضرنا لو أحسنت المرأة عملها الخاص بها ثم »
« التفتت الى عمل غيرها فساعدته فيه ؟ نقول لهذا المعترض لا يفصل »
« هذه القضية بيننا بحكم لا يقبل استئنافاً الا الطبيعة البشرية نفسها فلنوجه »
« اليها هذا السؤال : »

« هل تستطيع المرأة ان تبلغ الكمال فى وظيفتها الخاصة بها مع »
« مشاركتها للرجل فى وظيفته الخارجية ؟ انا لنسمع الطبيعة تصيح بيننا »
« بلسان فصيح قائلة كلا ثم كلا واليك التفصيل : أما فى مدة التسعة »
« أشهر للحمل فلا تستطيع المرأة احسان عمل من الاعمال مطلقا لان »
« جنينها فى تلك المدة يدخل فى أدوار مختلفة ولكل دور منها آثار تبدو »
« عليها وأعراض لاتفترق عن أعراض الامراض فى شيء لانها نتيجة »
« تفاعلات باطنية تؤثر على مجموع البنية تأثيراً يختلف باختلاف طبيعة »

« الجسم نفسه من قوة وضعف . ولهذا الدور من أدوار حياة المرأة »
« شرائط صحية كثيرة اكتشفها الاطباء من تجاربهم العديدة ويجب على »
« الحامل ملاحظتها بالدقة وتطبيقها على سائر أطوار الحمل المختلفة لتخرج »
« منه هى وولدها سليمين والا فتكون قد عرضت نفسها لأخطار قد »
« تذهب بحياتها هى وفلذة كبدها دفعة واحدة »

« يقول الاطباء : ولما كانت مدة الحمل فى الحقيقة حالة مرضية »
« وجب على أهل الحامل أن يعاملوها بمزيد الرعاية مع ابعادهم عنها كل »
« ما يكدر افكارها أو يعارض مزاجها لتأثير كل ذلك على صحتها وصحة »
« جنينها وان يحتملوا ما يبدو منها من حدة الخلق وشدة الانفعال لانها »
« تكون مكرهة على ذلك من جراء الاضطراب العصبي الذى يلازم »
« تلك الحالة »

« أما دور الوضع فهو دور شديد الهول كثير المخاوف تتعرض »
« الحامل فيه لآلام حادة وتقع بعده فى مرض حقيقي وضعف شديد »
« وقد أفرد الاطباء لهذا الدور كتبا ضخمة ملآى بما يجب مراعاته »
« نحو الوالدة من القواعد الصحية التي تكفل نجاتها من الحميات الكثيرة »
« الانواع التي تهددها فى ذلك الحين »

« أما دور الارضاع فهو وان كان أقل خطراً من الدورين السابقين »
« بالنسبة للأم الا انه أشد خطراً بالنسبة للطفل فان له قواعد مخصوصة »
« وقانونا يجب مراعاته تمام المراعاة لان اسراف الام فى اكلة متبلة »
« ربما جرت على طفلها نزلة معدية أوردته حتفه او ربما اكثرت من »

« ارضاعه بغير تدبير فسببت لديه تخمة تنكد عليها حياتها وحياة أهل »
« بيتها أجمعين . وليس الامر قاصرا على هذا فان الطفل يحتاج من يوم »
« ولادته الى يوم فطامه لملاحظة شروط جمة بالنسبة لتغذيته وكسوته »
« وتنظيفه لو أهمل منها واحد أثر على المولود تأثيراً سيئاً ولو كان فى »
« بلادنا احصائيات كاملة لعلمنا منها ان اكثر الاطفال يموتون من جهل »
« الامهات بشروط التربية الطفلية . »

« أما وظيفة التربية فهى من أقدس الوظائف وأدعاها للعناية »
« والاهتمام . فان الطفل عند مايخرج من ذلك العالم الغيبي تكون مرآة »
« نفسه خالية من جميع الصور مبرأة من جميع النوائب الاخلاقية والمعائب »
« النفسية وقابلة لأن ترتسم فيها كل صورة عرضت اليها على علاتها »
« ولكل من هذه الصور لوازم وآثار تؤثر على وجدان الطفل عند »
« ما يشب وتسوقه رغم أنفه الى الوجهة التى تهيئها له. فما الجبن والشجاعة »
« وما الكرم والبخل وما البشاشة والعبوس الى غير ذلك من الرذائل »
« والفضائل فى الانسان الا آثار تلك الصور التى ارتسمت فى مخه وهو »
« خالى الذهن من كل شئ . فاذا كان الناس قد اعتادوا أن ينظروا الي »
« من وزث مالا فأساء التصرف فيه بعين الآسف المتلوب فبالاولى »
« يجب عليهم ان ينظروا بتلك العين الى الأم الجاهلة بشرائط تلك التربية »
« بل شتان بين كنز يبذر وبين نفس كريمة تقتل قتلا أدبياً فيشب »
« صاحبها رغم أنفه جانحة على بنى جلدته ومصيبة على اخوان ملته »
« أو بالاقل غير نافع لقومه مع انه لو كان ممن اسعده حظه فأحسنت أمه »

« تربية ملكاته وتنمية مواهبه لشب وهو واحد من أولئك الأفراد الذين »
« تسعد بهم الأمم وترقى بهممهم الى أوج الجلالة والعظم . فهل يأتى على »
« الناس زمان يدركون فيه هـذه الحقيقة الجليلة فيلقون على الأمهات »
« هذه المسؤولية العظمى ؟ وهل يأتى عليهم حـين يعلمون فيه ان فن »
« تربية الأطفال ليس من الفنون البسيطة التى تتعـلم فى شهر أو شهرين »
« بل تقتضى سـنين طويلة لانها تتناول معظم العلوم النفسية وكيفية »
« تربية الملكات ومعالجتها بالطرق الحلمية ؟ وهل يأتى عليهم وقت »
« يعرفون فيه ان هذه العلوم لاتساع موادها وتشعب أصولها لاتدع »
« محلا لسواها من العلوم الأخرى الا بما يقيم أود الفكر ويصقل مرآة »
البصيرة ؟

« اذا أتى علينا الزمان المنتظر فهل نقول وقتها بلزوم اشتغال النساء »
« باشغال الرجال وقد أثبتنا من قول علماء العمران فى مقالاتنا السابقة »
« انها تسلخهن من عائلاتهن سلخاً وتقوض دعائم أسرهن تقويضاً ؟ ثم »
« هل نذهب الى ضرورة نبذ الحجاب واختـلاط النساء بالرجال وقد »
« برهنا من أقوال العلماء من العالمين الأوروبى والاميركى على ان لانتيجة »
« لذلك الا التهالك على التزين والتبرج وأقمنا الأدلة من قول نفس المرأة »
« ان ذلك الاختلاط الذى يدعون ان فيه فوائد للنوعين لا أثر له فى ترقية »
« شأن المرأة لانهم يقصرون المقابلات على تبـادل التحايا ذوات المعانى »
« المتنوعة التى كانت تستعمل بعينها فى مدة لويز الخامس عشر ؛ بأى صفة »
« يلزمنا ان نصف المرأة التى نترك فلذة كبدها فى حجر مرضعه أو مربيته »

« الجاهلة لتذهب هى الى اندية السياسة لتلقى الخطب فى تأييد وزارة »
« أو فى تفنيد مطالب حزب من الأحزاب : لاشك يجب علينا ان »
« نصفها بالمجرمة الجانية المتعدية لحدودها ويلزم منعها واستلفاتها بما يمكن »
« من الوسائل الى ذلك المولود الذى ألقته القدرة الالهية الى عهدتها »
« لتقيم أود جسمه وعقله عوضا عن اشتغالها بمالا يتعطل بدونها لانها »
« بخطبها انما تؤدى وظيفة خطيب وكثير ماهم ولكنها باهمالها شأن »
« مولودها ندعه لتربية الصدف وهى لاتكفي مهما كانت حسنة لان تبرز »
« مكنونات الفطرة أو تستخرج عجائب القوى النفسية فيشب كما يجئ »
« لا كما يجب مع انه كان فى مكنة أمه أن تبث فى روحه روح الكمالات »
« والفضائل وتحيط نفسه بسياج من الحكمة تمنعه من مقارفة الرذائل »
« ومداناة المقاذر فيكبر رجلا صالحا يخدم أمته خدما ترفع مجدها الى »
« عنان السماء ويخلد لوالدته الفاضلة اسما بين فواضل هذا النوع الانسانى »
« فيرحمها من فى الارض ويصلى عليها من فى السماء هذه هى (المرأة الكاملة) »
« المربية المحتجبة بحجاب العفاف والصيانة . حجاب الكمال والرزانة التى »
« هى فى لزوم بيتها وعدم تبرجها كالقلب من الجسد محتجب بين الاضلاع »
« لعدم استعداده مثلها لمقاومة المؤثرات الخارجية ولكنه احتجاب لم يمنعه »
« من تأدية وظيفته السامية للبدن كله كما لم يمنع الناس من تقديره حق »
« قدره فهو مستودع الحياة ومنظم حركات سائر الاعضاء . وهو المخصوص »
« بالرعاية والملحوظ بكل العناية »

« يقول : قائل ان كلامك هذا يقرب أن يكون خياليا شعريا لبعد »

« تحققه لاسيما ونحن فى زمن لعبت فيه الاهواء بألباب الرجال وصار »
« من الصعب فيه تمييز النقص من الكمال حتى لانجد فيه الا غاراً أوتى »
« حيل الشياطين أو مغروراً دفعه وهمه الى أسفل سافلين . زمن »
« لايطبق فيه العلم على العمل الا فى الصناعة فقط وأما مايختص بتهذيب »
« النفس وكبح الاهواء فيقتصر على تدوينه فى الاسفار الضخمة ليتلوه »
«من أراد أن يفهم معنى علم الاخلاق فالبست الوحشية والعياذ بالله لباسا»
« من استبرق الصناعة وتحلت من حلى الفنون الجميلة بما يغر البسيط »
«حتى اذا قرب منها أبرزت له أنياب الافاعى ومخالب الاسود الضوارى»
« فمزقته أو يهجر ضرتها الانسانية هجرا كليا ويظل أمام هيكلها راكعاً »
« ساجداً يعبد هواه حتى يقضى الله أمرا »

« نقول لهذا القائل : نحن لم نرد أن نبحث فى عجالتنا هذه عما اذا كان »
« من الممكن أن أهل المدنية المادية العصرية يوفقون بينها وبين مطالب»
« الانسانية ولكنا أردنا فقط أن نعرف ماهية (المرأة الكاملة) وقد »
« استجوبنا الطبيعة فى هذا الشأن فأجابتنا بلسان نواميسها الناطقة بأن »
« كمالها لا يتأتى الا اذا عرفت كنه وظيفتها ومبلغ اختصاصاتها وقد أريناك»
« انها اختصاصات خطيرة على ملاحظتها سعادة البشر كما ان على اهمالها »
«شقاءه ولا نظن ان ما اوردناه هنا يقبل جدلا لانا انما استفتينا نواميس»
« الحكمة الالهية فأفتتنا ومن أراد جدالها فقد جادلها كثيرون فكبتهم »
«بعد مابكتهم ولم يزل يجادلها الناس فى كل مكان وهى تقيم عليهم الحجة»
« بعد الحجة قولا وفعلا . أما قولا فبلسان علمائها ممن ذكرنا بعضهم »

« سابقا ولو شئت لاتيناك بهم قبيلا . وأما فعلا فبالفساد الذى ينتشر »
« فيهم كلما لجوا فى جدلها وتمادوا فى محاولتها »

« نحن لا نقول ان المرأة حاصلة على حريتها فى اى امة من الأمم »
« بل هى لم تزل مستعبدة اسيرة بجهلها فى كل بقعة . ولكنا نقول »
« والبراهين بين ايدينا انها اشد عبودية فى البلاد الغربية منها فى »
« البلاد الشرقية لان حريتها ليست فى رفع الحجاب والاذن لها »
« بالخوض فى معترك الحياة وهو ذلك المعترك الهائل الذى لا ينال الفوز »
« فيه الا باقتحام المخاطر . وتكبد مشاق تشق المرائر . معترك يأكل القوى »
« فيه الضعيف وليست القوة والضعف فيه تتعلق بصلابة العضل او بلينه »
« فقط بل بأمور أخرى ايضاً مركزها العقل وحسن التصرف بقوى »
« الفكر . ولو قارنت الرجل والمرأة من هاتين الحيثيتين لحكمت لاول »
« وهلة ان الغالب لن يكون على اى حال الا الرجل دون سواه كما أثبتنا »
« ذلك علمياً . فاى خديعة تخدع بها هذه المرأة الضعيفة اشد من جعلها »
« ترمى (سلاحها الطبيعى) الذى يمكنها ان تنال به مركزها السامى فى »
« هذه الحياة وتتناول سلاحاً آخر لا تحسن استعماله امام مغالبيها مهما »
« استبسلت واستماتت : اذا علمت ان الحياة حرب عوان وتنازع فى »
« البقاء فقل لى اى سلاح يليق ان تخترق به المرأة المسكينة صفوف »
« هذه الهيجاء المستعرة : اتجعل سلاحها العلم : السياسة : التجارة : الصناعة : »
« الزراعة : كل هذه أسلحة يستطيع الرجل ان يغلبها بها ولا سبيل للمكابرة . »
« اذاً هل خلقت المرأة ليطحنها الرجل بكلاكل الغلبة والقهر كما يرى ذلك »

« فى بلاد المدنية حيث تجد أسراباً من ذلك الجنس اللطيف يقضين الليل »
« والنهار فى العمل الشاق بالمعامل لسد رمقهن وكسوة ابدانهن حتى لم »
« يسمح لهن الشغل ان يتزوجن فصرن كما يقول الاستاذ (فريرو) »
« وغيره لا رجالاً ولا نساء بل جنسا ثالثاً من مميزات شحوب الوجه »
« وعبوسه ودوام الاكتئاب والماليخوليا ؛ وهل من آثار حرية المرأة »
« هجرة الشابات والعجائز منهن الى البلاد الشرقيـة بعشرات الالوف »
« ليؤدين وظيفة خادمات عندالشرقيين او حاملات لاطفالهم ؛ اللهم ان »
« كان ذلك التحرير يؤدى المرأة الى هذه الحال التعيسة فما أجدر نساءنا »
« بأن يرفعن أيديهن الى السماء داعين الله ان يسبغ عليهن نعم الاستعباد »
« باكثر مما هن فيه !! »
« كلا لم تخلق المرأة لتستعبدفيجب عليها أن تجاهد لنوال حريتها .ولكن »
« بأي سلاح ؛ بسلاح وهبه الله لها وليس من جنس سـلاحنا وليس »
« فى مكنتنا أن نقابلها بمثله ولكنها بغاية الاسف غافلة عنه ولا تفكر فيه »
« وليس ذلك السلاح الا معرفتها خطارة وظيفتها وسمو مقام الهبة التى »
« منحتها والعمل على حسن التصرف بها . هذا السلاح يجعلها موضوع »
« التجلة والاحترام ومحل الاجـلال والاعظام لانها تعتبر عندئذ مليكة »
« لازمة الاحساسات وسلطانة على منازع الطباع فهى ان شاءت جعلت »
« الحـكومة ملوكية وان شاءت قلبتهاجمهورية وانشاءت عملتها اشتراكية »
« وما ذلك الا بتربية الاطفال على حسب أميالها وسوقها الى الغاية التى »
« تتمناها فتهابها الحـكومات ويخشى سطوتها الملوك فى عروشهم السامقات »

« ويعدونها مزعزعة إن لم ترض عنهم الامهات . وتستطيع وقتها أن »
« تقتاد الرجل بزمام من حديد لتنتقم منه على ما اجترحت يداه فى حقها »
« حيث كان يتركها تعمل بجسمها لتنال بلغة تتلمظ بها هربا من أنياب »
« الموت لولا أن الخالق تقدست صفاته قد احتاط لهذا الأمر فوهبها »
« من رقة الاحساس والشفقة المتناهية والعواطف الرقيقة مايؤهلها »
« لمنزلتها هذه من السيطرة وقيادة الاميال فهى لاتأمر الا بخير ولا تبعث »
« الا لمرحمة »

« هذا هو سلاح المرأة الذى لو علمته لسعت اليه سعياً حثيثاً ولرمت »
« بقول كل من يريد أن يلفتها عنه عرض الحائط ولا تهمته بأنه يحسد »
« مستقبلها فيريد أن يوجهها الى ما يزيدها أسرا ويجعل عيشها مرا . هل »
« ترضى المرأة عند ما تعرف كنه مستقبلها هذا أن ترفع الحجاب ؟ كلا »
« لانها تعلم ان ذلك يسوقها الى محجة التزين والتبرج ويبعثها الى البذخ »
« ومتابعة الاهواء كما أثبتنا لها ذلك مما لاسبيل معه للمكابرة وهو أمر »
« يعطلها بل يصدها عن بلوغ شأوها المنتظر . ثم هل تميل لان تجارى »
« الرجال فى الاشغال ؟ كلا . لان ذلك يسلخها عن عرش ملكها (أسرتها) »
« سلخا فلا تتوصل الى مركزها المستقبل الذى فيه سعادتها وحريتها . اذاً »
« ماذا تعمل ؟ تتعلم كيف تكون أما وتدرس قوانين وظائفها وتتأدب على »
« مطالعة أسرار التربية وعجائبها التى بها يصير الجبان شجاعاً والبخيل »
« كريماً والامبراطورى جمهورياً والاشتراكى ملكياً الخ وتترك التبرج »
« والتباهى بتعلم اللغات الاجنبية ولا تسرف فى الزخارف فان الانهماك »

« على كل ذلك يبعدها عن كمالها الذي فيه سر مجدها ويجرها تدريجاً »
« الى ما فيه عبوديتها ورقها . ولا يغرها ما تراه من انطلاق النساء فى غير »
« قومها ولا تستنتج من تطوافهن مع أزواجهن فى الشوارع انهن أقرب »
« منها الى ذلك المستقبل السامى . كلا فقد جرهن ذلك الانطلاق »
« الى طريق غير طريق سعادتهن وقد أخذ قومهن فى التشكى من »
« حالتهن وقد نقلنا عنهم كل ذلك تفصيلا ومن استزدنا زدناه تطويلا . »
« تلك هي المرأة الكاملة وتلك هي حريتها الحقيقية وذلك هو سلاحها »
« فى معترك هذه الحياة فليتخذ الشرقيات هذا المثال نصب أعينهن »
« وليعملن على التقرب منه شيئاً فشيئاً حتى ينلن سعادتهن وينلننا سعادتنا »
« المرتبطة بهن . والله يهدى من يشاء الى سواء السبيل . اهـ »

ذيل

كتب بعضهم — الموسيو ا . م . دى اڤيرينو — فى جريدة الفارد الكسندرى فى عددها الصادر فى ١٥ دسمبر سنة ١٨٩٩ مقالة عنوانها « تحرير المرأة » يقول فيها ان نساء المسيحيين فى البلاد الاسلامية كن يحتجبن احتجاب نساء المسلمين لعهد غير بعيد ثم نبذن ذلك الحجاب وبرزن من خدورهن واختلطن بالرجال وقلدن الفرنجيات فتقدمن تقدما عظيما وافادهن الاختلاط فوائد جمة ما كن يحصلن عليها وهن محتجبات . وانه يصعب عليه ان يرى نساء المسلمين محرومات من هذه المزايا والفوايد ولذلك يدعو الى الحث على رفع حجابهن واختلاطهن بالرجال وتخليصهن من هذا السجن الذى هن فيه وهذه الحياة المرة التى تقاسينها . ويقول انه ليس بعد ما اصبح عليه النساء المسيحيات دليل على نعم الاختلاط وعلى ضرورة الاقتداء بهن وان من يرميهن بغير صفات العفاف والصون والكمال فقد افترى عليهن وكذب والا فلو كان ما يرموهن به صحيحاً ما كنا نشاهد هذا التقدم السريع والعظيم فى البلاد المسيحيه وهى اعظم البلاد منعة وقوة واقتدارا فى هذه العصور باعتراف الجميع . كما أنه لا يعتد بقول من يقول ان لكل دين خلقا ولكل قوم آدابا وطبائع وان هذه العوايد لا تلائم اخلاق المسلمين ولا طباعهم . اذ ماذا يضر المسلمين لو قلدوا الفرنج فى هذا الامر ايضا بعد ان قلدوهم فى كل شئ : فقد قلدوهم فى المأكل والملبس وتعلموا لغاتهم وبنوا بيوتهم على

طرازهم وسبقوهم حتى فى شرب الخمور الذى تحرمه ديانتهم ::

واختتم الكاتب مقالته بقوله انه مهما كانت مزايا الاختلاط ورفع الحجاب عظيمة ويجب تحقيقها للمسلمات فانه يشك فى أن النتيجة تكون حسنة بالنسبة لهن حتى لو اتبع فى ذلك التدرج ما دام الطلاق وتعدد الزوجات على ما هما عليه ولم تضيق دائرتهما ولم يجعلا على طريقة تضمن للمرأة بقاء الزوجية فان المرأة المسيحية يمنعها من الابتذال ارتباطها بزوجها أما المرأة المسلمة فاذا ابيح لها الاختلاط ورفع الحجاب مع بقاء الطلاق وحق التزوج بغيرها فى يد الرجل كما هو الآن لكانت النتيجة اوخم والعاقبة اسوأ والضرر اعظم ولأصبحت المرأة كمتاع تصبح فى يد زيد وتمسى فى حوزة عمرو بدون ان يكون لها بيت حقيق تنتسب اليه ولا وطن اليه تعزى ويكون مثل من دعى الى تحريرها كمثل من يملك منزلا آيلا للسقوط فلما حاول ترميمه تهدم وبقي صاحبه بلا مأوى ولا ملجأ ولذلك يجب على كل من يريد تحسين حالة المرأة المسلمة وتحريرها أن يسعى اولا فى تضييق دائرة الطلاق لدرجة أن يكون كممنوع ثم تحرير الرجال من نير الجهالة الذى أثقل كاهلهم ورفع الغشارة التي اعمت أبصارهم وبصائرهم . اهـ

هذا ما جاء فى جريدة الفار . واننا لا نتكلف الرد عليه بغير ما ذكرناه في هذا الكتاب ولا نقول ان عدم الطلاق من مسببات الابتذال ولا أن المرأة لو وجدت نفسها مهددة بالطلاق تعمل جهدها فى ارضاء زوجها فقط نستلفت الانظار الى كتاب حديث وضعه الموسيو « البيرسيم » أحد علماء

فرنسا باسم « النساء المحررات »(Emancipées) ليعلم نصراء تحرير المرأة ماذا انتج هذا التحرير بالبلاد الاروبية وماذا ينتظرها من الاخطار من جراء فشو هذا المذهب بل هذا الداء العضال . وهذا الكتاب وحده كاف للرد على جميع مدعيات نصراء الابتذال ومدحض لكل الحسنات الموهومة التي يتوسمونها أو يتخيلونها فى تحرير المرأة . ومظهر ما هى أمانى المرأة الوهمية ومطالبها الخيالية التى تحاول الوصول اليها باسم التحرير

فلنعتبر ولنتعظ ولا نغتر بما نراه ونسمعه من زخرف القول والكلام اللين ومحاولة الاقناع والتأثير فللقوم غاية لم يبق مجال فى اخفائها أو فى تجاهلها بعد ان تردد صداها فى الخافقين : فقد نقلت مجلة الموسوعات الغراء فى عددها الصادر فى اول شعبان سنة ١٣١٧ ضمن مقالة غراء عنوانها « *نفثة مصدور* » بقلم حضرة مديرها محمود بك ابو النصر كلاماً نشر بمجلة العالمين (revue des deux mondes) الشهيرة ليس لنا بعد أن نقرأه ادنى عذر فى الاغترار بما يقولونه :

قال حضرته بعد كلام طويل :

« ومن قبيل هذه النفثات نفثات أخرى صادفتها فى عدد ١٥ سبتمبر الماضى من مجلة العالمين منثورة فى خلال مقالة ضافية للكاتب الفرنساوى الشهير مسيو إتين لامى عنوانها « فرانسا فى الشرق » وهى احدى رسائله الطنانة فى هذا الموضوع وقد شرح تاريخ نفوذ فرانسا فى البلاد المشرقية وما اعتوره من قوة وضعف وبين مقدار ما يبذله قومه من المساعى العديدة والاموال الباهظة فى سبيل تعليم مسيحى الشرق وغرس محبة فرنسا فى أفئدتهم ليكونوا لها مصانع واحزاباً ثم قال : « ومع ذلك

فهذه المساعى لم تنتج تمام الغاية المقصودة منها لتباين الطوائف المسيحية فمن الضروري اذن جمع شتات هذه الفرق حتى لا يعاكس بعضها بعضاً . ومتى صاروا فرقة واحدة تمكنوا من مقاومة المسلمين والاعتلاء عليهم »

«وفى كلامه على المدارس المسيحية التى اتخذوها سبيلا الى غاياتهم المنكرة شط به القلم فاظهر ما تكنه صدور القوم من العداوة والبغضاء لدين الله تعالى ولم يخش هذا الكاتب الفيلسوف الذى طالما تمشدق بكلمة الانسانية والتمدن وحرية الاعتقاد واحترام الاديان ان يجاهر فى أشهر المجلات : مجلة العالمين بأن من الواجب على الأمم المسيحية ان تعاكس الاسلام فى كل طريق وتحارب أهله بكل سلاح ثم أخذ يقدح فكره فى البحث عن أقرب الطرق وانجح الوسائط لنوال بغيتهم السافلة من ديننا ودنيانا جزاء وفاقا على ما وقعنا فيه من الجهل والغفلة والاغترار حتى اهتدى الى ان مقاومة الاسلام بالقوة لا يزيده الا انتشاراً فالواسطة الفعالة لهدم أركان الاسلام وتقويض بنيانه على ما قال هى تربية بنيه فى المدارس المسيحية والقاء بذور الشك فى نفوسهم من عهد النشأة فتفسد عقائدهم الاسلامية من حيث لا يشعرون وان لم يتنصر منهم أحد فانهم يصيرون لا مسلمين ولا مسيحيين مذبذبين بين ذلك . قال : « وأمثال هؤلاء يكونون بلا » « ارتياب أضر على الاسلام وبلاده مما اذا اعتنقوا الديانة المسيحية » « وتظاهروا بها . »

«ولما انتقل الى تربية بنات المسلمين نفض كل ما فى جرابه فانكشف الستر عن مكنون سره وتصعدت زفراته عن نار تتأجج فى كبده الحراء

وتضطرم فى فؤاده العليل فقال :

« ان طريقة تربية أولاد المسلمين فى المدارس المسيحية وان كان »
« لها من التأثير ما بيناه فان تربيـة البنات فى مدارس الراهبات ادعى »
« لحصولنا على حقيقة القصد ووصولنا الى نفس الغاية التى وراءها نسعى »
« بل اقول : ان تربية البنات بهذه الكيفية هى التربية الوحيدة للقضاء على »
« الاسلام من يد أهله » وهاك طرفاً من عباراته عسى أن تكون عبرة وذكرى للمسلمين عموماً والقائلين برفع الحجاب واختلاط النساء بالرجل خصوصاً . قال ما ترجمته بالحرف الواحد (صحيفة ٣٢٨)

« ان التربيـة المسيحية أو تربية الراهبات لبنات المسلمين توجد »
« للاسلام فى داخل حصنه المنيع عدوة لداء لا يمكن الرجل قهرها فان »
« الاسلام أسس على اهانة المرأة واذلالها فيكون خروجها من الاستعباد »
« سبب دماره والتربية المسيحية أقوى باعث على خروجها لأن المسلمة »
« التى تربيهـا يد مسيحية تعرف ولا شك درجة اعتبـار المرأة فى »
« المجتمع الانسانى وتكتسب من المعارف ما يبرر اطماعها فى الاستقلال »
« ويقوى آمالها فى الارتقاء فتعرف كيف تتغلب على الرجل حيث تقوى »
« رغبتها فى الاستزادة من المعارف وتطلب علم ما لم تكن تعـلم فتكثر »
« من مطالعة الكتب جدها وهزلها حتى تظهر لها وظيفة المرأة متمثلة »
« فى مرآة التصور فلا تكتفي بأن تكون هى الزوجة المفضلة بل تحتم أن »
« تكون الزوجة الوحيدة وتصبح وحدة الزوجة بتأثير المرأة من الامور »
« الاعتبارية فى الطبقات العالية كما هى الآن لدى أغلب الأتراك بتأثير الفقر . »

« ومتى تغلبت المرأة هكذا تغير نظام العائلة بالمرة وأصبح فى قبضة »
« تصرفها وهنا يظهر تربية الراهبات لانه سهل على المرأة والحالة هذه »
« أن تؤثر على احساس زوجها وعقيدته فتبعده عن الاسلام وتربى أولادها »
« على غير دين أبيهم وكلما قويت مداركها وعرفت بمقدار حقوقها »
« وواجباتها كلما زاد بغضها لدين يهين الأم باهانة الزوجة وفى اليوم الذى »
« تغذى الأم فيه أولادها بلبان هذه التربية وتطلعهم على هذه الافكار »
« تكون المرأة قد تغلبت على الاسلام نفسه »

« تلك هى أقرب الطرق وأنجح الوسائط لمحاربة الاسلام بأهله »
« دون جلبة ولا ضوضاء وهى ولا شك أدعى لنوال المآرب وبلوغ »
« المرام فليس لنا الا اتباعها . أما السعى جهاراً فى محاجة المسلم واقناعه بما »
« هو عليه من الضلال فانه يوقظ عوامل التعصب الكامنة فى نفسه »
« الساكنة بين جوانحه فلا يمكن تذليله وهذا ليس من الحزم فى شئ اه »

هذه نفثات مصدور اكتفى بالاشارة اليها دون تعليق عليها وأرجو أن تكون عبرة للآباء وذكرى للامهات والابناء اه

فهرست

صحيفه

١ مقدمة الكتاب

﴿ الباب الال ﴾

« فى المرأة ووظيفتها فى المجتمع الانسانى »

١٠ المرأة اقل من الرجل ادراكا وحسا

١٧ وظيفة المرأة

٢٣ اقرار بعض علماء الفرنج والسيدات انفسهن بان المرأة لايلزم ان تتعدى وظيفتها

٢٦ هل للمرأة ان تشتغل باشغال الرجال

٣٠ ما هى نتائج تحرير المرأة فى اوروبا

﴿ الباب الثانى ﴾

« ماينبغى ان تكون المرأة متخلقة به . ويدخل فى هذا المبحث »

« ماهية التربية الصحيحة وطرق الوصول اليها »

(الفصل الاول)

٣٤ تمهيد

٣٥ تسليم الكل بوجوب التربية

٤٠ حالتنا الحاضرة فى التعليم والادب

صحيفه

٤٣ مداواة الحالة الحاضرة

(الفصل الثانى)

٤٧ التربية الصحيحة

٤٩ طرق التربية — التربية الاولى

٥٠ التربية الثانية

٥٦ التربية الثالثة — التعليم —

(الفصل الثالث)

« الحجاب »

٦٠ العفة والامانة والحياء

٦٢ الحجاب اعظم قائد للعفة

٦٦ الحجاب شرعى يأمر به الدين

٨٠ دفع اعتراضات

٩١ الحجاب الحالى وما يتهددنا به

١٠٥ نتيجة ماتقدم

١٠٨ ماهو الاصلح للنساء التحجب ام الابتذال

١١٢ رأي الطبيعة فى مسألة المرأة

١٣٣ ذيل

فصل الخطاب
في
المرأة والحجاب

تأليف

محمد طلعت حرب

« خلق الله النساء لتدبير امر المنزل وهو دائرة محدودة يقوم عليهن فيها ازواجهن فخلق لهن من العقول بقدر ما يحتجن اليه في هذا وجاء الشرع مطابقاً للفطرة فكن في احكامه غير لاحقات بالرجال لا في العبادة ولا الشهادة ولا الميراث . »

فضيلة الشيخ محمد عبده
مفتي الديار المصرية
(نهج البلاغة جزء ١ صحيفة ٦٥ حاشية (١))

. . . . . .

« اذا علم ذلك فهل يتأتى تقريب الرجل من المرأة وتسهيل اختلاطهما بدون المخاطرة بصفو العائلات والعبث بالآداب والاعراض ؟

فجواب ديننا القويم على ذلك أن لا . ولهذا امرنا بالحجاب وبان تكون مجامع الرجال خاصة بهم لا يجوز ان تحضرها امرأة اجنبية عنهم كما امر النساء ان يجتمعن ببعضهن وحدهن ولا يحضر رجل في مجتمعاتهن . وقد قصد الدين الاسلامي بذلك ان يحفظ كلا من الرجال والنساء من هيجة ضعفهما وان يسد ابواب الفتنة والمفسدة ويستأصل الداء من جذوره . لانه اذا قيل ان الفرصة تعلم السرقة فانها تقود كذلك الى الزنا . »

قاسم امين بك
(صحيفة ١٤٧ من الرد على الدوق داركور)

. . . . . .

. . . . . .

. . . . . .

« ومن الغريب ان الانسان قد يرى بين المسلمين من يزدلف او من يعتريه ضعف في يقينه او شك في ايمانه بل منهم كثيرون اتبعوا كل العادات الاوروبية في مآكلهم ومشاربهم وملابسهم واكن لم يوجد ولن يوجد قط بينهم من يقبل ان يكون زوجه حسب الطريقة الغربية والعادات لافرنكية ولعلهم منتظرون لقبول ذلك أن يفشو مبدأ الاشتراكيين بين العباد ويسود في كل البلاد ويتناول الاعراض كما يتناول الاموال . »

قاسم امين بك
(صحيفة ١٥٢ من الرد المذكور)

(جميع الحقوق محفوظة للمؤلف)

١٣١٩ هـ مطبعة الترقي بشارع عبد العزيز بمصر ١٩٠١ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه محمد الذي جاء رحمةً للعالمين ومتمماً لمكارم الاخلاق وحاثاً على التمسك بفضائل الدين والشرع المبين .

أما بعد فانه ظهر من منذ سنتين كتاب لحضرة قاسم امين بك اسمه « تحرير المرأة » اتى فيه على حالة المرأة المسلمة وذهب الى وجوب تعليمها وتربيتها مما وافقه عليه كل عاقل منصف ولكنه استرسل فى القول اذ وجده ذا سعة حتى قال انه لا تكون التربية الا برفع الحجاب والاختلاط وبوجوب الاقتداء بالمرأة الاوربية فى جميع ادوار حياتها .

فاقامت هذه الدعوة الجديدة الرأى العام واقعدته واستفزته استفزازاً لم نعهده فيه حتى ولا فى المسائل السياسية الكبرى وحصل اخذ وردٌّ فى هذا الموضوع لبث زمناً طويلا واشتغلت به الجرائدمدة وما ذلك كله الا لكون حضرة صاحب تحرير المرأة جعل دعوته من جانب الدين وقال ان الشرع يعززها ولا يعارضها .

وذهب فريق المعارضين الى أن الدين الاسلامي الذى أتى متمماً

لمكارم الاخلاق امر بالحجاب بمعنييه وهما تغطية المرأة رأسها وبدنها على غير محرم لها وقصرها فى بيتها الا لضرورة توجب خروجها وقالوا ان هذا الحجاب اصل من اصول الادب وانه اعظم حصن للعفة وانه لا يمنع قط من تعليم المرأة وتهذيبها وتقويم اخلاقها وتمنوا ان لو أتيح الرجوع الى هذا الحجاب كما يأمر به الشرع ويقضى به الدين .

وقد كنا ممن ذهبوا هـذا المذهب فى كتابنا الاول « تربية المرأة والحجاب » واتينا حسب ظننا بما يثبت جميع ما اوضحناه من القرآن الشريف وسنة نبينا عليه افضل الصلاة والسلام ومن اثر السلف الصالح الذى به نقتدى ومن اقوال ائمة الدين قديماً وحديثاً .

وكنا ظننا ان هذا الباب قد أغلق ولكن اطلعنا بعد ذلك على عبارة فى المجلة المصرية تفيـد ان حضرة صاحب كتاب « تحرير المرأة » كتب كتاباً آخر على « المرأة الجديدة » يعيد فيه النغمة الاولى ويرد به على من عارضوه . فتشوفنا لمطالعة هذا الكتاب الجديد حتى اذا ما ظهر تصفحناه فوجدناه كالاول من حيث الموضوع والافكار ولكنه زاد عليه حرية فى المجاهرة بتمام ما فى الضمير كما زاد عليـه استخفافاً بالمعارضين له وبافكارهم وتعريضاً بهم وقام على المدنية الاسلامية وحضارة الاسلام فأنكر الاثنتين وقال انهما كانتا قاصرتين فلا يصح ان يطلب الرجوع الى شىء لم يكن الا فى مخيلة بعض المغرورين .[1]

ولقد غرته زخارف المدنية الغربيـة وظواهرها فبنى عليها العلالى

---

(١) سيجد القراء فيما يأتى بعضاً مما جاء فى هذا المعنى بكتاب المرأة الجديدة

والقصور واولع بها وشغف بخضراء دمنها وقال هى منتهى الكمال الذى وصل اليـه البشر ولا تقوم لنا قائمة الا اذا جارينـا الفرنج فى مضمارهم وسابقناهم فى شوطهم وقلدناهم فى كل عاداتهم واخلاقهم التى يراها جميعها بعين كليلة عن كل عيب .

يطلب منا ذلك وان كلفنا من فقدان عادات حسنة يراها بعين السخط سيئة ما كلفنا ولو فقدنا فضيلة العفة وهى البقية الصالحة مع انه خير لرجل يشعر ان يموت ويدفن من ان يرى بين اهـله او بيته امرأة فى تهتك وابتذال ولو كانت بهجة العـلم وحليته . والحرية التى تقتل العصمة شر من الحجاب القاتل للرذائل .

ولما انتشر هذا الكتاب اخذ له دوراً لم يقل عن دور الكتاب الاول من الاهمية واجمع الناس على مخالفته الا نفرا من حاشية المؤلف واصحابه وعددهم قليل يعد على الاصابع .

ومن الاسف ان الجمعيـة المصرية بفضل مركزها فى العالم تسرب اليها قوم يسعون فى قلب هيئتها الحاضرة وتغيير ما درجت عليه من نظام دينها ومن هؤلاء من كتب فى هذا الموضوع مع انه لاحق له فى الكتابة فيه اصلاً حيث لا ناقة له فيه ولا جمل ومن اولئك المتصدرين من قال : ان الله اتاح للشرق اثنين بهما اصلاحه احدهما اصلح النصف الاول من الامة وهو المرحوم جمـال الدين الافغانى فانه اصلح الرجال والثانى هو صاحب المرأة الجديدة فان به صلاح القسم الثانى . ! !

على اننا لو تدبرنا حالنا ونظرنا الى القسم الاول الذى تمّ اصلاحه على

رأي حضرة المناظر ان كان هناك اصلاح وقسنا عليه ذلك الاصلاح الموعود به القسم الثانى لقلنا على الدنيا كلها السلام : فآداب الرجال فى شرقنا معلومة ومبلغ علمهم مشهور . فقد فشا الفجور وعم الفساد واصبحت البيوت دور فسق وحانات خمور وسأت الاخلاق واختلت طرق التربية . واصبح التبذير والاستدانة وعدم النجاح فى العلوم والدروس من الامور المعتادة عند الشبان فلا يحجر عليهم بسببها بشهادة اعظم محكمة فى القطر كما حكم بهحضرة مصلح القسم الثانى من الامة [١] :

فاذا كان نصيب القسم الثانى ما أصاب القسم الاول من الاصلاح فلقد علمنا منتهى ذلك الاصلاح وانه لخليق بنا واليق ان نبقى على ما نحن فيه من ان نساق الى حتفنا بظلفنا باسم الشفقة والمرحمة وحب الاصلاح وتحت ستار الدين . على اننا نجل المرحوم جمال الدين من أنه كان يرمى الى ما أصبحنا فيه وحاشاه لو كان حياً ان يسمى ذلك اصلاحاً او ان يرضى بأن يلصق به اسمه

ولقد لقب آخر من اولئك المتصدرين حضرة صاحب المرأة الجديدة بانه « لوثير الشرق » [٢] ولو كان عند هذا الكاتب اطلاع على ان فى رجال

(١) انظر حكم محكمة استئناف مصر الاهلية الصادر فى ٢٧ نوفمبر سنة ١٩٠٠ برئاسة حضرة قاسم امين بك فى قضية الطعن المرفوع من ابراهيم بك حمدى نجل المرحوم احمد بك حمدى مفتش عموم مصلحة الصحة سابقاً فى قرار مجلس مصر الحسبى القاضى بالحجر عليه

(٢) لوثير الذى أسس مذهب البروتستانت وخلص الدين المسيحي حسب اعتقاد هذا الفريق من بعض خرافات وبدع الخ . . . .

الدين الاسلامى من قام بدفع الخرافات الدخيلة فيه كالامام ابن تيمية والغزالى وغيرهما لانتحل له اسم احدهم .

على انه لو كان كل من جاهر أولاً من بين المصريين بشقاء المرأة فى الشرق وطالب بتحريرها يستحق هذا اللقب لوجد من هو احق به وأجدر من صاحب المرأة الجديدة : وهو حضرة مرقص افندى فهمى المحامى فانه وضع فى سنة ١٨٩٤ — أي فى الوقت الذى كان حضرة صاحب المرأة الجديدة يرى فيه رأينا ويدافع عن آداب المرأة المسلمة وحجابها وعن المدنية الاسلامية — كتاباً فى قالب رواية اسمه « المرأة فى الشرق » ذكر فيه كل ما جاء بكتابى « تحرير المرأة » و « المرأة الجديدة . » بل زاد عليه انه طلب — فوق رفع الحجاب والاختلاط وحجر الزواج باكثر من واحدة وجعل حق الطلاق من حقوق الزوجين وحصر اسبابه ووجوب طلبه من سلطة القضاء التى يجب ان تكون واحدة بالنسبة لجميع الوطنيين : — الترخيص بحل الزواج بين المسلمين والاقباط فيجوز لقبطى ان يتزوج مسلمة كما اباح الشرع عكسه حتى يمتنع التعصب وينتفى النفور المستحكم بين الجهتين[1] وتتم المدنية والحضارة (حسب زعمه)

فاذا كان من يطالب بالتحرير ورفع الحجاب والاختلاط فقط يلقب بلوثير الشرق فأحر بمن يطلب كل ذلك وزيادة عليه مزج الدمين المسلم والقبطى ان يكون « لوثير » مرتين أو اكثر ! !

وانه ان كان ذلك الكتاب لم يؤثر التأثير الذى اثره كتابا « تحرير المرأة »

(١) صحيفة ١٦٦ وما يليها من رواية المرأة فى الشرق

و « المرأة الجديدة » ولم تقم من أجله الدنيا وتقعد ولم يهتم به الكتاب فما ذلك الا لزيادة حرية ضمير حضرة مؤلفه وحرية افكاره فانه بسط فكره وما يراه صالحاً ولم يدّع انه يدعو اليه باسم الدين بل قال : ان ظروف الاحوال تقضى به وان له من تهاون الحكومة بأمور الدين اقوى مساعد على طلب ذلك مع اعترافه بمخالفته للشرع [1]

وعليه فلو لم يتعكز محرر المرأة الثانى على عصا الدين ويقل انه يأمر بما يطلب ما اهتم احد بقوله ولا عمل على تفنيد مذهبه .

هذا وقد قام من بين القوم متحير يتساءل عما اذا كان الحق دائماً مع الاغلبية وسرد وقائع تفيد ان التاريخ اثبت بعد طويل زمن ان الحق كان فيها مع الاقلية وحاول ان يقيس على هذه الوقائع مسألة الخلاف بين الفريقين فى هذا الموضوع . على انه لو انصف لسلم ان لا قياس فى ذلك اذ ان الوقائع الخلافية التى قد يكون للاقلية الحق فيها هى بعض مسائل علمية أو اكتشافية قد يغيب عن فهم الاغلبية معرفتها وهذا أمر جائز وواقع ولكن فى مسألتنا هذه لا محل للشك والحيرة : فالامر دينى محض والقرآن هو هو . والسنة هى هى . وآثار السلف الصالح لم تنقض وكلها مؤيدة للحجاب ومقررة له ومثبتة لاستعماله . وان صح ان بعض الائمة قال بجواز كشف الوجه فقد علق ذلك الجواز على الضرورة وأمن الفتنة بشروط وقيود مخصوصة وعليه يكون الحجاب واجباً بالاجماع فى وقتنا هذا .

فما دام كل ذلك مقررا لا يصح ان نقول انه سيأتى يوم يظهر فيه

---

(١) صحيفة ١٧٠ وما يليها من رواية المرأة الشرقية

أن الحق للاقلية فى هذا الموضوع اللهم الا اذا بدل القرآن بقرآن غيره وثبت ان الاحاديث الواردة فى هذا الباب موضوعة وان ما وصل الينا بطريق التواتر من اخبار السلف والصحابة مكذوب حينذاك يكون مجال للحيرة وللقول بجواز تصويب رأى الاقلية . على انه لو حصل هذا لا قدر الله لوجب علينا لاسباب لا تخفى على البصير ابقاء الحجاب للنساء والتمسك به لا من طريق الدين بل لانه اصل من اصول الادب ولانه اعظم حصن للعفة .

على ان الحق قد اصبح ساطعاً وظهر ظهور الشمس فى رابعة النهار بعد ان قطعت جهيزة قول كل خطيب وقال المرحوم قاضى قضاة مصر السابق كلمته فى هذا الموضوع وهو الذى بكلمة منه فصل الخطاب فى جميع تصرفاتنا الدينية واحوالنا الشخصية ولا يخفى ان المسألة من متعلقات تلك الاحوال الشخصية التى هى من اوجب ما يلزمه المحافظة عليه ومن اهم اختصاصاته .

وقد جاءت رسالة « الاحتجاب » التى ألفها رحمه الله حجة دامغة على ان الدين الاسلامى يأمر بالحجاب وينهى عن اطلاق حرية النساء ومزاحمتهن للرجال فى مجامع الحياة .

وهذا فضيلة مفتى الديار المصرية حالا يرى ان المرأة اقل من الرجل ادراكاً وحساً وان لها عملاً مخصوصاً لا يصح ان تتعداه قال[1] :

« خلق الله النساء لتدبير امر المنزل وهو دائرة محدودة يقوم عليهن فيها ازواجهن فخلق لهن من العقول بقدر ما يحتجن اليه فى هذا وجاء

(١) صحيفة ٦٥ من نهج البلاغة جزء اول حاشية (١)

الشرع مطابقاً للفطرة فكن فى احكامه غير لاحقات الرجال لا فى العبادة ولا الشهادة ولا الميراث »

وهذا حضرة صاحب مجلة المنار — وهو الرجل الذى عرف الناس جميعهم مكانه من الدين كما قال حضرة صاحب المرأة الجديدة : — قد قال عند ظهور تحرير المراة من مقالة عنوانها «كلمة فى الحجاب »ما يأتى: [١] « والذى » « نراه نحن فى المسألة ان التربية والتعليم لا يتوقفانه عن كشف الوجه » « ولكنهما يتوقفان فى كمالهما على مكالمة الرجال ومبادلتهن الافكار » « والاقوال وربما كان فى الاقارب غنية عن الاجانب »

وقال ايضاً ضمن هذه المقالة [٢] : «العلماء متفقون على وجوب الستر — » « لاستحبابه — عند خوف الفتنة ولا يمكن ان يتغير هذا الحكم الا » « اذا زال سببه وأمنت الفتنة . اما الضرورات فانها تقدر بقدرها » « وتجري على قاعدة : (يرتكب اخف الضررين) وهى من القواعد » « الشرعية العقلية التى لا تختلف باختلاف الزمان والمكان »

وقال عند ظهور المرأة الجديدة : [٣]

« يقول هؤلاء المنتقدون ان هذا الكتاب وسلفه ما ألفا الا لاقناع » « المسلمين بأن يعطوا نساءهم الحرية المطلقة بمعاشرة من يردن من الرجال » « وأن يكنّ كنساء الافرنج مكشوفات الوجوه والرؤوس يختلفن الى »

(١) مجلة المنار العدد الصادر فى ٢٦ أغسطس سنة ١٨٩٩ صحيفة ٣٧١

(٢) مجلة المنار العدد الصادر فى ٢٦ أغسطس سنة ١٨٩٩ صحيفة ٣٧٨ حاشية (١)

(٣) مجلة المنار العدد الصادر فى ٢٠ فبراير سنة ١٩٠١ صحيفة ٣٠

« الملاهى والمراقص ويذهبن فى التهتك كل مذهب . هذا ما يلهج به »
الجماهير يتلقفه بعضهم عن بعض . . . »

« ان كان الكتابان ألفا لهاتين الغايتين او اشتملا عليهما فنحن وجميع »
« المسلمين بل وجميع العقلاء نقول انهما باطلان جديران بالمقت والرفض »
« لان ذلك يجرُّ الى فتنة فى الارض وفساد كبير ويكون به خيار نسائنا فى »
« التهتك والتبذل ابعد غوراً من شر نساء الافرنج لان لهؤلاء من التربية »
« والعلم الذى لم يصلن اليه الا بعد عدة قرون ماليس لنا شىء منه ونحن »
« لم نبتدىء بالتربية ابتداءً . ولكن هل الكتابان كما يقولون ؟ [١] الجواب »
« ماقلناه فى تقريظ كتاب (تحرير المرأة) فى العام الماضى من أن المؤلف »
« غالى فى بيان مضار التشديد والمبالغة فى الحجاب وبالغ جداً فى جعل »
« نجاح المسلمين متوقفاً على ازالة الحجاب المعهود فى الاذهان والموجود »

(١) ما علينا الا ان نورد بعض شذرات من المرأة الجديدة ليعلم القراء ان كان الكتابان كما يقول المنتقدون ام لا :

جاء فى صحيفة ١٥٠ : « نقول هذا مع اطلاعنا على ما كتب فى شأن المرأة الغربية ومع علمنا بما هي عليه . ولا نرى مانعاً من السير فى تلك الطريق التى سبقتنا اليها الامم الغربية . لاننا نشاهد ان الغربيين يظهر تقدمهم فى المدنية يوماً فيوماً ونرى ان البلاد التى يتمتع فيها النساء بحريتهن وبجميع حقوقهن هى التي تسير كالدليل أمام الامم الاخرى وتهديها فى سبيل الكمال فى المدنية . . . . »

وجاء فى صحيفة ١٥٤ : « وبالجملة فاننا لا نهاب ان نقول بوجوب منح نسائنا حقوقهن فى حرية الفكر والعمل بعد تقوية عقولهن بالتربية حتى لو كان من المحقق ان يمررن فى جميع الادوار التى قطعتها وتقطعها النساء الغربيات . . . . . »

« اثره فى العيان بحيث ان هـذه المغالاة والمبالغـة المصوغة فى قالب »
« الاسلوب الكتابى المؤثر تذهب بوجدان القارئ الى وجوب تمزيق »
« هذا الحجاب . . . . . »

« وقد رأينا من أفاضل المعتدلين فى الانكار على كتاب المرأة »
« الجديدة من قال ان هذا هو الضرر الحقيق من قراءة الكتاب وقال : »
« انى كنت أقرأه فأشعر بوجدانى قد تغير واعتقادى بوجوب بقاء »
« الحجاب قد تزلزل واضطرب فاترك القراءة ليثوب الىّ وجدانى الاول »

وجاء في صحيفة ١٨٥ : « وليس من دواء الا اننا نربى اولادنا على ان يتعرفوا شؤون المدنية الغربيـة ويقفوا على اصولها وفروعها وآثارها . اذا اتى هذا الحين ونرجو أن لا يكون بعيداً انجلت الحقيقة أمام اعيننا ساطعة سطوع الشمس وعرفنا قيمة التمدن الغربى . . . . »

« من هذا يتبين ان نتيجة التمدن هي سوق الانسانية في طريق واحدة . . . . هـذا هو الذي جعلنا نضرب الامثال بالاوربيين ونشير بتقليدهم وحملنا على ان نستلفت الانظار الى المرأة الاوربية . »

وجاء في صحيفة ١٩٠ : « ومما اخذناه على الغربيين في آدابهم تكشف نسائهم واختلاطهن بالرجال وتمتعهن بالحرية التامة واحترام الرجال لهن . وكثير منا يعـدّ هذه العادات اسباباً لفشو الفساد فيهـم ويعتقدون ان جميع نسائهم لا يعرفن العفة وكل الرجال مجردون عن الغيرة . ولمـا كانت غاية التمدن هي تمدن النفس وتطهيرها من الرذائل والابتعاد بها عن المنكرات والخبائث ونشر الفضيلة بين الناس كان لنا الحق في احتقار المدنية الاوربية ان صح ما اعتقدناه فيها . ولكن هل هذا الاعتقاد صحيح ؟ »

. . . . . .

« لهذا لا نتردد في ان نصرح بان القول باننا ارقى من الغربيين في الآداب هو من قبيل ما تنشده الامهات من الغناء لتنويم الاطفال . . . . »

« ويسكن اعتقادى فيه ثم أعود اليها . فقلت له : ربما تكون هذه المغالاة »
« مقصودة للمؤلف لان الداعى الى شيء ينبغى له لاجل ارجاع من »
« يدعوهم الى الاعتدال الذى هو الحق ان يقف على الطرف المقابل لما »
« هم فيه فان كانوا فى جانب التفريط يقف فى جانب الافراط لينتهي »
« التجاذب بينه وبينهم الى الوسط . ولو وقف فى الوسط وجذبهم »
« وجذبوه يخرج كل منهما عنه أو يبقى فى محله ولا فائدة فى ذلك ومن هنا »
« يقول الناس : لابد من شيء من الباطل لاجل الوصول الى الحق..... »
« ثم ان من فوائد هذه المبالغة أن أثارت افكار الناس للبحث وكل »
« الباحثين أو جلهم موافق له على سوء حالة المرأة المصرية أو المسلمة »
« ووجوب تربيتها وتعليمها وقد كان المانع الاكبر منهما عند الجماهير هو »
« الحجاب ولكنهم يخالفونه فى توقف التربية والتعليم فى كمالهما على تخفيف »
« الحجاب أو منعه فاذا انتهت هذه المناقشات بانصراف همة الامة الى »
« تربية وتعليم مع بقاء الحجاب نتقدم الى الامام . . . . . »

هذا ماقاله حضرة صاحب المنار وهو أحسن اعتذار يقدم من صديق

وجاء في صحيفة ٢٠٦ : « وبالجملة نقول ان التمدن الاوربى ليس خيراً محضاً فان الخير المحض ليس موجوداً في عالمنا هذا لانه عالم النقص . وانما هو الخير الذي امكن للانسان ان يصل اليه الآن فقد أتم به شيئاً مما كان ينقصه وارتقى به درجة من الكمال . ومهما كانت هذه النتيجة صغيرة في جانب ما ينتظر للنفس الانسانية من الكمال فانه ينبغى لنا أن نقنع بها وعلى المستقبل أن يصل باهله الى ما هو أعلى منها . »

وجاء في صحيفة ٢٠٩ : « الكل متفقون على ان حجاب النساء هو سبب انحطاط الشرق وان عدم الحجاب هو السر في تقدم الغرب . . . . » الخ الخ الخ .

لصديقه بما ربما لم يكن له فى الحسبان أو يخطر له على بال ! .

فماداعية التحير والاختباط اذن والمسألة بسيطة قد حلها أئمة الدين والمغترفون من بحرهم — حتى الذين يقدس رأيهم حضرة محرر المرأة — اعظم حل وأسهله .

ونحن لانقصد بهذا الكلام أن نلزم حضرة محرر المرأة الحجة بكلام امام أو قول حكيم مسلم او بكتاب الله وسنة نبيه فانا قلنا ذلك كله فى كتابنا الاول ونظن فيه الكفاية فليراجعه من يريد واصبح لا يليق بنا ولا بغيرنا البحث فى هذا الموضوع من الوجهة الدينية بعد ان قال قاضى قضاتنا كلمته فيه واظهر الحكم الشرعى فى ذلك .

وانما نرد على حضرة مؤلف « تحرير المرأة » و « المرأة الجديدة » من الوجهة الاجتماعية والعمرانية بكلام فاضل مصرى هب من بين المصريين يدافع عن الدين وآدابه وعن المرأة وحجابها ويفند مزاعم عدو اتى ديارنا فقال فى الاسلام والمرأة المسلمة وحجابها ما قال مما لم يخرج عما جاء فى كتابى « تحرير المرأة » و « المرأة الجديدة » فاشرأبت الى ذلك المصرى الاعناق وشخصت له الابصار واعجبت به وبفضله وغيرته . ومدحته الجرائد وقرظت عمله الكتاب واشتهر اشتهار النار على علم .

ولو سأل سائل من هو ذلك الفاضل المصرى الذى عمل كل هذا العمل ودافع كل هذا الدفاع اجبناه انه هو نفس حضرة **قاسم امين بك** صاحب كتابى « تحرير المرأة » و « المرأة الجديدة » فهو هو الذى دافع عن الحجاب وقال انه دينى وأصل من اصول الادب وانه اعظم حصن للعفة .

وهو هو الذى قال بضعف المرأة عن الرجل وان الرجل رئيسها وسيدها . وهو هو الذى قال انها حرة متمتعة بكل حقوقها وانه لا ينتقصها شيء من التحرير . وهو هو الذى قال ان لها وظيفة مخصوصة تنزهى عنه عنبر بيتها . وهوهو الذى غضب وثار عند ما انكر خصمه اذ ذاك — وهوالدوق داركور الفرنساوى — ما كان للاسلام من المدنية وابرق وارعد حينما رمى ذلك الخصم الدين الاسلامي بما رمى . ثم هو هو بعينه الذى جاء الآن فى كتابيه الاخيرين « تحرير المرأة » و « المرأة الجديدة » يردد ماقال ذلك الخصم الذى كان يسخر هو من قوله ويضرب به عرض الحائط حتى اصبح يخيل للقارئ أن « تحرير المرأة و « المرأة الجديدة » صدى كتاب الدوق داركور أو تعريبه وأن مؤلفهما أصبح هو ذلك الدوق والمعارضين للكتابين هم ذلك المعارض الذى كان يعارض الدوق فى سنة ١٨٩٤ ! ! فتأمل !

فاذا كانت الحالة هكذا فما باله ارغد وازبد وصاح بالويل والثبور وعظائم الامور على كل من خالفه مع اننا معذورون فيما كتبنا لاننا قلنا ما قلناه ولم نختبر القوم كما اختبرهم حضرته ولم نجرب عاداتهم كما جربها اذ هو الذى قال فى رده على الدوق داركور[1] انه لم يقل ما قال الا بعد ان درس اخلاق القوم وعاداتهم وبعد ان عاشرهم زيادة عن عشرة اعوام تقضت بين ظهرانيهم فى بلادهم وفى بلاده وحضر حفلاتهم وشاهد مجتمعاتهم ولذلك هو أدرى بهم من غيره وأعلم الناس بأحوالهم ! .

فلا نلام اذاً إن نحن رددنا فى سنة ١٩٠٠ وسنة ١٩٠١ صدى قوله

(١) صحيفة ١٢٠ من الرد على الدوق داركور

فى سنة ١٨٩٤ لانه لم يشر فى الكتابين الحديثين الى انه كان فى رأيه الاول مخطئاً خصوصاً ونحن لم نبلغ شأوه فى الفضل والعلم والتفقه والممارسة والتجارب كما يعلم ذلك من نفسه .ولماذا يؤاخذ المعارضين له إن تأثروامن كتابيه فظهر التأثر على لهجة بعضهم وهو لم يملك نفسه حين قرأ كتاب الدوق بل إنه مرض عشرة ايام كاملة لزم الفراش فيها من هول ما قرأ وسوء ما رأى فيه(١) وقد قدمنا ان الدوق لم يقل شيئاً ازيد مما قال حضرته فليعذر خصومه وليسكن من جاشه فهم كمثله فى الاحساس والشعور :

ولسنا نحفل بما يقوله فينا انصار «المرأة الجديدة» — وان قلوا — فلقد قيل فى حضرة الرادّ على الدوق مثل ما يقال فينا الآن وأزيد . كما اننا لا نكتب طمعاً فى أن ننال تصفيق الجهال وعامة الناس وانما نكتب انتصاراً للحق وخدمة للدين .

وكذلك ان كان كتاب « المرأة الجديدة » وما قبله زادت قيمتهما لان وزيراً عظيماً قرظهما وانتصر لهما فان الدين من جانبنا والحق ظهيرنا وقد انتصر لهما من هو اعظم من وزير ألا وهو اكبر امير فى بلادنا على ما رواه بعض الجرائد(٢) . كما انتصر وينتصر لهما كثيرون من رؤساء البلاد المسلمة الاخرى(٣)

---

(١) انظر صحيفة ٢٨٨ من كتاب الرد على الدوق داركور

(٢) انظر ما جاء بعدد ٢٢ ابريل سنة ١٩٠١ من جريدة اللواء الغراء تحت عنوان « رأى الجناب العالى فى الحجاب »

(٣) جاء في جريدة اللواء الغراء ضمن جملة في محلياتها في عددها الصادر في ٩ فبراير سنة ١٩٠١ ما يأتى :

فليقل فينا محررو المرأة ما شاؤا فالحق يعلو والنور لا تحجبه الغيوم وسحائب الصيف خصوصاً واننا لم نأت فى هذه المرة بشىء من عندنا فنرمى بالتحامل أو بمثل ما رمينا به فى الدفعة السالفة بل اننا عمدنا الى الرد بنفس أقوال المردود عليه التي نعربها للقراء حرفياً ليكون الكلام منه واليه ولتكون الحجة أشد افحاماً : : فنقول :

١

قلنا ان المرأة أقل من الرجل ادراكاً وحساً وان الرجل راعيها ورئيسها له عليها القيامة والسلطة وحق التأديب وان لها وظيفة مخصوصة يجب ان لا تتعداها والا حصل الخلط والتشويش فى الاعمال وانها متمتعة بحقوق وامتيازات لم تنلها زميلاتها الاوربيات وانها يجب ان تتعلم تعلما مخصوصاً

هذا وقد انتشر خبر كتاب « تحرير المرأة » في جهات الهند واهتم الانكليز ببث قضاياه واذاعة مسائله اهتماماً عظيماً لما وراء العمل به من فائدة لهم وعلم به سلطان ملديقي وبلغه في هذه الايام خبر كتاب « المرأة الجديدة » وسئل عن رأيه في مغزاه فقال :

« اما تعليم النساء المسلمات فقد اصبح من المسائل الحيوية للاسلام والمسلمين »
« بل للشرق والشرقيين ولكنه لو مال عن طريق الشريعة الغراء الى خطة مدنية »
« الغرب الغبراء كان معولا لهدم اركان الاسلام وفأساً لفتح القبور لابنائه ودسهم »
« فيها وهم احياء . أما رفع الحجاب فلا ارضاه لنسائى وبلادى . واما اعطاء المرأة »
« حرية طلاق زوجها فدعوة لا تصدر من معترف بقول الله فى كتابه : الرجال »
« قوّامون على النساء . فنسأل الله السلامة . » اه

محدوداً لا يزيد عما يلزمها لترتيب بيتها وتأدية وظيفتها فيه ولتربية اولادها واستشهدنا بما جاء فى الكتب المنزلة من توراة وانجيل وقرآن شريف وبأقوال علماء العمران والتمدن الحديث فى اوربا وغيرها وعلماء المسلمين الاقدمين والعصريين فعارض حضرته ذلك كله فى كتابيه « تحرير المرأة » و « المرأة الجديدة » وقال بوجوب المساواة بين من لم يسوِّ الله بينهما ! ومن أدرى بقيمة افراد الخليقة من خالقها وصانعها وبارىء نسمتها !!

على ان حضرته هو الذى قال فى رده على الدوق داركور ما يأتى بالحرف الواحد — وما احسن ما قال — من ضمن كلامه على النساء فى الفصل الذى خصصه لهن فى كتابه المذكور[1] :

. . . . . .

. . . . . .

« أعترف بأنى عند ماشرعت فى قراءة الفصل الذى خصصه الدوق »
« داركور للكلام على نسائنا ظننت بكل بساطة وسذاجة انه سيذكرهن »
« بكل خير كما هى عادة الذوق الفرنساوى عند الكلام عليهن او على »
« الاقل لا يقول عنهن الا كل حقيقة . »

« ثم تبين لى انى اخطأت فى الفكر إذ صادفت فى هذا الفصل تلك »
« الاغلاط والمبالغات التى أتى بها فى باقى فصول كتابه ولكنى لا ألومه »
« على عدم معرفته حقيقة حالة نسائنا لان ذلك من الامور التى »
« يكون فيها أقل وقوفاً على حقائقها ولا يمكن غير مصرى ان يعرفها »

---

(١) انظر صحيفة ١٠٠ وما يتبعها من كتاب الرد على الدوق داركور

« تماماً ولذلك اتشرف بأن اوضحها للقراء فأقول :

هنا تكلم على المرأة من حيث تركيبها البدنى وطبيعتها ومن حيث انها مثال للزوجات زاهدة فى الحب لا تدرى ما الهوى ثم قال :

« وانه من الخطأ المحض ان يقال ان المرأة فى مصر محبوسة فى »
« المنزل فكل النساء فيها يخرجن فى كل ساعة ليلا او نهاراً يتفسحن »
« منفردات او جماعات ويتزاورن دواماً ويدخلن حوانيت الباعة لشراء »
« ما يلزمهن ويمشين فى الاسواق ويقصدن اماكن النزهة وفى بعض »
« الاحيان يسافرن وحدهن : فأين هذه الحالة والصورة الشنيعة التى »
« يبرز فيها الدوق داركور المرأة المصرية حيث قال : لا يمكن أن »
« يجد الناس طريقة اشنع ولا انظع لتعذيب المجرمين عندنا من الحكم »
« عليهم بأن يعيشوا عيشة النساء المصريات . : : ! [1] »

« وبالجملة فان كل مانفعله نحن معشر الرجال يمكن نساؤنا أن يفعلنه »
« وهن فى الواقع يفعلنه وكل ما هو جائز لنا عمله جائز لهن كما ان كل »
« ما هو محرم علينا محرم عليهن . فمن ذلك انه محظور على الرجال »
« الاختلاط بالنساء فيظهر لى ان من الطبيعى كذلك ان النساء يحظر »
« عليهن الاختلاط بالرجال . وانى اعيد هنا لهذه المناسبة ان حالة المرأة »
« مساوية فى ذلك لحالة الرجل ومع ذلك لم يقم من الاوربيين واحد »
« اخذته الشفقة على الرجل المصرى وهزته الرأفة فرثى لحاله كما يرثى »
« لحال المرأة إن كانت الحالة تدعو الى الشفقة والمرحمة . . . ! »

(١) اين ما يقوله هنا حضرته مما قاله فى هذا الخصوص بالكتابين الجديدين.

« فلو كتب الانسان ان الرجال فى الشرق اسرى نسائهم وانهن »
« يحبسنهم فى البيوت واذا خرجن لزيارة صاحباتهن لا يدعنهم يذهبون »
« معهن وأن الرجال مبعدون عن جميع مجامع النساء ما كان ذلك أبعد عن »
« الحقيقة مما كتبوه لغاية الآن . »

« ولست ادرى ماذا يصيب الاوربيين حتى يقعوا فى مثل هذا »
« الخطأ الفاضح فى غالب الاحيان . لا شك ان ذلك صادر عن عمى عن »
« الحقيقة وجهل بها منهم ان اردت ان لا ارميهم فى ذلك بسوء القصد . »
« ولعمرى كيف تصل بهم العماية عن الحق الى هذا الحد وبين ظهرانينا »
« الالوف المؤلفة منهم يعيشون بيننا ويختلطون بنا ويجيء بلادنا عدد »
« عظيم من السياح فى كل سنة وكلهم يرون نساءنا فى الطرقات راجلات »
« وراكبات ظهور وفى عربات ومع ذلك كله ترى من بينهم من يقوم »
« ويقول ان النساء محبوسات مستعبدات ! ! »

« ومن يطلع على مؤلفات هؤلاء الكتاب وخصوصاً على كتاب »
« الدوق داركور يخيل له ان نساءنا لا يخرجن الا ومعهن خصى على ان »
« عادة اتخاذ الخصيان التي دخلت بلاد الشرق من دولة الرومان قد »
« كاد يزول أثرها وانى أؤكد انه لا يوجد فى كل مصر خمسون »
« عائلة تصطنع الخصيان على الاكثر لمجرد التباهي بهم والمحافظة على »
« عادة قديمة من عادات الزخرف لا لحراسة النساء كما أن كثيراً منهم »
« يبقونهم من باب الشفقة والمرحمة وحفظاً على خادم ابلى فى خدمة »
« سيده ويستعملونهم فيما يستعملون فيه باقي الخدام . »

« ولقد قابلت مرة خصياً صار حوذياً (عربجياً) لكساد سوق »
« تجارته فعرفته من سيماه ومن هيئته وصوته وسألته لماذا ترك وظيفته »
« التى كان خصص لها فتنهد وقال : لم يبق نساء ياسيدى . ولا شك انه »
« يعنى بذلك ان نساء اليوم يسرن كالرجال :
« هذا وانه من الخطأ أيضاً ان يقال إن النساء المسلمات أشرن »
« فساد الاخلاق والفجور . على انه لو كان القصد من هذا القول ان »
« نساءنا قد تسمع او تتلفظ بعض الفاظ غير لائقة بدون ان تصيح »
« وتظهر علائم الاشمئزاز والاضطراب لسلمنا وقلنا ربما كان ذلك صحيحاً »
« وان هذا نتيجة سوء تربية او عادة سيئة . »
« وانى لأعلم ان النساء الاوربيات يعرفن ان يتظاهرن »
« بالاستحياء والخجل متى اردن وهن يردنه فى الغالب لانه مما يزيدهن »
« حسناً . ولكن من غير المعقول ان نحكم على حالة آداب امة ببعض »
« ألاعيب قره قوزية غير لائقة فان من العادات الشرقية ان الرجال »
« والنساء يسمون كل شيء باسمه ولا يستدل من ذلك اننا احط من »
« الاوربيين الذين يقولون كل مانقوله ولكن ببعض مواربة ومداراة ! ! »
« وفى الحقيقة لو قارنا بين الحالة التى اقرت عليها المرأة المسلمة والحاله »
« التي عليها المرأة الاوربية لما وجدنا هذه تمتاز على تلك بشيء فان المرأة »
« فى الشرق وان كان لاعمل ولا تأثير لها فى الخارج ووظيفتها تنتهى عند »
« عتبة بيتها فان لها فيه كل سيطرة وكل سلطة مطلقة . »
« نعم ليس عندنا من امثال هؤلاء النساء المشتغلات بالدسائس »

« والسياسة والمدعيات العلوم والمعارف . ولكن هل فى ذلك ضرر ؟ اقول »
« لا . لانى حتى بدون ان اقول بضعف المرأة عن الرجل معنوياً كما »
« ذهب اليه كثير من الفلاسفة الاوروبيين كسبنسر ولومبروزو »
« وبدون ان اتطرف تطرف شامفور الذي يقول ان المرأة ليست »
« مستكملة تركيب المخ مثل الرجل . . . لست ادرى ماذا تستفيده النساء »
« من اشتغالهن باشغال الرجال : بل بالعكس اشاهد نصب عينى مايخسرنه »
« من ذلك : فانه فضلا عما أنه ذلك يصرفهن عما وظيفتهن التى يظهر »
« أنهن خلقن لها فانه اشتغالهن باشغال الرجال لايزيد الهيئة الاجتماعية »
« نفعاً ولا يزيدهن حلاوة ولا جمالا . والحقيقة ان الامر بالعكس »
« فانه يؤثر فىّ منظر أمّ حنون على اولادها كما يلذ لى رؤية امرأة »
« تحسن ترتيب بيتها ولكنى لا اتأثر مطلقاً عند ما الاقي فى الطريق »
« امرأة تهرول وتحت ابطها كتاب وعند ما تقابلنى تضرب على كتفى »
« وتحيينى بقولها : كيف حالك يا عزيزى ! : قلت لا اتأثر ولكنى فى »
« الحقيقة احس فى نفسى بشعور وجدانى لايبعدعن شعور الاستكراه »
« النفسانى والاشمئزاز ! ! »

« وكذلك ماذا يقول الانسان فى النساء اللاتى حرفتهن الاشتغال »
« بالتحرير والسياسة هل هن نساء حقيقيات ؟ وما هى الجامعة بين نساء »
« مثلهن قرأن كل شىء ورأين كل شىء وعملن كل شىء فلا يتأثرن ولا »
« يخجلن من شىء وبين تلك الملائك اللواتى تكفى نظرة او كلمة منهن او »
« لمسة من يدهن لانهمال الدمع من عيوننا واضطراب القلب منا »

« لذة وسروراً . ؟ »

« على انى وان كرهت التبحر فى العلوم للنساء أرى لزوم تعليم »
« النساء تعليماً يناسب حالتهن . وانى لآسف على جهل النساء »
« المصريات فانه من الواجب ان تتعلم المرأة ما يلزمها لتربية اولادها على »
« مبادئ الفضيلة والادب وفهم ما يحيط بها من الاشياء بل ينبغي ان »
« تستعد للمجاوبة على تلك الاسئلة التى لانهاية لها مما اعتاد عليه الاولاد »
« وهم صغار . وانى اتمنى ان ينتشر هذا التعليم ويتناول العموم اذ بدونه »
« لا يمكننا ان نؤمل ان يكون لنا فى المستقبل ابناء مربون التربية الحقة »
« وانى من هـذه الوجهة اوافق كل الموافقة الدوق داركور واعترف »
« بانحطاط المرأة الشرقية عن المرأة الاوربيـة فى العلم ولكنه انحطاط »
« منشؤه الجهل وعدم تثقيف العقل ليس الا كما ان عدم الترقى فى العلوم »
« قد أخر الرجل المصرى عن مثله فى اوربا . فلا يصح ان يقال ان هذا »
« الانحطاط منشؤه الدين الاسلامي أو العادات المصرية فأصله عند »
« النساء كما قلت اهمال تعليمهن وهذا الاهمال لم يكن دائماً بل هو »
« طارئ يدل على ذلك وجود عدد عظيم من النساء اللاتى اشتهرن فى »
« صدر الاسلام بالشعر والانشاء وهذه الجهالة لا بد من انها تتحول »
« قريباً الى ضدها لو قسنا المستقبل على ما نشاهده الآن من النهضة »
« الحالية . ومن ذلك يتضح انى وان وافقت الدوق داركور على انحطاط »
« المرأة الحالية فى التعليم فانى اخالفه فيما يراه من ان هذا التأخر والانحطاط »
« سببهما النظام العائلى عند المسلمين . »

« هذا وقد سبق انى قلت ان لنسائنا مطلق الحرية فى كافة افعالهن »
« وأزيد الآن اننا لو نظرنا من جهة أخرى للحالة التى جعلتهن عليها »
« الشريعة الاسلامية الغراء لوجدناها احسن ما يمكن ان تطمع فيه نفس »
« امرأة فانها وهى زوجة تتمتع بكافة حقوقها المدنية ثم هي مكلفة شرعاً »
« واهل للتصرف بكامل اوجه التصرفات التى تقتضيها ادارة املاكها ولها »
« بيعها بدون ان يكون هناك ادنى احتياج لاذن من المحكمة او لتصريح »
« من الزوج . وهذه الاهلية تابعة لحريتها الشخصية وسلطة الزوج »
« عليها فى ذلك ليست الا سلطة معنوية . فالمرأة المسلمة لا تطيع إلا رائد »
« عقلها فيما تريد ان تجريه من بيع او شراء اوهبة او قبض او مقاضاة الى »
« غير ذلك . بخلاف المرأة الفرنساوية مثلاً التى لا يمكنها ان تعمل عملاً »
« ما من هذه الاعمال الا اذا رضى به سيدها والمسيطر عليها فى اعمالها »
« ورخص لها بعمله . »

« ولا خلاف فى ان المرأة الفرنساوية عند ما تتزوج تصبح انساناً »
« غير تام اذ ترجع لعهد الطفولية وتعود عليها الولاية لما تقضى به عليها »
« قوانين بلادها من عدم الكفاءة والاهلية وتضربها بنوع من الاسر »
« والاستعباد *Capitis Diminutio* وتحرمها من التصرف فى اموالها »
« وادارة املاكها بنفسها . »

« تلك هي امور لا يمكن الرجل المسلم ان يفهمها كما انى لم افهمها انا »
« ايضاً رغماً عن جميع الادلة والبراهين التى كان يسردها علينا معلمنا فى »
« مدرسة حقوق مونبلييه بفرنسا لتصويب هذا الفكر ولمحاولة إثبات »

« انحطاط درجة المرأة لهذا الحد . وانى اعترف بان كل ما أورده من »
« الادلة فى هذا الباب لم يقنعنى ولا يمكن ان يقنع الا أزواجا لهم حظ »
« فى استحسان هذه الحالة . : »

« وعلى ذلك فليس بعجيب ان يكون للنساء الاوربيات الحق فى »
« ان يزعمن ان الرجال هم الذين عملوا القوانين وانهم سنوها على مايرضيهم »
« لاعلى ما يرضيهن . ولا لزوم لان نقول اننا نتمنى نجاحاً تاماً لبعض »
« النساء اللاتى قمن بشجاعة فائقة يجاهدن فى سبيل المطالبة بحقوقهن »
« ويطلبن الخلاص من هذه الحالة التعيسة التى هن عليها والحصول على »
« جميع حقوقهن المدنية والتحرير من هذا الاستعباد والاسر . »

« وزد على ذلك انه عندنا لا يطلب من البنت كي تحصل على »
« زوج كفؤ لها إلا ان تكون متحلية بطبع حسن وبالفضيلة . فمتى »
« حصلت على ذلك وكانت خلقتها مناسبة امكنها ولو كانت فقيرة أن تجد »
« لها زوجاً من احسن الازواج بل ممن لم يكن يخطر لها على بال . »

« وقد اسلفت ان العبرة عندنا ليست بالحسب ولا بالمال ولذلك »
« ليس من النادر حصول الزواج بين رجل من اعلى الطبقات وامرأة »
« من ادناها . وليس من عاداتنا ان نسأل عن مقدار ثروة المرأة او ان »
« نساوم اباها على مقدار ما يدفعه من المهر لان الرجل عندنا هو الذى »
« يدفع المهر لتجهز به الزوجة . وهى وان بلغت ثروتها القناطير »
« المقنطرة من الذهب غير مكلفة بشيء من النفقة إذ الزوج هو »
« المفروض عليه القيام بكامل النفقات لزوجته ولاولاده وعلى ذلك لا »

« يستغرب الانسان اذا وجد لكل امرأة عندنا زوجاً بخلاف »
« الحاصل فى اوروبا حيث ان النساء الباقيات بدون زواج قد ملأن »
« البيوت . »

« ومن اعظم الاشياء التى أثرت علىّ اشد التأثير واندهشت لها لما »
« سافرت لفرنسا اول مرة مشاهدتى نساء يناهزن الخمسين من العمر »
« يدعونهن باسم «مدموازيل» لكونى لم اعهد مثل ذلك بمصر. وفى الحقيقة »
« ان عيشة مثل هؤلاء النساء لا بد ان تكون فى غاية من التعاسة »
« والنكد : فكم اجرين من الدموع وبكين حظهن ! وكم اضعن من ملاذ ! »
« وكم من حقد وحسرة فى قلوبهن البائسة ! وكم فى تلك القلوب المتحسرة »
« من اميال ملأتها ! اذا تفكر الانسان فى هذه الامور والاحوال تساءل »
« قهراً عن سبب تغاضى الرجال فى اوروبا عنهن وتفانيهم فى حب ذواتهم »
« وقال لما ذا يحملون النساء ما لا يطقنه ويتقاضونهن مهوراً لا يمكنهن »
« اداؤها ؟ ومن اين لهن المال وقد سدوا فى وجوههن جميع سبل التكسب »
« ومنعوهن من جميع المناصب والحرف والاعمال ؟ »

« فهل هذه الامور معقولة وتنطبق على مبادئ الانسانية »
« والمروءة ؟ اقول الحق : انى كلما تأملت لشريعتنا وأمعنت النظر فى »
« أصولها واطرادها ازددت حباً فيها وفيها : فهي وحدها التى امتازت عما »
« عداها من الشرائع بتنظيم الامور وتدبيرها بطرق حكيمة عادلة . وهى »
« وحدها التى انفردت بحماية الضعيف . وهى ايضاً الشريعة التى قدرت »
« ان توفق بين ما شرعت من الاحكام ومقتضيات الطبيعة ونواميسها »

« وهى الشريعة التى منعت ان يسقط الزواج الى درجة السخرية والهزء »
« وان يصبح عملاً تجارياً يضارب فيه : »

« وفى الختام ليس لى الا أن اضيف كلمة واحدة : وهى ان شريعة »
« مبنية على مثل حديث « الجنة تحت اقدام الامهات » ليست وان قالوا »
« عنها ما قالوا وشنعوا عليها شريعة وحشية ولا يمكن ان يقال عنها انها »
« تضطهد النساء وتقضى بامتهانهن واسترقاقهن . » اه

٢

قلنا ونقول ان الحجاب شرعى يأمر به الدين وانه اعظم حصن للعفة وان الله اختار لكل دين خلقاً وجعل خلق الاسلام الحياء وان النظر بريد الزنا والرؤية اصل التعلق والفتنة وان الاختلاط بين النوعين سبب الشقاء والبلاء وجالب العناء وان مثل الرجل والمرأة كمثل النار والبارود لا يلزم ان يقترب احدهما من الآخر والا احترقا وان التربية كيفما عظمت لا تقوى على صد تيار الهوى متى تهيأت اسبابه وتحكم سلطانه . وقلنا اننا تهاونا فى امور ديننا وتساهلنا فى كل شيء فحدنا عن الطريق السوي وصراط الهدى واننا لو اردنا الرجوع الى ما كنا عليه وجب علينا ان نسير كما سار اوائلنا وان نبني مثل ما بنوا وأن نعيد مجد الدين بأن نأتمر بأوامره وننتهي بنواهيه وان نربى اولادنا على فضائله ونغرس فيهم أصوله فجاء كتاب «المرأة الجديدة» منكراً مدنية الاسلام الاولى مدعياً انه لم تكن فى وقت

من الاوقات مدنية اسلامية تامة يجب الرجوع اليها[١] وان منتهى ما وصل اليه البشر من الكمال والفخار هى المدنية الغربية الحديثة فيجب العمل للوصول اليها كما يجب السير على منوالها كيفما كانت مخالفة لاصول الشرائع وأنه حتى لو كان الحجاب اصلاً من الدين أو لو صح ان المسلمين استعملوه فقد أصبح لا يليق استعماله الآن[٢] اذ لكل زمان حكم ولكل عصر دولة ورجال وانه يجب علينا ان نقلد الفرنج فى كل شىء ونتزوج مثل زواجهم ونعلم مثل تعليمهم ونربى مثل تربيتهم[٣] مع ان حضرته هو الذي قال فى الرد على الدوق داركور ما يأتى تعريبه فى الفصل الذى تكلم فيه عن الحب ودواعيه واليك ما قال :

(١) جاء فى صحيفة ١٨٠ من كتاب المرأة الجديدة ما يأتى :

« بقى علينا ان نلتفت الى التمدن الاسلامي من جهة الآداب . يعتقد اهل عصرنا ان المسلمين السابقين كانوا حائزين لجميع انواع « الكمالات الاخلاقية الصحيحة » وهو اعتقاد غير صحيح او على الاقل مبالغ فيه . . . . »

(٢) جاء فى صحيفة ١٨٣ من الكتاب المذكور : « متى تقرر ان المدنية الاسلامية القديمة هى غير ما هو راسخ فى مخيلة الكتاب الذين وصفوها بما يجبون ان تكون عليه لا بما كانت فى الحقيقة عليه وثبت انها كانت ناقصة من وجوه كثيرة فسيان عندنا بعد ذلك ان احتجاب المرأة كان من اصولها او لم يكن . وسواء صح ان النساء فى ازمان خلافة بغداد او الاندلس كن يحضرن مجالس الرجال او لم يصح فقد صح ان الحجاب هو عادة لا يليق استعمالها الآن . . . »

« ونحن لا نستغرب ان المدنية الاسلامية اخطأت في فهم طبيعة المرأة وتقدير شأنها فليس خطؤها فى ذلك اكبر من خطئها فى كثير من الامور الاخرى . . . »

(٣) انظر الحاشية (١) صحيفة ١١ و١٢ و١٣ من هذا الكتاب تجد بعض ما جاء فى هذا المعنى بكتاب المرأة الجديدة

« دواعى الغرام[1] »

« ان المرأة والرجل عند الغربيين فى اختلاط دائم مع بعضهما وتلازم »
« مستمر وذلك بالطبع داعية التعارف وسبب فى تأكيد روابط المحبة »
« والائتلاف والتعلق . »

« ولا غرابة فان اجتماع الرجال بالنساء فى مجتمع واحد مما يزيد هذا »
« المجتمع بهجة وانساً إذ أينما حلت المرأة حل كل اللطف وانجذبت القلوب »
« وتمالأت النفوس . ويجد الانسان على الدوام لذة عظيمة من وجوده فى »
« هذه المجتمعات التى فيها تكثر مغازلته للنساء فلا يبرحها الا وعنده اثر »
« منها بانشراح فى الصدر وفرح فى القلب . ولقد اختبرت كغيرى هذه »
« اللذة وهـذا الانشراح الزائد الذى يشـعر به الانسان خصوصاً متى »
« وجد فى حضرة امرأة جمعت بين محاسن الخلق ولطائف الخلق وذكاء »
« العقل . ولما كان يغلب على طبعى الحياء كنت ارتبك فى امري كلما »
« وجدت فى مثل هذه الظروف حتى انه يصح ان اقول انى لم اظفر »
« ببغيتى تماماً فى تلك المجتمعات ولكن ذلك لم يمنع قلبي من ان يكون له »
« ولع بهذه المجامع التى يتبادل فيها كل انسان دواعى الانس والسرور ! »

« ويخيل للانسان ان من العادات المقررة عند الغربيين أن من منح »
« نعمة او قسم له حظ من الحظوظ لا يصح ان يختص بما نال وحده بل »
« يجب عليه ان يشرك غيره فيه وكذلك ان الرجل المتزوج بامرأة »
« جميـلة يصير موضوع انتقاد عام ان حاول الاستئثار بها ولم يسمح »

(١) انظر من صحيفة ١٤٤ لصحيفة ١٥٤ من كتاب الرد على الدوق دار كور .

« لها بالاشتراك هى ايضاً فى مؤانسة اصحابه وخلانه : : »

« ومن المعلوم أن هؤلاء الاصحاب يمازحون امرأة صاحبهم هذه »
« ويضاحكونها ويجتهدون فى استعطافها وجذب قلبها اليهم ويواظبون على »
« استمالتها واستهوائها وزوجها يرى ذلك ولا يعبأ بما يفعلون بل يهمل »
« امرهم فان منهم من هم اصحابه من الصغر ولا شيء فى الامر الا انه مجرد »
« مزاح ومضاحكة بسيطة : : »

« وفى هذه الاثناء تراه هو ايضاً يأتى مثل هذه الامور نفسها »
« مع نساء ازواج آخرين حفظاً للتكافؤ فكل زوج يأخذ ويعطي حتى »
« لا يحرم واحد من التلذذ والتمتع ليكون السرور متبادلاً ولا نس »
« محبوك الطرفين : : »

« ولكن هل يمكن القطع بان هذه العلاقات يتبعها على الدوام »
« ارتكاب المعصية او اتيان منكر : هذا مما لا يصح الجزم به فى »
« المجموع . إذ مما لا نزاع فيه انه قد توجد بين هذه النفوس نفوس أبية »
« فاضلة تحافظ على عفتها وتحفظ قوى ارادتها ولكن كم بجانب هذه »
« النفوس الشريفة من نفوس غيرها تزل وكم من شرف يجرفه هذا »
« التيار وكم من قلوب تستهويها هذه المداعبات وتصيبها سهام تلك »
« الملاعبات ويقهرها سلطان الشهوات : : »

« ولقد صدق من قال ان المرأة ربة حسن وجمال فيلزم ان تحب »
« وتعبد ولا تكون عبادتها الا بث لواعج الحب والالتياع ولكنها ربة لا »
« كربات الاقدمين اللاتى قست قلوبهن فهى كالحجارة او اشد قسوة »

« لا يسمعن لاحد نداءً ولا يعطف قلوبهن دمع باك ولوعة شاك بل هي »
« في اغلب الاحيان رحيمة بالمحبين لا ترد استغاثة ولا ترفض دعوة داع !! »
« وغني عن البيان اننا معشر الرجال في الحقيقة خطفة قلوب وسلابة »
« ألباب — واني استميح ابناء جنسي العذر في هذا الكلام — فان الرجل »
« منا لا يترك باباً يوصله لغرضه من استهواء فؤاد من مال لها والاستحواذ »
« عليها الا طرقه وان استدعى ذلك ما استدعى من التحايل او الكذب »
« او ارتكاب الدنايا ولو لم يكن مدفوعاً الى ذلك بسلطان الشهوة وقوة »
« الغرام : وقد يستقبل الصديق صديقه في بيته احسن استقبال ويؤاكله »
« ويبالغ في اكرام مثواه ويحسن اليه فلا يكون منه الا ان يقابل هذه »
« المكارم كلها بخيانته في اعظم شيء شريف لديه ويصيبه في اخطر »
« مقاتله : يقدم الانسان على هذا العمل السافل بدون ان يفكر لحظة في »
« شر عاقبة ما هو مقدم عليه ولا مقدار ما يصيب به شرف غيره بل »
« تراه دائماً مقبلا على الامر لا يردعه عنه زاجر ولا يزعه وازع وكلما »
« اعترضه عائق ازداد اقداماً وحقة للوصول لغرضه ولاحراز اكليل »
« الفوز والنصر وبئس النصر هو حيث ان غايته اتمام امر هو كل الخسة »
« والسفالة : : »
« اذا علم ذلك فهل يتأتى تقريب الرجل من المرأة وتسهيل »
« اختلاطهما بدون المخاطرة بصفو العائلات والعبث بالآداب والاعراض ؟ »
« فجواب ديننا القويم على ذلك « ان لا » . ولذلك امرنا بالحجاب »
« بأن تكون مجامع الرجال خاصة بهم ولا يجوز ان تحضرها امرأة »

« اجنبية عنهم كما امر النساء ان يجتمعن ببعضهن وحدهن ولا يحضر »
« رجل فى مجتمعاتهن وقد قصد الدين بذلك أن يحفظ كلاً من الرجال »
« والنساء من نتيجة ضعفهما وان يسد ابواب الفتنة والمفسدة ويستأصل »
« بذلك الداء من جذوره لانه اذا قيل ان الفرصة تعلم السرقة فانها تقود »
« كذلك الى الزنا . »

« ومن المؤكد ان الحب الفجائى يكاد يكون معدوماً فى الحالة »
« الاعتيادية حيث انه فى الغالب لا يتولد التعلق والحب الا من اعتياد »
« النظر والاختلاط وكثرة المقابلات التى تجر طبعاً الى التحادث والتعارف »
« والائتلاف . وكلما زادت المقابلات وتواترت تمكنت دواعى الهيام وصار »
« الانسان عرضة للوقوع فى أشراكه وتحمل اهواله : فما الرجل والمرأة الا »
« كالكبريت والبارود كلما قربتهما من بعضهما ندر ان لا تشتعل النار ! »

« نعم انه يجمل بالانسان ازلا يسىء الظن بهذا الجنس اللطيف وهو »
« النساء وان يفكر فى انهن قادرات على قهر طبيعتهن وكبح اميالهن »
« والذود عن حوض عرضهن ولكن ليست كل الحصون التى يحاول »
« الانسان ان ينالها بصعبة المنال مادام الجهد مبذولاً وبعد كثرة المقاومة »
« وشدة الامتناع يأتى طبعاً وقت التسليم ويحين الحين وما هى الا امور »
« مرجعها الصبر والتأنى واستعمال الحيل وانتهاز الفرص وما يخيب فيه »
« رجل يدركه بسهولة رجل غيره وما العبرة الا بكيفية اختيار الوقت »
« والمناسبات ليس الا . »

لا يوئسنك من مخدرة قول تغلظه وان جرحا

عسر النساء الى مياسرة والصعب يمكن بعد ماجمحا[1]

« وزد على ذلك ان عادات بعض الطبقات عند الغربيين كأنها »
« جعلت قصداً لتسهيل هذه الحال وتقريب هذا المنال فترى اهل هذه »
« الطبقات يتفننون في ضروب التشويق والترغيب فى هذا المضمار »
« ويجدّون فى حمل الناس على المسابقة فيه كما يجد التاجر فى ترويج بضاعته ! »
« فتراهم قد سهلوا كل طريق يوصل للمراد فأنشأوا اماكن للنزهة والخلاعة »
« يخرج اليها المتحابون بحيث يستترون عن اعين الرقباء واوجدوا حمامات »
« بحر يذهب اليها أولئك المتحابون للاستحمام فتأتى المرأة بثياب تشف »
« عما تحتها تسبي الناظر وتستسلم ليد محبوبها ليعلمها السباحة وتفننوا فى »
« اقامة حفلات ومآدب تدور فيها الكؤوس فتلعب بالرؤوس وتختطف »
« النفوس وتحل عقدة اللسان وتظهر مابالفؤاد من لوعة واشجان ! وفى »
« اثنائها تتشاغل وتتغامز الارجل من تحت المائدة ! ولا تنس »
« المراقص حيث تكون المرأة فيها مكشوفة الصدر بارزة النهد عارية »
« الرقبة سافرة الوجه غير مستورة الكتفين والذراعين تعبق الارجاء »
« بروائحها العطرية فتأخذ بمجامع قلب من يرقص معها فتهيج عواطفهما »
« ولا يطيق الراقص ان لا يضم ذلك الحصر فى هياج الاخذ والرد ! لاشك »
« ان كل هذا يروق النظر ويلذ الفؤاد ويلين له الجماد ولكنه مر المذاق »
« على المتزوج المسكين ! لان الامر لا يخرج عن واحد من اثنين : اما ان »
« تكون المرأة محبوبة لدى زوجها أو غير محبوبة : فان كان يحبها فلست »

---

(١) هذان البيتان لبشار بن برد ولمناسبتهما للمقام أثبتناهما هنا .

« أفهم سبب عدم غيرته عليها لهذا الحد وعدم الاهتمام بهذا الذى يحصل »
« فان الغيرة من علامات الحب ولوازمه فترى المحب غيوراً على محبوبه »
« من كل شيء بل من لاشيء ولذا كانت حياة المحب مشوبة بالنكد والاكدار »
« وهى اشق حياة على الانسان ! »

« وان كان لا يحبها فلا اقل من ان يحب نفسه وحبه ذاته يقضى »
« عليه بالحرص والدفاع ما داما مرتبطين بالزوجية فلا يقبل أن يضحك »
« عليه غيره أو أن يكون زوجاً لامرأة تتخذه هزؤاً وألعوبة تربه »
« ضروب الخيانة والاستهزاء ألواناً واشكالا أو أن يرى نفسه غريباً فى »
« بيته وغيره الاجنبي عنه رب ذلك البيت . ! »

« تلك أمور تستفز شرف النفس وتبعث اشد الازواج مسالمة »
« واعتدالاً سواء فى الغرب أو فى الشرق على الحركة والغيرة وعدم »
« السكوت . »

« ويمكننا ان نحقق ان المبارزات وجرائم القتل التى تتأتى فى البلاد »
« الاوربية بسبب النساء لا يكون الباعث عليها فى الغالب حب الرجل »
« لزوجته بل ان عزة النفس وعدم السماح بوصمتها هما اللذان يسلحان »
« ايدى اولئك الازواج الذين كثيراً ماتكون قلوبهم ساكنة فى جهات »
« اخرى غير زوجاتهم ! »

« وبعكس العادات الغربية التى يظهر انها وضعت لتعميم اللذات »
« فى هـذا العالم — عالم النكد والشقاء — والاكثار من دواعيها »
« فيـه بنيت عاداتنا — معشر الاسـلام — على مبادئ الفضيلة »

« والعفاف ولا يخفى انهما عدوّا اللذات والرفاهية والترف فلا يمكن احداً »
« ان يجمع بين المتضادين لان الجمع بينهما محال فاختر ناهما على التمتع بهذه »
« الملذات . وها هو قد مضى على المسلمين زيادة عن الف وثلثمائة عام »
« وهم متبعون هـذا الطريق مفضلون الفضيلة على شهوة النفس فصار »
« ذلك عادة فيهم جبلية لا ينفكون عنها . »

« ومن الغريب ان الانسان قد يرى بين المسلمين من يتزندق او »
« من يعتريه ضعف فى يقينه او شك فى ايمانه بل منهم من قلد الفرنج »
« تقريباً فى كل عاداتهم ولكن لم يوجد ولن يوجد قط من بينهم من »
« يرضى بأن يكون زوجاً على حسب الطريقة الغربية والعادات الافرنكية »
« ولعلهم منتظرون لقبول ذلك أن يفشو مبدأ الاشتراكيين بين العباد »
« ويسود فى كل البلاد ويتناول الاعراض كما يتناول الاموال : »

« فاننا جميعاً نحس ونشعر بأن لنا شرعاً — وهو الدين الحنيف — »
« متكفلاً باحكام روابط الزوجية . اذ ما دام نساؤنا لا يعرفن غير »
« رجالهن ورجالنا لا يعرفون غير نسائهم فمن النادر أن لا يتفق الرجل »
« وزوجته ما دامت الاخلاق قويمة : فلا شىء يكدر صفو العائلة ولا »
« خوف على هذا الوفاق متى حصل من ان يعتريه انحلال لعدم وصول »
« المؤثرات الخارجية التى تثير الانشقاق الينا . وهذه حقيقة بديهية يجب »
« ان ينتهي بالغربيين الحال الى ان يسلموا بها كما يجب أن يعترفوا لنا »
« ايضاً بأننا حين زواجنا نقدم الى زوجاتنا قلباً اطهر ونفساً ازكى مما يقدم »
« الغربيون لنسائهم : فان الزواج عندنا هو مبدأ الحياة النوعية ومبدأ »

« التلذذ والتمتع بخلافه عندهم فهو ختام ذلك . »

« وشتان بين حالة غربيـة ترى زوجها فى صبيحة جلوتها ساكن »
« الحواس مخلداً للسكون والراحة كأنه بادية عليه علائم الرغبة عنها وحالة »
« مسلمة ترى من زوجها كل ما فيه سعادتها وهناؤها . »

« ولما كانت العادة عندنا اننا لا ندخل الحانات ولا القهاوى ولا »
« اماكن الرقص ولا الملاهي (التياترات) استعضنا عن كل هذه الملاذ »
« بوجودنا بين نسائنا واولادنا مخصصين للاستئناس بهم اوقات فراغنا . »

« ومع ذلك كله فهل جميع الازواج فى مصر مثال العفة والامانة . ؟ »

« الجواب لا . انما غاية ما أؤكده وأكرره انه ان كانت الخيانة فى »
« البلاد الاوربية هى الاصل فهي فى بلادنا الاستثناء . ولا يؤخذ من »
« ذلك أن الازواج عندنا اشد عزيمة وأقوى ارادة مما هم فى أوربا لان »
« الرجال والنساء الذين يقدرون — فى البلاد الاوربية — على الخروج »
« من معمعة هذه الحرب العوان القائمة بين شرفهم ولذتهم بدون أن »
« يصيبهم أذى هم بدون شك اعظم الناس منزلة واسماهم مكانة . ! ! » اه

٣

قلنا ونقول ان آدابنا فى الشرق كانت محفوظة واعراضنا مصونة الى ان دهمنا الاجانب بخيلهم ورجلهم واختلطنا بهم وتوجهنا الى بلادهم وجاؤا بلادنا بالتغلب اوللتجارة فادخلوا فى بلادنا من مسميات مدنيتهم الغربية ما ذهب بتلك الآداب أو كاد يذهب بها تماماً وارتقت حاجياتنا وغرتنا تلك

الظواهر الخلابة فأصبحنا كما نحن اليوم فى حالة يرثى لها العدو قبل الصديق . كل ذلك لم يكن لولا اختلاطنا بالاجانب وتقليدنا لهم فى كل مايضر لا مايفع تقليداً اعمى فصرنا لا نتقدم خطوة نحو المدنية الغربية الا تأخرنا خطوات عما كنا عليه من الفضائل . وذكرنا ان المدنية الغربية التى يترنم بذكرها بعض المتفرنجين ويظنها منتهى الكمال قاتلة للفضيلة لاهم لها الا إمتاع الحواس بملاذ دنيوية وارضاء تلك الشهوات البهيمية فعارض حضرة صاحب كتابى « تحرير المرأة » و « المرأة الجديدة » كل ذلك وقال ان منتهى ما وصل اليه الانسان من الكمال هى المدنية الغربية وان اللازم تقليد الفرنج فيها والتمسك بها ولو كان من المحقق المرور فى جميع الادوار التي قطعتها وتقطعها النساء الاوربيات حيث ان نتيجة التمدن هى سوق الانسانية فى طريق واحدة . وزاد على ذلك اننا متحاملون أوجاهلون الحقيقة . ونحن لا يسعنا بازاء هذا القول الا أن نقول لكل من قرأ كتابيه الحديثين تعالوا ايها القراء واسمعوا ماذا قال حضرة مؤلف هذين الكتابين عند مارد على الدوق داركور فى سنة ١٨٩٤ واحكموا بعد ذلك بين القولين ولا تملوا فالموضوع مهم والحالة داعية والظروف قاضية . قال : (١)

الاداب

« ان آداب كل قوم تختلف باختلاف طرق التربية وباختلاف »
« الدين والعادات بحيث لا يمكننى ان اصدق ما قالوه لى فى المدرسة »
« من وجود آداب واحدة لعموم الناس اذ يكفي الانسان ان يعير التفاتة »

(١) انظر من صحيفة ١٨٩ لغاية آخر الفصل المخصص للكلام على الآداب

« الى عالمنا هـذا الدنيوي ليتحقق انه توجد آداب واخلاق من جميع »
« الاشكال والالوان فآكل اللحوم وآكل النباتات والهوتانتوت »
« والانكليزي واليهودي والبوذى لكل منهم عادات وآداب تختلف »
« عن عادات وآداب الاخر بل ان المجتمع الواحد قد تجد بين افراده »
« اختلافاً كبيراً فى آدابهم واخلاقهم . فانك ترى مثل راڤاشول يعتبر »
« حق الملكية مثلاً سرقة واختلاساً من مجموع الهيئة الاجتماعية على أن »
« المتمول صاحب الملك يعتبره حقاً مقدساً له وهكذا : فلا غرابة اذاً »
« ان خالف المسلمون فى الآداب المسيحيين وباينوهم فى طرق »
« المعيشة وفهم واجبات الحياة . فان المسلم قبل كل شيء يعتقد ان متاع »
« الدنيا قليل وأن لاسعادة الا السعادة الابدية فى الدار الآخرة فيتعلق »
« بها قلبه ويبيت يحلم بها ويفضلها على جميع الملاذ الدنيوية التى يراها بعينه »
« وبالجملة فان المسلم لا يهتم بتلك الامور التى تستهوى الاوربى وتخلب »
« لبه كما أن تلك المآكل الشهية والمناظر البهية والملاذ الدنيوية التى لها »
« الشأن الاكبر فى حياة الغربيين ليس لها كبير سلطان على نفسه . »

« اذ المسلم كما قدمنا لا يجرى وراء تلك السعادة الدنيوية بل انه »
« يعتقد ان لاسبيل للسعادة فى هذه الدار . ولهذا تراه يحصر جميع آماله »
« فى تلك الحياة الاخرى التى يرى فيها السعادة التامة الحقة ويحتقر المال »
« كما يحتقر المناصب والرتب التى يعتبرها جميعها ظلاً زائلاً وملاذ خداعة »
« جعلت لتضل المؤمن عن الطريق السويّ والصراط المستقيم ان هو »
« اتبعها وانقاد اليها وهـذا هو السر فى ظهوره دائماً بمظهر السكون »

« والوقار والتفكير . »

« وهو يخاف ان يتقلد المناصب لما يعلمه من انه سيحاسب »
« حساباً دقيقاً على جميع اعماله فيها ويفر من الدنيا ويكرهها لانه »
« يعدُّها فتانة غدارة قد تتصيد قلبه بملاهيها ونضارتها وضروب فتنتها »
« فيقع فى اشراكها ولا يخلص من نارها . وهو لا يميل للاثراء لانه »
« يلزمه قبل كل شيء التحقق من ان طرق الكسب مشروعة شريفة كما »
« انه فى باطن الامر يحتقر هذا الذهب الغرار ولذلك تجده يصرفه بلا »
« اسف عليه . فكم من مسلم افنى ثروته فى مساعدة غيره ! ! وأىُّ دليل »
« يقام على ان لاقيمة للدينار عند المسلم اقوى من ان ننظر لحالة المسلمين »
« فى هذه الايام فنجد منهم الكثيرين يستدينون بالربا ولكنى لا اعرف »
« منهم واحداً يقبل ان يعطي بالربا . ! »

« هذا وفى اعتقادي وان صعب على غيرى تصديق ذلك ان الحاجة »
« الى النساء عند المسلمين قاصرة على قضاء الشهوة ليس الا . بحيث انهم »
« لاقبل لهم على تلك الوسائل الغرامية والامور التى تفنن فيها الاوربيون »
« وترقوا فيها الى ان جعلوها فى منزلة فن من الفنون الشهيرة بالبلاد »
« الغربية ! وبما ان الكلام قد انجرّ بى لهذا الحد أرانى مضطراً لأن »
« اذكر كل مايفكرى فى هذا الخصوص من ان المسلم الذى يبتليه الله باتيان »
« منكر لا يمكنه كيفما بلغت الحالة معه ان يتبجح تبجح غيره او ان يخلع »
« ثوب الحياء بالمرة بل تراه يحتفظ على نفسه لحد محدود حتى لايقع فى »
« مهواة السفالة والتطرف . . . »

« ولقد قال احد الشعراء المعدودين ان لكل امرىء فى قلبه »
« شيطاناً نائماً . نعم ان هذا حقيقي وحاصل خصوصاً فى اوربا اذ يركب فيها »
« من الدنايا ما تنفر عنه نفس المسلم وتتخذ شباك وحيل لا يرضاها لنفسه ! »
« لذلك كان المسلم على وجه العموم عفوفاً زاهداً واذا كتب عليه »
« الوقوع فى امر منكر لا يتعدى الطريق الطبيعى ولا يتفنن فيه . »
« اذا علم ذلك فليت شعرى كيف تسنى للدوق داركور الزعم بأن »
« الدين الاسلامى يدعو الى الشهوات البهيمية . ومن العجيب انك ترى الدوق »
« يروي عن فجور المسلمين وفسادهم وانحطاطهم الادبى شيئاً كثيراً ولكن لم »
« يقل اين رأى ذلك ! على أن الشرقى الذى يسيح مرة فى اوربا يرجع منها معجباً »
« بما رآه فيها من رواء ومناظر بهيجة ولكن هذا الاعجاب يشوبه شىء من »
« النفور مما شاهده من حالة الانحطاط الادبى الذى رآه عاماً فى تلك »
« الاصقاع على خلاف ما يقوم بذهن الغربى اذا ساح فى بلد من البلاد »
« الاسلامية فلا تراه يشكو من الشكوى الا من عدم توفر وسائل »
« السرور والملاهى . ! ! »

« وقد دلت الاحصاآت فى بلاد فرنسا ان من بين النساء اللاتى »
« يتعاطين حرفة البغاء بتصريح من الحكومة اربعين فى المائة غير بالغات »
« سن الرشد ! وان فى المواليد اكثر من الربع هم من الزنا ! وانه يقتل فى »
« كل عام نحو من ١٥٠ الف نفس وقت الوضع او اثناء الحمل ! ولا يفوتنا »
« ان تلك الاحصاآت لا تشمل الا ما وصل الى علم الحكومة من تلك الاحوال »
« والا فان العدد الحقيقى لذلك يبلغ خمسمائة الف على الاقل لما هو معلوم »

« من ان القتل هو الطريقة الوحيدة التى يلجأ اليها فى تلك البلاد فى »
« غالب الاحيان لاخفاء ثمرة ما ارتكب من الزنا حتى قال فى ذلك »
« كاتبهم الشهير چول سيمون : انه لمن المعجزات ان ينجو ولد زنا »
« من القتل . »

« أليست تلك الاعداد ناطقة بان الانحطاط فى تلك البلاد قد بلغ »
« مبلغاً عظيما ؟ أفبعد ذلك تتهموننا بأن الرق باق الى تلك الايام عندنا »
« وانتم فى بلادكم تتجرون بالبيض لابالسود اشنع تجارة ؟ وقد تكلم عن »
« ذلك غير مرة كثير من الكتاب والجرائد فى كثير من البلاد ولاأرى »
« موجباً لاطالة الكلام فى ذلك . »

« ويخيل لى ان جماعة هؤلاء المتطرفين فى الشهوات وحب اللذات »
« لم يوشكوا ان ينقرضوا بل بالعكس ارى كثيراً من الناس ليس لهم هم »
« فى تلك الحياة الا الملذات والوصول اليها بكل طريق وكثير منهم »
« يتباهون انهم رأوا كل شىء وذاقوا كل لذيذ حتى اصبحوا ولا شىء »
« يؤثر على شعورهم وهؤلاء هم جماعة قد انقطعوا لذلك وخرجوا عن »
« كل شىء فى الحياة الا عن الملذات واللهو . ويتلو هذا الفريق فريق »
« آخر أصيبوا بالصرع لافراطهم وفريق ثالث قد بلغ منهم انحطاط »
« الآداب اعظم درجة كما يوجد كثير من النساء لا يرغبن ان يكن »
« آلات انتاج بل يرغبن ان يحافظن على حسنهن وجمالهن فى المجتمعات ! »
« وانى اناقشكم الحساب فى ذلك فقد اخترعتم آلات للحرب »
« تعدمون بها آلافا من الرجال فى طرفة عين وآلات تقرب المسافات »

« وطرقاً مالية ان اكسبت مرة آلافاً من الفرنكات فى اقل من اربع »
« وعشرين ساعة فقد اضاعت امثال امثالها فى اقل من ذلك الوقت ! »
« وقد وضعتم مبادئ عالية فى ادارة الحكومات وتقرئون فى مدارسكم »
« مبادئ حكيمة على الآداب ولكن هل اصلحتم الناس وصيرتموهم »
« احسن حالاً مما كانوا عليه من قبل ؟ انى اشك ان يكون الجواب »
« منكم ايجاباً . »

« ألست محقاً ان قلت لكم ان الآداب عند الكثير من رجالكم »
« ليست فى كون النفس منطبعة على الخير وسلوك الطريق القويم بل »
« هى قاصرة على الخوف من رجال الشرطة وعقاب القانون ؟ »

« نعم قد عم الضرر وفشا فى بلاد اوربا ولا غرابة فى ذلك »
« فان المدنية قد اقتصرت الى هذه الايام على نشر انوار المعرفة »
« ونبذ مبادى الفضيلة : فقد أهملت تربية النفس وذهبت بما كان »
« يعتقد فيه من تلك الاوهام التي كانت بها تسلية النفوس وتلك »
« الاحلام التى كانت تزين الحياة وتردع النفوس عن شهواتها وتقمع »
« الاهواء عن غيها . »

« هذه المدنية الحديثة تعلم الناس ان لاشيء فى السماء وان الارض »
« هى الجنة الوحيدة ان كان هناك جنة . وان اصل الانسان قرد وان »
« الحكمة والرشد فى ان تنال النفس مبتغاها ومشتهاها : وتسمعنا بجانب »
« ذلك جعجعة الفاظ الاخاء والاحسان والواجب وبذل النفس وغير »
« ذلك من تلك الالفاظ الطنانة التى يقصد منها زخرف القول فى »

« خطاب يوجه الى سذج يراد التأثير والضحك عليهم . »

« نعم ان المسلم ليقع فى ارتباك وحيرة اذا اراد ان يلقى خطبة »
« موضوعها الآداب لان الاخلاص للغير عنده ليس من العلوم التى »
« يتلقاها عن غيره بل هو أمر غريزى عنده . وكثيراً ماعجب الغربيون »
« من السياح بتلك الصفات الفاضلة التى تميزت بها المجتمعات الاسلامية : »
« فان اباء النفس عند التركى والعربى والكرامة وسلامة القلب مما تضرب »
« به الامثال . »

« فى تلك المجتمعات الاسلامية لا تعرف النساء ما يتخذه امثالهن »
« فى المجتمعات الاخرى ولا الرجال ما يسلكه اقرانهم فى تلك المجتمعات »
« من الطرق التى بها خراب العائلات وانفصام عراها . »

« ففى المجتمعات الاسلامية يتبادل كل فرد المودة والوفاء »
« لاخيه ويحسن معاشرته والولاء لاهله وذويه وما ذلك الا عن طيب »
« فى النفس وحسن سجية فى الخلق فترى الواحد منهم مرتبطاً بالآخر »
« لالانه ينتظر منه نفعاً فى الحال أو فى المآل ولا لانه يراه غِرّا يضحك »
« عليه ولكن لانه يحبه من صميم فؤاده ولان ذلك الود متبادل بين »
« الطرفين . »

« والى لاعلم ومل ء جوانحى الاسف لان هذا الشعور والاحساس »
« آخذ فى الزوال والانقراض فما هل الاوربى فى مكانه الا وانتزع »
« ذلك منه بيد القسوة والشدة . »

« ولست انا اول من تجاسر على القول بذلك فانى قرأت كتابين »

« شهيرين على البلاد التركية اولهما كتاب عنوانه « داء الشرق » والثانى »
« تركيا الرسمية » وفى كلا الكتابين قد جاء بصريح العبارة ان المسيحيين »
« هم الذين أفسدوا المسلمين . ولا يمكن ان يرمى مؤلفا هذين الكتابين »
« بالتحيز الى الاتراك ومراعاة جانبهم . وهـذا ايضاً ما يشعر به ويقوله »
« كثير من اصدقائى الاوربيين : فانهم يحفظون على انه الذين بدروا »
« الفساد بين المسلمين هم هؤلاء الرحالون المزورون المجرمون »
« المرابون وارباب الحانات وغيرهم من امثالهم العديمى الذمة الذين »
« يرافقهم الافساد بين المستشرقين والاوربيين انفسهم . »

« فان المسلمين قد اضطروا الى الكذب والسرقة والتزوير دفاعاً »
« عن اموالهم ونفوسهم من تعديات هؤلاء وشرورهم . »

« وقدروى الدوق داركور حديثاً جرى له مع احدالقضاة يحاول »
« ان يثبت به ان الفلاح لا يرجع الا الى الكذب وشهادة الزور فى »
« الدفاع عن نفسه فى المحاكمات . نعم ان ذلك حق فى الغالب ولكن على »
« من التبعة فيه ؟ أليست على هؤلاء المزورين والمرابين من الاجانب »
« الذين تفردوا فى اسباب الزور والبهتان واستعملوا كل طريقة وتدليس »
« واحتيال فى اغتصاب اراضيهم ؟ »

« ومما يثبتنى فى هذا الاعتقاد انى رأيت رجلاً من خيرة الرجال »
« ممن شغلوا مركز القضاء فى المحاكم المختلطة مدة من الزمن يشاركنى »
« فيه ايضاً وذلك الرجل هو مؤلف كتاب « مصر واوربا » وانى اثبت »
« رأيه فى صداقة المصريين معارضة لرأى ذلك القاضى الذى يروى »

« عنه الدوق داركور . »

« فقدقال فى الصحيفة ٥٥ من الجزء الاول من كتابه هذا مانصه : »

« انه يستحيل على من عرف المصريين المسلمين — الطبقة المتمدنة »
« منهم — أن لا يتأثر بما يراه فيهم من الانطباع على الصدق ولا يمكن ان »
« يقال ان الواحد منهم يبث مافى صدره ويبوح بسره الى غيره خصوصاً »
« فى علاقته مع الاوربيين فكأنهم خلقوا لأن يكونوا محتاطين في »
« امورهم وهم محقون كل الحق فى احتياطهم هذا وتحفظهم وتفضيلهم »
« السكوت على الاندفاع فى الكلام ولكنهم لا يغشون احداً ولا »
« يكذبون سواء فى الاعمال المكلفين بها او فى غير ذلك من الامور »
« التى لا صالح لهم فيها . فان الدين عندهم وطباعهم ينهيانهم عن الكذب »
« ويحذرانهم منه . »

« ومعلوم ان محبة الصدق أسمى فى الغالب عند الطبقات العالية »
« منها عند الطبقات الاخرى . وكذلك الحال فى البلاد المصرية ولكن »
« لا يمكن ان يقال ان الفلاحين اوفقراء المصريين فى المدن اكثر كذباً أو »
« أقل صدقاً من امثالهم فى البلاد الاوربية . »

« نعم يجب ان استثنى من هذه القاعدة هؤلاء المصريين الذين قد »
« أفسدتهم معاشرة الاوربيين أوهؤلاء الاجانب المستشرقين هؤلاء الذين »
« يظهرون بمظهر الزخرف والبهاء ويسيئون معاملتهم ويظهرون لهم الازدراء »
« والاحتقار فهؤلاء المصريون يلجأون الى الكذب من غير محاذرة ولا »
« محاسبة ضمير كلما رأوا فى ذلك مخلصاً لهم من ورطة يكونون قد وقعوا »

« فيها . وكذلك الفلاحون الذين اثقلتهم معاملة هؤلاء المرابين الاجانب »
« الذين استخلصوا ما بأيديهم واستنزفوا موارد ثرواتهم وابتزوا أموالهم »
« تحت حماية الامتيازات القنصلية فانهم رجعوا عن الصدق فى »
« معاملتهم مع أولئك الاوربيين واليونانيين والغربيين المستشرقين »
« ويلجأون الى الكذب امام تلك المحاكم المختلطة التى لا ثقة لهم بها . »
« وفيما عدا ذلك يجب علينا القول ان الفلاحين فى الغالب هم »
« صادقون فى اقوالهم وفيما يشهدون به امام المحاكم : يثبت ذلك طول »
« التجربة فى هذه المحاكم فانها شاهد لهم لا عليهم . اه »
« ألم يسمع جناب الدوق داركور ان كثيراً من المسيحيين قد أثروا بادنى »
« الطرق واسفل الوسائل وآثمها ؟ اذا كان الحق كذلك فلم السكوت عنه ؟ »
« واذا كانت الاجابة سلباً فانى لاعجب كل العجب من ذلك »
« لصدوره من شخص قد زار الديار المصرية ثلاث مرات ! ! ! اه . »

. . . . . .

. . . . . .

وفى هذا القدر كفاية فلنقتصر عليه اذ كتاب الرد على الدوق داركور مشحون كله بمثل هذه الدرر والردود الحكيمة القاطعة بفساد مبادىء المدنية الغربية التي ينادى الآن بوجوب العمل بها فى البلاد الاسلامية ! !

خاتمـــة

هذا ما قاله حضرة محرر المرأة فى سنة ١٨٩٤ وقد رددنا صداه فى سنة ١٩٠٠ فحمل علينا هو وانصاره حملة منكرة ورمونا بالجهل وعدم الفهم وعدم الرغبة فى الترقى وحب البقاء على قديم العادات :

على اننا لم نقل قط بعدم تغيير عادة يقوم الدليل على بطلانها وعدم صلاحيتها كما اننا لم نقل ولن نقول ان كل عادات الفرنج باطلة او انه لا يلزم الاخذ بما يوجد نافعاً منها بل قلنا ونقول انه يجب تخير احسن العادات وأنفعها واكثرها ملاءمة لنا ولديننا ولبلادنا وما نختاره منها يجب حث الامة على الاخذ به واتباعه لا فرق فى ذلك بين ما نتخيره من عاداتنا وما نأخذه من عادات غيرنا كما يفعله كل عاقل يريد الخير لأمته وبلاده لا أن ننبذ كل عاداتنا كيفما كانت حسنة ونقبح كل ما ليس افرنكياً ونقلد الغربى فى كل شىء تقليداً اعمى قد يضر بنا اكثر مما ينفعنا .

فليست كل عادات الغرب واخلاقه تصلح للشرق فلكل وجهة ودين ولغة متباينة ولكل قوم آداب خاصة بهم كما قال حضرة الراد على الدوق داركور .

فليسع ذوو الهمم العالية والنفوس الابية ممن يرغبون فى خير البلاد والعباد ويغارون على دينهم وقوميتهم وليرشدوا الامة الى احسن طرق

صلاحها ويدلوها على انجع دواء لأدوائها ويرسموا لها كيفية تربية ابنائها وبناتها حسبما يقتضيه الدين ويأمر به الشرع ويوافق عليه الادب وتقتضيه ظروف الاحوال الحاضرة والمستقبلة .

نعم كثر حديث اهل مصر فى مسألة المرأة وحقوقها وما يجب ان تكون عليه فى الهيئة الاجتماعيـة وبحثوا في الحرية واطلاقها واهملوا امر التربية الحقيقية . ولم نسمع ان احداً من فضلائنا قام بتأسيس مدرسة لتربية البنات جعل الدين اساس التعليم فيها وسلك فى تنظيمها وترتيبها مسلك المدارس الاوربية من حيث انشاء محل للصلاة فى المدرسة وتحبيب الفضيلة الدينية الى قلوب البنات واعطائهن من العلوم والآداب ما يكفى لأن يجعلهن زوجات صالحات وأمهات مربيات ينتجن اولاداً وبنـات صالحين نافعين .

ولربما يقال لنا انه تأسست مدرسة — دار التربية — شهد لها حضرة قاسم امين بك بانها المدرسة التى يرغب فيها ويحلم بها وحث الامة على ادخال بناتها فيها لان فيها كل الخير المطلوب والبركة الموعودة بها البلاد فى كتاب «تحرير المرأة» وانها هى المتكفلة بتخريج المرأة الجديدة . نعم مثل هذا الكلام يقال ومثل هذه المدرسة أسست ولكننا نقول ان مدرسة لا يكون الدين اساس التعليم فيها ولا تتأدب تلميذاتها بآداب الاسلام لا يمكن ان تفيد فائدة مّا بلاداً اسلامية بل عدمها خير للبلاد من وجودها . لان التربية الصحيحة التى تفيد البنات والبـلاد وتعود على الابناء فى المستقبل بأجل الفوائد هى التربيـة القومية الدينية الخالية من الحشو الباطل . فلينبحث

المسلمون فى ذلك وليعملوا لدينهم ودنياهم فالتربية أصبحت كما قال سلطان مالديف من المسائل الحيوية للاسلام وللمسلمين ومن اللازم على جميع من يهمهم ارتفاع الاسلام وعزة البلاد ان لايضيعوا الاوقات فى جدال ومناقشات قد لاتفيد . قال اللورد كورزون حاكم الهند العام من خطبة انيقة ألقاها على مسمع عدد عظيم من اكابر الهند وأفاضلها عند زيارته لمدرسة عليكده الاسلامية[1] :

« ولو كنت اميراً من امراء المسلمين اوغنياً من اغنيائهم لما أضعت خمس »
« دقائق تمر عليّ لا افكر بها فى اى وسيلة افيد بها ابناء ملتى وارقى »
« بواسطتها اخوانى المسلمين فى هذه الديار . وكنت احصر مساعيّ فى »
« التعليم والتربية . اجل فى التربية والتعليم لا سواهما . »

فلنهب اذا من غفلتنا بعد أن طال نومنا وبعد ان ايقظنا القوم . وليكن اعتمادنا فى التعليم والتربية على الدين ومبادىء الشرع الشريف وليس هذا هو رأينا وحدنا بل رأي العقلاء من الامم الاخرى . قال اللورد كورزون فى خطبته سالفة الذكر :

« فانتم تقولون انه لا امل لكم فى اعادة شيء من ماضى مجدكم »
« وعزكم الا بضم العلوم العصرية الى علومكم . حقاً لقد اصبتم كبد »
« الحقيقة : تمسكوا بدينكم الذى اجتمعت فيه اصول الرفعة والشرف »
« ومنابع الحقيقة واجعلوا ذلك أساساً لتربيتكم وتعليمكم لان التربية بغير »
« اساس ديني كبناء القصور على الهواء وان كان اولاد المدارس الابتدائية »

(١) انظر ترجمة الخطبة برمتها فى عدد ١٦ مايو سنة ١٩٠١ من جريدة المؤيد الغراء

« والعالية صغار السن لا يدركون معنى هذه الحقيقة . وهكذا تمسكوا »
« بهذا المبدإ وهذه القواعد حتى تجنوا ثمرة شجرة التربيـة التى كانت »
« نامية احسن نموّ فى الحدائق الشرقية والآن صارت تنمو فى الحدائق »
« الغربية . »

واننا لاشك اذا ربينا الناشئة على اصول الدين الذى جمع كما قال اللورد المذكور أصول الرفعة والشرف ومنابع الحقيقة لا نخيب فى مسعانا وتحقق آمالنا من استرجاع مجد الدين والاقتداء بالسلف الصالح وهذا ماقاله جناب اللورد كرزون أيضاً فى خطبته سالفة الذكر حيث قال :

« نعم يمكن للمسلمين ان يسابقوا غيرهم اذا هم تعلموا كيف يسابقون »
« وهو ما عرفوه مرة قبل هذا الوقت فى ايام كان فيها للمسلمين السطوة »
« والسلطان وكان قضاتهم يحكمون بالعدل بين الناس وفلاسفتهم وأئمتهم »
« يؤلفون الكتب النفيسة . »

فلنترك الجـدال واللجاج اذاً ولنشمر عن ساعد الجد ونبحث عما ينفعنا وطرق الفوز بالمراد ونيل المرغوب

ولم يبق محل للجدال فى الحجاب ورفعه بعد ان قال قاضى قضاة مصر كلمته فيه وحكم ببقائه . كما انه لا لزوم لتضييع الوقت فى المجادلة والمناقشة فيما اذا كانت تمكن التربية مع وجود الحجاب او لاتمكن فقد اصبح الكلام فى ذلك من باب تحصيل الحاصل بل مما لا فائدة فيه ما دام العين يحظر رفع الحجاب والاختلاط . على انه قد ثبت من نفس اقوال حضرة قاسم امين بك انه نبغ من بين المسلمات من شرفن جنسهن ولم يمنع الحجاب

هؤلاء النساء من ان ينبغن فى العلوم والمعارف والفضائل . قالت السيدة عائشة رضى الله عنها : رحم الله نساء الانصار لم يكن الحجاب يمنعهن من ان يتفقهن فى الدين .

وقد وافق على ذلك حضرة صاحب المنار — وهو ممن يعتد برأيهم حضرة صاحب المرأة الجديدة ويعول على قولهم — . وقال ان التربية والتعليم لا يتوقفان قط على كشف الوجه ولكنهما يتوقفان فى كمالهما على مخاطبة الرجال وهذا الامر ممكن سهلته الشريعة الغراء بتصريحها للمرأة بالاختلاط مع محارمها وهم غير قليلين : اذ هذا الاختلاط المحدود ينتج كل الفوائد التى يطلبها حضرة محرر المرأة ولا يتأتى منه المضار التى كثيراً ما تصحب رفع الحجاب .

ومع ذلك فاننا نعرف فى مصر عائلات نساؤها مثال الكمال والادب والحشمة والعفة كان الدين الاساس فى تعليمهن وتربيتهن فلم يمنعهن من ان يكنّ كأكمل الاوربيات ادباً وحسن خلق وحسن ادارة وتدبير واعظمهن فى فهم الفضائل والعمل بها وقد نبغن فى العلوم والمعارف العصرية : فهن يصورن وينقشن وتعلمن فن الموسيقى وغيره وهن مع كل ذلك محافظات على الحجاب التام ولو كان يجوز التصريح باسمائهن لأتينا بها ليتحقق القراء صحة قولنا .

وقد رأينا رجالاً فى غاية الادب والكمال يشعرون ويتألمون بعيدين عن جمود الجنان ثابتى العزيمة — ولا يمنعنا التباين فى الرأى من التصريح بان حضرة قاسم امين بك وبعض أنصاره من بين هؤلاء — وكلهم كانوا أبناء

لامهات محتجبات وازواجاً لزوجات محتجبات وآباء لبنات محتجبات : :

فلنقف عند هذا الحد ولنجرب التربية والتهذيب والتعليم مع بقاء الحجاب ولنبحث عن احسن طريقة تنفع الامة النفع الحقيقي لا أن نسعى فى التقليد الاعمى فلا يحيق بنا الا الضرر وشر المآل .

وما احسن ما قاله جناب اللورد كرومر من خطبة ألقاها عند الاحتفال بتأسيس المدرسة الانكليزية بالاسكندرية[1] ويا حبذا لو تدبرنا قوله وعملنا به :

« هذا وليعلم المصريون انه ليس للحكومة الانكليزية اقل رغبة »
« ولا نية فى (انكلزة) مصر اى جعل اهلها امة انكليزية . بل الذى »
« ترومه وتنويه انما هو ادخال المعارف الغربية وطرق الادارة الغربية »
« الى الديار المصرية ولكنها الى الحد الذى تكونه عنده نافعة للمصريين »
« ويكون المصريون قادرين على استخدامها والانتفاع بها . هذا هو »
« الحد الذى تقصد اليه وأما تجاوز ذلك الحد فلا ترغب فيه ولا تسلم »
« به . » انتهى

فلننظر فى امرنا ولنتق الله فى انفسنا وابنائنا ولنسرع باصلاح نفوسنا وتقويم اخلاقنا بما لا ينافى ديننا ولتكن مدارسنا التى نؤسسها قائمة على مبادئ ذلك الدين القويم ولتكن مدرساتها وناظراتها ومعلماتها مسلمات متأدبات بآداب الدين . وحاشا ان تعدم بلاد الشرق وبلاد المسلمين كلها

(١) انظر عدد يوم ٢٧ ابريل سنة ١٩٠١ من جريدة المقطم الغراء من مقالة افتتاحية عنوانها « مقاصد الانكليز فى مصر . »

مربيات نافعات صالحات . فانه ان لم يوجد الآن فى مصر منهن من يصلح للتربية والتهذيب فلا نيأس ولا نتخذ ذلك حجة لنا على جلب هؤلاء المدرسات والمديرات من البلاد الاوربية فان ضرر ذلك محقق ونفعه معدوم وما لا نجده هنا نجده بدون شك فى بلاد اخرى فلننشد ضالتنا انّى وجدناها فى اى بلد من البلاد الاسلامية لا فرق فيمن نستحضرهن ونكل اليهن مستقبل اولادنا بين ان يكن سوريات او تركيات او هنديات او افغانيات او عربيات مسلمات ممن نجد فيهن اللياقة التامة والكفاءة والاستعداد . ومن غير المعقول ان تكون كل بلاد المسلمين محرومة ممن يصلحن لذلك فهذه الاستانة العلية من أحسن المدن التي يفاخر الشرق بآداب نسائها وعلمهن وفضلهن وكمالهن كما يشهد به العيان . فما علينا الا ان نجدّ ونبحث ونسير سير الرجال الذين يرغبون فى الاصلاح الحقيقى وليجتمع العلماء والافاضل ويقرروا أحسن طريق للتربية والتعليم ويضعوا النظامات الكافية لنيل المقصود مسترشدين فى جميع اعمالهم باحكام الدين وأوامر الشرع وسنة سيد المرسلين ففي ذلك الكفاية لفوزنا وترقينا باعتراف الكل وتسليم الجميع والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم .